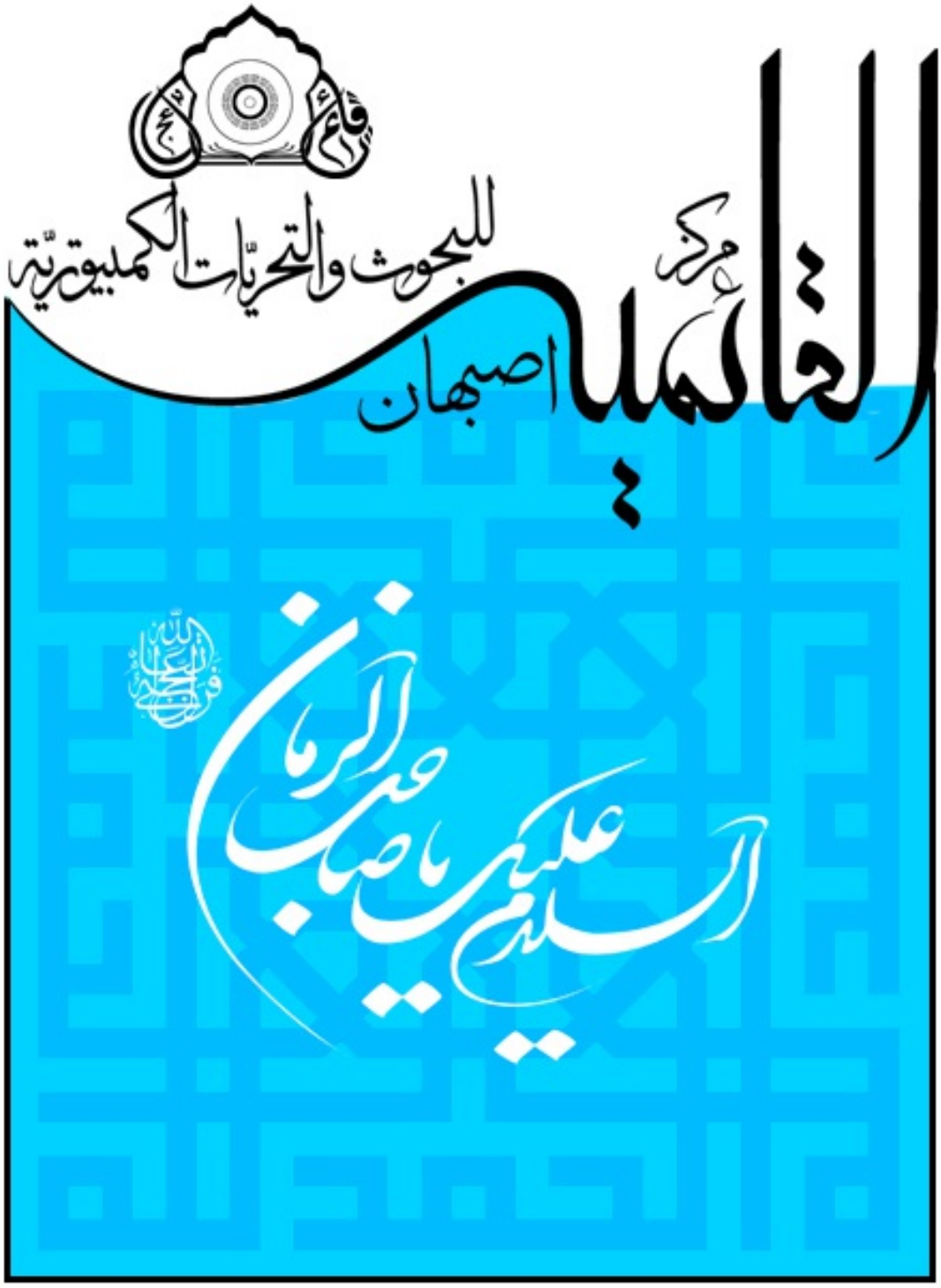

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

أزمة الخلافة والإمامة

وآثارها المعاصرة

عرض ودراسة

د. أسعد القاسم

الغدير

بسم الله الرحمن الرحيم

ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره: عرض و دراسه

كاتب:

اسعد القاسم

نشرت فی الطباعة:

الغدير

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره: عرض و دراسه ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
کلمة المرکز ----- ۱۳
المقدمة ----- ۱۳
هذا الکتاب ----- ۱۴
تمهید (تعریف عام بالخلافة والإمامة) ----- ۱۵
الخلافة ----- ۱۵
الامامة ----- ۱۶
الخلافة والإمامة فی التشریع الإسلامی ----- ۱۷
تقدیم ----- ۱۷
ماهیة الخلافة والإمامة ----- ۱۸
عند أهل السنة ----- ۱۸
عند الشیعة ----- ۱۹
هویة الخلفاء والأئمة ----- ۲۰
عند أهل السنة ----- ۲۰
عدم تدخل الشرع بالمسألة ----- ۲۰
طرق انعقاد الخلافة ----- ۲۱
اشاره ----- ۲۱
اختیار أهل الحل والعقد ----- ۲۱
عهد من الخلیفة السابق ----- ۲۲
الغلبة والقهر ----- ۲۲
عند الشیعة ----- ۲۲

اشاره ----- ۲۲
النصوص فی إمامة أهل البیت ----- ۲۲
اشاره ----- ۲۲
عدول الکتاب ----- ۲۲
من هم أهل البیت؟ ----- ۲۳
النصوص فی إمامة علی بن أبی طالب ----- ۲۴
اشاره ----- ۲۴
بلاغ الغدیر ----- ۲۵
منزلة هارون ----- ۲۶
باب مدینة العلم والحکمة ----- ۲۷
میزان الإیمان ----- ۲۸
عدیل الحق والقرآن ----- ۲۸
مؤهلات الخلفاء والأئمة ----- ۲۸
عند أهل السنة ----- ۲۸
الشروط الأساسیة ----- ۲۸
العصمة للخلافة و لیست للخلیفة ----- ۲۹
بماذا ینخلع الخلیفة؟ ----- ۲۹
عند الشیعة ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
العصمة ----- ۳۰
الافضلیة ----- ۳۰
الاعلمیة ----- ۳۱
الخلافة والإمامة فی الواقع التاریخی ----- ۳۱
تقدیم ----- ۳۱

خلافة أبی بکر ----- ۳۲
انکار عمر لوفاة الرسول ----- ۳۲
اجتماع سری للأنصار ----- ۳۲
ابوبکر و عمر فی مواجهة ساخنة مع الأنصار ----- ۳۲
موقف علی بن أبی طالب ----- ۳۳
غضب فاطمة الزهراء إرثها ----- ۳۵
حروب الردة ----- ۳۶
خلافة عمر ----- ۳۷
استخلاف أبی بکر لعمر ----- ۳۷
منع الخلیفة تدوین السنة النبویة أو التحدث بها ----- ۳۸
اجتهادات الخلیفة مقابل نصوص الکتاب والسنة ----- ۳۸
اشاره ----- ۳۸
تحریمه زواج المتعة (المؤقت) ----- ۳۹
ابتداعه صلاة التراویح ----- ۴۰
تصرفه فی الأذان ----- ۴۰
اجتهاده فی حکم الطلاق ----- ۴۰
تحریمه البکاء علی المیت ----- ۴۱
تجاوزه الحد الشرعی بإقامة الحدود ----- ۴۱
الغاء سهم المؤلفة قلوبهم ----- ۴۱
استخلاف عمر مجلسا للشوری ----- ۴۲
خلافة عثمان ----- ۴۳
ولادة الدولة الأمویة ----- ۴۳
ایذاء خیرة الصحابة ----- ۴۴
اشاره ----- ۴۴

ابوذر الغفاری ----- ۴۴
عبدالله بن مسعود ----- ۴۴
عمار بن یاسر ----- ۴۵
کیف کان مقتل الخلیفة؟ ----- ۴۵
خلافة علی ----- ۴۶
مبایعة الإمام ----- ۴۶
منهج الإمام و سیاسته فی الحکم ----- ۴۶
خروج عائشة و موقعة الجمل ----- ۴۷
تمرد معاویة و موقعة صفین ----- ۴۸
الخوارج و تفکک جیش الإمام ----- ۴۹
غارات معاویة علی الولایات الإسلامیة ----- ۵۰
آخر أیام الإمام و استشهاده ----- ۵۱
خلافة الحسن ----- ۵۲
خلافة معاویة ----- ۵۳
و جاء الملک العضوض ----- ۵۳
قتل حجر بن عدی و أصحابه ----- ۵۴
شرب الخمر ----- ۵۴
اخذ البیعة للابن الفاجر یزید ----- ۵۴
خلافة یزید ----- ۵۵
اشاره ----- ۵۵
ذبح أهل بیت النبوة ----- ۵۵
استباحة دماء أهل المدینة و أعراضهم ----- ۵۷
ضرب الکعبة بالمنجنیق و إحراقها ----- ۵۷
خلافة عبدالله بن الزبیر ----- ۵۷

دلیل التشریع و شهادة التاریخ فی معرفة الخلفاء والأئمة ----- ۵۸
تقدیم ----- ۵۸
مقیاس لمعرفة الخلفاء والأئمة ----- ۵۹
بین خلافتی أبی بکر وعلی ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
خلافة أبی بکر ----- ۵۹
خلافة علی ----- ۶۰
السنة النبویة بین طریقین! ----- ۶۱
الشوری بین النظریة والتطبیق ----- ۶۲
الخلفاء بعد أبی بکر وعلی ----- ۶۳
الاثنا عشر خلیفة فی الکتاب والسنة ----- ۶۳
الاثنا عشر عند أهل السنة ----- ۶۴
لمحات من سیرة الخلفاء الاثنی عشر ----- ۶۵
آثار أزمة الخلافة والإمامة علی شریعة الإسلام و واقع المسلمین ----- ۷۳
تقدیم ----- ۷۳
الآثار الأولیة ----- ۷۴
انحراف الأمة و تعطیل المسیرة التغییریة والإصلاحیة التی بدأها النبی ----- ۷۴
المنعطف الخطیر! ----- ۷۴
لماذا الحاجة إلی التغییر والإصلاح؟ ----- ۷۴
شواهد علی تدرج الانحراف بعد النبی ----- ۷۸
انتشار ظاهرة الوضع والدس فی الحدیث ----- ۸۱
العامل الأساسی فی تولد هذه الظاهرة ----- ۸۱
ابو هریرة: الراوی الأول! ----- ۸۲
ماذا لو صحت هذه الأحادیث؟ ----- ۸۴

تقدیس الصحابة علی حساب عصمة النبی ----- ۸۶
الغلو المفرط فی تقدیس الصحابة و أسبابه و نتائجه ----- ۸۶
المس بکمال عصمة النبی و خطورته ----- ۸۸
اشاره ----- ۸۸
هجران النبی! ----- ۸۹
محاولة النبی رمی نفسه من قمة جبل! ----- ۹۰
نسیان النبی آیات الکتاب! ----- ۹۰
غفلة النبی عن أداء الصلاة فی وقتها! ----- ۹۰
هیام النبی بحب عائشة علی حساب عدله مع بقیة نسائه ----- ۹۱
وقوع النبی تحت تأثیر السحر! ----- ۹۱
امر النبی الناس بما لا یعلم! ----- ۹۱
اعراض النبی عن أعمی لانشغاله مع کفار! ----- ۹۲
خطأ النبی فی الصلاة علی أحد المنافقین! ----- ۹۲
خطأ النبی بأخذ الفداء من أسری بدر! ----- ۹۳
خطورة الشبهة والافتراء و تفنیدهما ----- ۹۴
اخطر الآثار ----- ۹۵
تفتت الأمة و انقسام إسلامها إلی فرق و مذاهب ----- ۹۵
اشاره ----- ۹۵
اهل السنة والجماعة ----- ۹۶
نشوء الفرقة و تطورها ----- ۹۶
انقسام الفرقة وتشعبها ----- ۹۷
الفرق الکلامیة (المذاهب العقائدیة) ----- ۹۷
اشاره ----- ۹۷
المرجئة ----- ۹۸

المجبرة ----- ۹۸
اهل الحدیث ----- ۹۸
الاشاعرة ----- ۹۹
السلفیة والوهابیة ----- ۱۰۰
المذاهب الفقهیة السنیة ----- ۱۰۲
اشاره ----- ۱۰۲
المذاهب المنقرضة ----- ۱۰۲
المذاهب الأربعة ----- ۱۰۲
الشیعة ----- ۱۰۳
نشوء التشیع ----- ۱۰۳
الانحراف عن الخط الشیعی ----- ۱۰۴
الامامیة الاثنی عشریة ----- ۱۰۴
اصول العقائد عند الإمامیة الاثنی عشریة ----- ۱۰۵
المذاهب الفقهیة عند الإمامیة الاثنی عشریة ----- ۱۰۵
الخوارج ----- ۱۰۶
المعتزلة ----- ۱۰۷
الآثار اللاحقة ----- ۱۰۸
التمویه علی حقائق الأحداث التاریخیة و تحریفها ----- ۱۰۸
تطرف بعض العالمین فی المیدان الإسلامی و تخبطهم و جمودهم ----- ۱۱۱
اشاره ----- ۱۱۱
مجرد مثال! ----- ۱۱۱
جذور التطرف والجمود الدینی ----- ۱۱۲
اعراض هذه الظاهرة ----- ۱۱۳
عزل الدین عن الدولة ----- ۱۱۴

الخنوع والاستسلام لحکام الجور ----- ۱۱۵
شیوع الجهل والتخلف ----- ۱۱۶
اشاره ----- ۱۱۶
الجهل والتخلف فی فهم العقائد ----- ۱۱۷
الجهل والتخلف فی أداء الفرائض ----- ۱۱۸
الجهل والتخلف فی فهم القضایا التاریخیة ----- ۱۱۹
الجهل والتخلف فی فهم القضایا الأخلاقیة ----- ۱۲۰
الجهل والتخلف فی القضایا السیاسیة ----- ۱۲۰
الجهل والتخلف فی القضایا الاقتصادیة ----- ۱۲۱
الجهل والتخلف فی القضایا الاجتماعیة ----- ۱۲۱
الخلاصة والخاتمة ----- ۱۲۳
اشاره ----- ۱۲۳
صراع الخطط والإرادات ----- ۱۲۳
صراع الفرق والروایات ----- ۱۲۵
خاتمة المطاف ----- ۱۲۶
پاورقی ----- ۱۲۷
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۱۴۸

ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره: عرض و دراسه

اشارة

سرشناسه : قاسم، اسعد وحید

عنوان و نام پدیدآور : ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره: عرض و دراسه/ اسعد القاسم

مشخصات نشر : بیروت : الغدیر ، ۱۹۹۷م. = ۱۴۱۸ق. = ۱۳۷۶.

مشخصات ظاهری : ص ۳۵۰

یادداشت : این کتاب تحت عنوان"عرض و دراسة: ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره" توسط دارالمصطفی (ص) لاحیاآ التراث منتشر شده است

یادداشت : کتابنامه: ص. ۳۴۷ - ۳۳۳؛ همچنین بصورت زیرنویس

عنوان دیگر : عرض و دراسة: ازمه الخلافه و الامامه و آثارها المعاصره

موضوع : امامت -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

موضوع : خلافت

موضوع : اسلام -- فرقه‌ها

موضوع : شیعه -- دفاعیه‌ها و ردیه‌ها

رده بندی کنگره : BP۲۲۳/ق۲ع۴ ۱۳۷۶

شماره کتابشناسی ملی : م۸۱-۲۳۷۷۰

کلمة المرکز

یری الباحث أن الأمة الإسلامیة تعیش، فی هذه الحقبة من الزمن، أزمة ذات بعدین: أولهما: هویة الذات وتحققها علی مستوی الفعالیة التاریخیة، وثانیهما: وعی الدین الإسلامی وعیا یتیح هذا الزمان. ویری أن الخلافات المزمنة، إمکانیة تطبیق الشریعة الإسلامیة فی هذا الزمان. ویری أن الخلافات المزمنة، بین أهل السنة والشیعة، دلیل علی وجود تلك الأزمة، وبخاصة أنها تتمثل، فی کثیر من الأحیان، فی اتهامات قائمة علی عدم معرفة حقائق الأمور، ما یقتضی بیان هذه الحقائق، فی اتهامات قائمة علی عدم معرفة حقائق الأمور، ما یقتضی بیان هذه الحقائق بغیة تجاوز هذه الأزمة والوصول إلی حوار یفضی إلی الوعی والنهوض. تعود هذه الخلافات، فی أساسها، إلی القضیة المرکزیة، وهی (الإمامة)، وقدیما قال محمد بن عبد الکریم الشهرستانی: (وأعظم خلاف بین الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سیف فی الإسلام، علی قاعدة دینیة، مثل ما سل علی الإمامة فی کل زمان). یخاطب الباحث، فی هذا کتاب، کل من یتطلع بشوق إلی تجاوز الأزمة، وإقامة خلافة راشدة وظهور إمامة حق فی هذا الزمان، فیبحث (أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة)، فیعود إلی جذور الخلاف، منذ ظهوره، بعد وفاة النبی صلی الله وعلیه وآله مباشرة، ویتتبع مساره التاریخی، ما یتیح تبین آثاره المعاصرة وسبل تجاوزه. یتبع الباحث، فی عرضه وتحلیله الهادفین إلی معرفة حقائق الأزمة وأدلتها المقنعة، منهجا تاریخیا نقدیا، موضوعیا، یستند إلی المصادر الأصلیة فی تقدیم الأدلة والبراهین، ویعتمد خطة بحث واضحة متماسکة ولغة سلسة توصل المعانی إلی القارئ بیسر لا یخلو من إمتاع یؤتیه عمق الخطاب ودفته وسهولته. مرکز الغدیر للدراسات الإسلامیة بیروت [صفحه ۱۵]

المقدمة

بـدأت تظهر فى السـنوات الأخيرة، وأكثر من أى وقت مضـى بشائر ببدايـة انحسار أمواج التكفير والتعصب المذهبى الأعمى بين أتباع الفرق الإسـلامية، بعد أن لازمتهم هذه الآفات دهورا طويلة من الزمن. فمناقشة القضايا الخلافية، والتى يشـغل الخلاف السنى - الشيعى رأس قائمتها، أصـبحنا نراها تدور داخل دائرة الإسلام الواحد والملة الواحدة، ويغلب عليها العقلانية، على عكس ذلك النهج التقليدى المصـبوغ بالعاطفة والأحكام المسـبقة، والمأسور لحوادث التاريخ والتعصب لرموزه ورجاله، والذى جعل من الإسـلام مذاهب متعددة، ومن المسـلمين مللا متباغضـة ومعاديـة لبعضـها بعضا، كما لا زلنا نرى من ذلك شـذرات هنا وهناك. وتزداد أهمية البحث والنظر فى مثل هذه القضايا عند كل من يرى جدوى الحل الإسـلامى لمشاكل الأمة الإسلامية فضلا عن مشاكل وأزمات غيرها، ويقول بصلاحية دين الإسـلام لكل زمان ومكان. فحرى بهؤلاء أن يكونوا على بينـة تامـة ومعرفة يقينية بتعاليم هذا الدين، وبالدرب الموصل بأمان إلى الشـريعة السـماوية الحقة كما نزلت نقية ومحكمة. فبالرغم من كل ما تتمتع به رسالة الإسلام من مقومات ربانية، وتعاليم فى غاية اليسر والوضوح والشـمول كفيلة بإسعاد البشرية جمعاء، وانتشالها من أوحال الجاهلية والتخلف، فإن أصحاب الرسالة أنفسهم أصبحوا بحاجة لغيرهم لانتشالهم، وطروحات غالبية (الإسـلاميين) اليوم أصـبحت بعيدة عن الواقع، وعاجزة عن تقديم الحلول العملية والملائمة لطبيعة هـذا العصـر وظروفه المعقدة والسـريعة فى التغير، وغاية هذه الطروحات التركيز على شـكليات وقشور المفاهيم والأحكام على حساب جوهر الشـريعة ومقاصدها الحقيقية. [صـفحه ۱۶] والنتيجـة المأساويـة لكـل ذلـك، أن الـدين أصـبح ينظر إليه على أنه مجرد أساطير وخرافات، وفى أحسن أحواله شعارات براقة تروج وهو أبعد ما يكون فيه أى صلاحية لزمان أو مكان. وللتحقق من هذا الواقع، ما علينا إلا إلقاء نظرة سـريعة فى حال غالبيـة التنظيمات والحركات التى تأسـست بعـد انهيار الخلافـة العثمانية عام ۱۹۲۴ م ولغايـة أيامنا هذه، ورفعت شـعار الحل الإسـلامى، حيث سـنجد أن ما تطرحه من أفكار وبرامـج، وإن. جـد أى منها - وما تتبناه من أساليب للوصول إلى غاياتها فى إقامـة الحكم الإسـلامى المنشود يشوبه التخبط والفوضـى، لا سـيما مع تقوقعها على نفسـها، وعـدم توفرها على بـدائل، مما أوصـلها إلى حافـة الإفلاس الفكرى وخسـران التأييد الجماهيرى. وأمام هذا الواقع، لا بد لنا وأن نعترف أن أمتنا تعيش اليوم أزمة فهم لهـذا الـدين، لفقـدانها الرؤية الشـمولية والمتكاملة، وأزمة هوية لوجود تناقض صارخ بين واقع المسـلمين وواقعية الإسـلام، الأمر الذى يعمل على تغذية الشكوك والتساؤلات حول إمكانية تطبيق الشريعة الإلهية فى هذا الزمان. وما وجود تلك الخلافات المزمنة بين أهل السـنة والشـيعة، وما يدور داخل إطار كل فريق من مجادلات ومشاحنات إلا دليل واضح على وجود مثل هذه الأزمة فى الفهم، وتلك الأزمة فى تحديد الهوية. [صفحه ۱۷]

هذا الكتاب

وبحثنا هـذا على كل حال لم يأت لحل كل هـذه المعضـلات، وإنما لتبسـيط ما أصـبح يعد وكأنه من الألغاز المعقدة أمام الباحثين فى الخلاف السـنى - الشـيعى، وقد أعياهم النظر فى هذه المسألة، وحاروا فيما ينبغى اعتباره خلافا فى أركان العقيدة لا يمكن التهاون فيه أو صـرف النظر عنه، أو خلافا فى الفروع وتشعباتها مما يمكن إغفاله وعدم صرف النظر فيه. فلمواجهة مسألة شائكة مثل هذه، لا سيما وأن خلافات الفريقين قـد أخـذت مواقعها الدائمـة عشوائيا فى عقائـدهم وأحكامهم ونفوسـهم، فإنه فى تقـديرنا ينبغى البحث أولا فى جـذور الخلاـف قبـل الانتقـال إلى الفروع وتشـعباتها الكثيرة. فبتشـخيص الخلل فى الجـذور سيسـهل تشـخيص خلل الفروع تشـعباتها ومعالجتها. وما نعنيه بجذور الخلاف، فهى تلك المسائل الأساسـية التى أدى الخلاف حولها إلى تقسـيم المسلمين إلى سنة وشيعة، أو تلـك المسائـل التى انطلق خلاـف الفريقين تاريخيـا منهـا، ثم أدى تطور ونضوج الأفكـار حولهـا مع الأيام إلى إعطاء هـذين الفريقين شكلهما الدائمين. ولا أجد مسألة اختلف عليها بين أهل السنة والشيعة من الممكن أن تنطبق عليها مثل هذه المواصفات كمسألة خلافة النبى صـلى الله عليه وسـلم أو إمامـة المسـلمين بعـده، ويقول الشهرسـتانى صاحب موسوعـة (الملل والنخل) فى هـذا الصـدد: (وأعظم خلاف بين الأمـة خلاف الإمامـة، إذ ما سل سـيف فى الإسـلام على قاعـدة دينيـة مثل ما سل على الإمامة فى كل زمان). وأما الفروع،

فهى الآثار التى ترتبت على حصول أزمة الخلافة والإمامة، أو مخلفاتها ذات الخطورة على الإسلام والمسلمين. وتشعبات هذه الفروع [صفحه ۱۸] هى ذلك الكم الهائل من المفاهيم والأحكام الفقهية المختلف عليها بين الفريقين من جهة، وبين كل فريق من جهة أخرى. وقد اقتصرنا فى هذا الكتاب على البحث فى جذور هذه الأزمة وآثارها، والمؤيدة ببعض الأمثلة مما اختلف حوله من مفاهيم وأحكام، معتمدين فى كل ذلك على أدلة الكتاب والسنة النبوية، ومن خلال النظر فى حوادث أهم مرحلة من مراحل تأريخنا الإسلامى، وهى مرحلة صدر الإسلام. وقد اجتهدنا أن تكون الأدلة مستقاة قدر الامكان من مصادرها الأصلية، ناهجين فى ذلك منهجا علميا كان همنا الأول والأخير فيه تقصى الحقائق وتثبيت أدلتها، وعرضها بتسلسل منطقى، مع تقديم التحليل اللازم لها والتوفيق الموضوعى فيما بينها، والإضافة عند الضرورة لأقوال العلماء والمفكرين فيها. وأسلوب البحث عموما بعيد عن أى تعقيد قد يخطر على بال، ولغته فى غاية الوضوح والسلاسة، ولم يكن لنا هم فيها سوى إبراز المعانى والابتعاد عن زخرف القول وبريق العبارات. خطة البحث يشمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وأربعة أقسام وخاتمة على النحو التالى: ۱) المقدمة: وتم فيها تناول مشكلة البحث وخلفيتها، وهدف البحث وأهميته وأسلوبه وخطته. ۲) التمهيد: وفيه تعريف عام بالمعانى اللغوية والاصطلاحية للخلافة والإمامة كما وردت فى القرآن الكريم. ۳) القسم الأول: وتم فيه طرح موقف التشريع الإسلامى من مسألة الخلافة والإمامة من خلال وجهتى نظر أهل السنة والشيعة، وفى ثلاث نقاط رئيسية أعطى لكل منها فصل مستقلا كما يلى: [صفحه ۱۹] الفصل الأول: عرض المعنى الخاص للخلافة والإمامة كما فهمه كل فريق، واستعراض الأدلة التى احتج بها. الفصل الثانى: عرض منهج كل فريق فى معرفة هوية الخلفاء والأئمة، واستعراض الأدلة التى احتج بها. الفصل الثالث: عرض موقف الفريقين بالنسبة للمؤهلات التى ينبغى توفرها فى الخلفاء والأئمة، واستعراض الأدلة التى احتجا بها. ۴) القسم الثانى: وتم فيه استعراض الواقع التاريخى لدولة الخلافة والإمامة فى صدر الإسلام، وهى الفترة التى رسم فيها شكل الخلافة، وحددت فيها معالمها الدائمة لاستناد غالبية المسلمين على منهج وسلوك الخلفاء والأئمة والصحابة دليلا ومعيارا للخلافة الحقة. وهذا القسم على ثمانية فصول: الفصل الأول: خلافة أبى بكر الفصل الثانى: خلافة عمر الفصل الثالث: خلافة عثمان الفصل الرابع: خلافة على الفصل الخامس: خلافة الحسن بن على الفصل السادس: خلافة معاوية بن أبى سفيان الفصل السابع: خلافة يزيد بن معاوية الفصل الثامن: خلافة عبد الله بن الزبير. ۵) القسم الثالث: ويقدم الكاتب فى هذا القسم طريقته الخاصة فى الوصول لمعرفة هوية الخلفاء والأئمة الذين أرادهم الله (جل وعلا) لهذا المنصب، وفى هذه الطريقة مزيج من دليل التشريع وشهادة التاريخ من جهة، والعقل والنقل من جهة أخرى، وكان ذلك على فصلين: [صفحه ۲۰] الفصل الأول: مقياس لمعرفة الخلفاء والأئمة. الفصل الثانى: لمحات من سيرة الخلفاء والأئمة. ۶) القسم الرابع: وتم فيه استعراض آثار أزمة الخلافة والإمامة على شريعة الإسلام وواقع المسلمين على مر العصور، وقد أضيف هذا القسم لإخراج البحث من دائرة الصراع المذهبى الضيقة، وإدخاله إلى دائرة الإسلام الأوسع بمعادلة تشخيص ومعالجة أخطر الأمراض التى عانت ولا تزال تعانى منها الأمة الإسلامية سنة وشيعة على السواء. وقد قسمت هذه الآثار أو المخلفات إلى ثلاثة أنواع أعطى لكل منها فصل مستقل كما يلى: الفصل الأول: الآثار الأولية أو المخلفات المباشرة للأزمة. الفصل الثانى: أخطر الآثار التى لازمت الأمة على طول تاريخها. الفصل الثالث: الآثار اللاحقة أو المخلفات التى ظهرت بعصور متأخرة نتيجة للنوعين الأولين. ۷) الخلاصة والخاتمة: وتم فيه استعراض أهم ما يمكن استخلاصه واستنتاجه بشأن الخلاف السنى - الشيعى بصورة عامة، وأزمة الخلافة والإمامة بصورة خاصة. د. أسعد القاسم رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبى :۶۳ - ۲ - ۸۴۴۱۶۳۵ PHILIPPINES ۱۲۶۱ MAKATI CITY , ۲۱۹۸۷ MCPO BOX , ASAD AL - QASEM TELFAX [صفحه ۲۱]

تمهيد (تعريف عام بالخلافة والإمامة)

الخلافة

الخلافهٔ لغهٔ هی ما یجیء من بعد، کأن یقال: هو خلف صدق من أبیه. وتأتی بمعنی النیابهٔ عن الغیر کما فی الآیهٔ الکریمهٔ: (اخلفنی فی قومی) [الأعراف / ۱۴۲]. وأما الخلافهٔ اصطلاحا فقد ذکرت فی القرآن لتعبر عن مفهوم فی غایهٔ السمو والرفعهٔ وهو اصطفاء الله سبحانه وتعالی من ینوب عنه، ویقوم مقامه فی تحمل مسؤولیهٔ إعمار الأرض وتسخیر مقدراتها وخیراتها، بل وکل ذرات الکون من أجل السیر بالبشریهٔ نحو سعادتها الحقیقیهٔ. والخلافهٔ بهذا المعنی علی ثلاث درجات: الدرجهٔ الأولی: استخلاف النوع الإنسانی لتمیزه عن باقی المخلوقات وعناصر الکون الأخری من ملائکهٔ، وجن، وحیوانات، ونباتات، وجمادات، کما فی قوله تعالی: (ولقد کرمنا بنی آدم وحملناهم فی البر والبحر ورزقناهم من الطیبات وفضلناهم علی کثیر ممن خلقنا تفضیلا) [الإسراء / ۷۰]. (إنا عرضنا الأمانهٔ علی السماوات والأرض والجبال فأبین أن یحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه کان ظلوما جهولا) [الأحزاب / ۷۲]. (هو الذی جعلکم خلائف فی الأرض فمن کفر فعلیه کفره) [فاطر / ۳۹]. (ولقد مکناکم فی الأرض وجعلنا لکم فیها معایش قلیلا ما تشکرون) [الأعراف / ۱۰]. [صفحه ۲۲] (وإذ قال ربک للملائکهٔ إنی جاعل فی الأرض خلیفهٔ قالوا أتجعل فیها من یفسد فیها ویسفک الدماء ونحن نسبح بحمدک ونقدس لک قال إنی أعلم ما لا تعلمون - وعلم آدم الأسماء کلها...) [البقرهٔ / ۳۰]. والاستخلاف فی الآیهٔ الأخیرهٔ، وکما هو فی الآیات التی قبلها لیس لشخص آدم علیه السلام، وإنما للنوع الإنسانی (بنی آدم)، لأن آدم علیه السلام لم یکن مفسدا فی الأرض، ولا سفاکا للدماء، وکان ذکره فی الآیهٔ الأخیرهٔ بوصفه الإنسان الأول علی هذه الأرض، والذی جعل علی عاتقه مسؤولیهٔ خلافهٔ الله فی الأرض. الدرجهٔ الثانیهٔ: استخلاف قوم أو جماعهٔ بشریهٔ معینهٔ من بین الأقوام أو الجماعات البشریهٔ الأخری، ولأن الاستخلاف أمانهٔ إلهیهٔ، فإن القوم المستخلفین فی حالهٔ مخالفتهم لمقتضیات حمل هذه الأمانهٔ، سیتلقون العقاب الإلهی، وتتحول الخلافهٔ عنهم إلی قوم آخرین کما فی قوله تعالی: (إن یشأ یذهبکم ویستخلف من بعدکم ما یشاء) [الأنعام / ۱۳۳]. (ثم جعلناکم خلائف فی الأرض من بعدهم لننظر کیف تعملون) [یونس / ۱۴]. (وإن تتولوا یستبدل قوما غیرکم ثم لا یکونوا أمثالکم) [محمد / ۳۸]. ومن أمثلهٔ هذا الاستبدال قوله تعالی بشأن قوم نوح: (فنجیناه ومن معه فی الفلک وجعلناهم خلائف وأغرقنا الذین کذبوا بآیاتنا) [یونس / ۷۳]، وقوله تعالی بشأن قوم عاد: (واذکروا إذ جعلکم خلفاء من بعد قوم نوح) [الأعراف / ۶۹]، وبشأن قوم ثمود: (واذکروا إذ جعلکم خلفاء من بعد قوم نوح) [الأعراف / ۶۹]، وبشأن بنی إسرائیل: (یا بنی إسرائیل اذکروا نعمتی التی أنعمت علیکم وأنی فضلتکم علی العالمین) [البقرهٔ / ۱۲۲]، وبشأن أمهٔ محمد صلی الله علیه وآله وسلم: (وکذلک جعلناکم أمهٔ وسطا لتکونوا شهداء علی الناس) [البقرهٔ / ۱۴۴]، وبشأن الباقین الثابتین علی الدین الحق: (وعد الله الذین آمنوا منکم وعملوا الصالحات لیستخلفنهم فی الأرض کما استخلف الذین من قبلهم) [النور / ۵۵]. [صفحه ۲۳] الدرجهٔ الثالثهٔ: استخلاف قائد ربانی لتمیزه عن بقیهٔ أبناء قومه تکون خلافهٔ الله متوجهٔ فیه، ومصونهٔ به من خطر الإفساد فی الأرض، وسفک الدماء کما فی قوله تعالی: (یا داود إنا جعلناک خلیفهٔ فی الأرض فاحکم بین الناس بالحق ولا تتبع الهوی فیضلک عن سبیل الله) [ص / ۲۶]. (لیکون الرسول شهیدا علیکم) [الحج / ۷۸]. ولأن القوم المستخلفین هم لیسوا المالک الحقیقی لما استأمنوا علیه، وأنما هم خلفاء المالک الأصلی، وهو الله (جل وعلا)، فهم لیسوا مطلقی الحریهٔ والتصرف کما شاؤوا بالإمکانات والسلطات الممنوحهٔ إلیهم، ودون قائد ربانی، فإنهم سینحرفون تماما عن الخط الإلهی المرسوم، لما تزخر به النفس الإنسانیهٔ من نزوات، وأطماع، وحب التسلط. وهذه الدرجات الثلاث تمثل بمجموعها مفهوم الإسلام الأساس عن الخلافهٔ، وهو یتلخص بإنابهٔ النوع الإنسانی فی إعمار الأرض وإصلاحها ولکن بتمیز أمهٔ أو قوم یختارون (مع إمکانیهٔ استبدالهم) للدعوهٔ إلی الله، والأمر بالمعروف والنهی عن المنکر، علی رأسهم قائد ربانی یحکم الناس بالشریعهٔ الإلهیهٔ. وقد اشتهر إطلاق تسمیهٔ (الخلافهٔ) عند المسلمین وصفا للحکومات التی خلفت النبی صلی الله علیه وآله وسلم صالحها وفاسدها.

الامامهٔ

الإمامهٔ لغهٔ هی الانقیاد خلف إنسان، والاقتداء بقوله وفعله، وقد وردت کلمهٔ (إمام) فی القرآن الکریم لتعبر عن عدهٔ معان، منها:

المعنى الأول: اللوح المحفوظ، كما فى قوله تعالى: (وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين) [يس / ١٢]. المعنى الثانى: الكتاب السماوى، كما فى قوله تعالى: (ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة) [هود / ١٧]. [صفحه ٢۴] المعنى الثالث: الطريق الواضح، كما فى قوله تعالى بشأن قومى لوط وشعيب: (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين - فانتقمنا منهم وإنهما لبإمام مبين) [الحجر / ٧٨ - ٧٩]. المعنى الرابع: قادة الهداية، كما فى قوله تعالى بشأن إسحاق ويعقوب عليه السلام (وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات) [الأنبياء / ٧٣]. المعنى الخامس: قادة الضلال، كما فى قوله تعالى بشأن فرعون ومن معه: (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون) [القصص / ۴١]، وقوله تعالى: (فقاتلوا أئمة الكفر) [التوبة / ١٢]، وفى قوله تعالى: يوم ندعو كل أناس بإمامهم فمن أوتى كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون فتيلا - ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا) [الإسراء / ٧١ - ٧٢]، دلالة على أن لكل قوم إماما يدعون به يوم القيامة، وهو إما أن يكون إمام هداية، أو إمام ضلال. ولا يمكن أن يكون معنى (بإمامهم) فى هذه الآية هو (كتبهم) كما يفسر بعض، المفسرين، لأن أول كتاب سماوى نزل متضمنا لشريعة إلهية هو كتاب نوح، وهذا سيعنى خروج جميع الأقوام التى كانت قبل مجئ النبى نوح عليه السلام من مقصود هذه الآية، وهذا غير ممكن لأن جميع الأقوام ستدعى للحساب يوم القيامة. وعلى ذلك، فإنه وعلى ضوء هذه الاستخدامات المتعددة لكلمة (إمام) فى القرآن الكريم، يمكن استخلاص وتوجيه المفهوم الإلهى للإمامة وصفا للقادة الربانيين الذين اصطفاهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا هداة الناس إلى شريعته على ضوء الكتب والرسالات التى أنزلها على أنبيائه ورسله، فالكتاب فى واقع الحال لا يمكن أن يكون مرشدا للناس من بدون إنسان متخصص بحمله، عارفا بأمره. [صفحه ٢۵] وما يؤكد هذا المعنى، وصف الإمامة فى آيات أخرى ب (عهد الله) الذى لا يناله سوى المتقين، واستحالته على الظالمين كما فى قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) [البقرة / ١٢۴]. وبذلك تكون الإمامة بمعناها القرآنى الخاص وصفا لأعلى درجات الخلافة. وقد اشتهر بين المسلمين إطلاق لقب الإمام وصفا لحاكم الدولة الإسلامية، وبصورة أوسع للفقهاء وأصحاب المذاهب، ولمن يأتم الناس به فى صلاة الجماعة، وحتى أنه يطلق أحيانا فى هذا الزمان على رؤساء بعض الحركات والجماعات الإسلامية. وإجمالا: فقد استخدمنا فى هذا البحث مصطلحى الخلافة والإمامة مترادفين دائما، للتعبير عن مفهوم واحد، وهو قيادة الأمة الإسلامية وإدارة شؤونها العامة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وما دفعنا إلى استخدام هذا الترادف هو غلبة استخدام مصطلح الخلافة عند أهل السنة، ومصطلح الإمامة عند الشيعة على نحو من التخصيص، وكأنهما مفهومان مختلفين، وما هما كذلك. [صفحه ٢٧] القسم الأول الخلافة والإمامة فى التشريع الإسلامى تقديم الفصل الأول: ماهية الخلافة والإمامة الفصل الثانى: هوية الخلفاء والأئمة الفصل الثالث: مؤهلات الخلفاء والأئمة [صفحه ٢٩]

الخلافة والإمامة فى التشريع الإسلامى

تقديم

على الرغم من أن الخلافة والإمامة بمفهومها العام - كما بيناه فى التمهيد لهذا البحث - هى محل قبول جميع المسلمين، إلا أنه عند التعرض لدراسة خصوصيات هذا المفهوم عند كل من الفرق والمذاهب الإسلامية، تجد أن مسألة الخلافة والإمامة كانت محور الخلاف الأكبر بين المسلمين على مر العصور، وتسببت فى حدوث أزمات لا تزال الأمة تعانى من آثارها وترسباتها لغاية يومنا هذا. وهذه الخصوصيات هى موضوع بحثنا فى القسم الأول وهذا البحث، حيث سنقوم بعرض ما شرعه الإسلام حول هذه المسألة كما فهمه المسلمون، كل حسب مشربه، وتحديدا من خلال وجهتى نظر فرقتى أهل السنة والشيعة بوصفهما الفرقتين اللتين لا زالتا تتمتعان بوجود واقعى ومستمر، ويشكل أتباعهما مجموع أبناء الأمة تقريبا. وسيتم تناول ثلاث نقاط رئيسية تمثل بمجموعها موقف كل فريق

تجاه مسألة الخلافة والإمامة، نعرض كلا منها فى فصل مستقل كما يلى: الأول: ماهية الخلافة والإمامة. الثانى: هوية الخلفاء والأئمة. الثالث: مؤهلات الخلفاء والأئمة. ولكن قبل ذلك كله، ونظرا لسوء الفهم الشائع بين المسلمين، وغلبة الأحكام المسبقة حول الفرق والمذاهب، نقدم صورة موجزة جدا فى تعريف كل من هاتين الفرقتين: [صفحه ۳۰] أهل السنة السنة لغة هى الطريقة أو نمط الحياة. والسنة اصطلاحا هى كل ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير أو صفة، خلقية أو خلقية. فيكون المعنى الظاهرى أو المفهوم المجرد لكلمتى (أهل السنة) الأتباع الذين يقتدون بالسنة النبوية المطهرة. وأما (أهل السنة) المصطلح المتداول بين الناس، فهو تسمية لفرقة إسلامية كبيرة يعتقد أتباعها بأركان الإسلام الخمسة وهى: الشهادتان، والصلاة، والصيام، والزكاة، والحج (ويضيف بعضهم الجهاد ركنا سادسا)، وبأركان الإيمان الستة وهى: الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، والقضاء والقدر خيره وشره. ويرى أهل السنة أن الله (سبحانه وتعالى) اختار واصطفى الصحابة ليكونوا حملة الرسالة وحفظتها ومعلميها بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأجيال اللاحقة، لأنهم - كما يرونهم - كانوا جميعا فى أعلى درجات الصلاح والتقوى، ولا- يجوز نقدهم، أو مجرد الشك بصحة أو صدق ما يروونه من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ويشكل أهل السنة غالبية أبناء الأمة فى وقتنا الحاضر. الشيعة التشيع لغة من المشايعة أى المناصرة والموالاة، والشيعة هم الأتباع والأنصار المجتمعون على فكر واحد، وموقف واحد. وقد استخدم هذا اللفظ فى القرآن الكريم بمعنى المناصرة والموالاة كما فى قوله تعالى: (وإن من شيعته لإبراهيم) [الصافات / ۸۳]، وقوله تعالى: (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه) [القصص / ۱۵]. وقال الشاعر حسان بن ثابت فى مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم: [صفحه ۳۱] أكرم بقوم رسول الله شيعتهم++ إذا تعددت الأهواء والشيع وأما الشيعة اصطلاحا فهى الفرقة التى يعتقد أتباعها بأركان إسلام أهل السنة وإيمانهم نفسها، ولكن باختلافات طفيفة فى تفاصيل بعضها. ولكن ما ميز الشيعة عن أهل السنة بصورة رئيسية هو نظرتهم للخلافة والإمامة كركن هام من أركان الاعتقاد، وما تضمنه هذا الخلاف من تفاصيل وتفرعات. ويعتقد الشيعة أن الله (سبحانه وتعالى): اختار أهل البيت عليه السلام واصطفاهم ليكونوا حملة الرسالة الإسلامية وحفظتها ومعلميها إلى الأجيال اللاحقة بعد رحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنهم - كما يرونهم - قد خصهم الله بمواصفات استثنائية من التسديد فى العلم والتطهير من كل رجس وإثم. ويشكل الشيعة فى عصرنا ما لا يقل عن ربع خمس تعداد المسلمين. [صفحه ۳۲]

ماهية الخلافة والإمامة

عند أهل السنة

يغلب على تعريفات الخلافة أو الإمامة عند علماء أهل السنة قديمهم وحديثهم إعطاء الطابع التنظيمى والتنفيذى لرئاسة الدولة الإسلامية، ولحفظوتحقيق مصالح الناس على هدى مبادئ الشريعة [۱] وهذا يشمل إقامة الحدود، وتدبير أمور الأمة، وتنظيم الجيوش، وسد الثغور، وردع الظالم وحمايةالمظلوم، وقيادة المسلمين فى حجهم وغزوهم وتقسيم الفئ بينهم [۲] . وهم بذلك لا يعترفون بفصل الدين عن الدولة وسياستها وشؤونها الإدارية، بل يعتبرون أنهما قائمان على بعضهما بعضا. ومن هذا المبدأ الأساس ينطلق مفهوم الحاجة إلى القيادة الإسلامية. ويقول ابن تيمية فى ذلك: (يجب أن يعرف أن ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا- بها. فإن بنى آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهمإلى بعض، ولا بد لحراسة الدين من رأس) [۳] . ويبين الماوردى الدور الخطير الذى يلعبه الإمام بشأن حراسة الدين بقوله: (فليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم بدعة، ولكل عصر فيه وهية أثر، وكما أن السلطان إن لم يكن على [صفحه ۳۳] دين تجتمع به القلوب حتى يرى أهله الطاعة فيه فرضا، والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان لبث، ولا لأيامه صفو، وكان سلطان قصر أو مفسد دهر. ومن هذين الوجهين

وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت وزعيم الأمة،فيكون الدين محروسا بسلطانه، والسلطان جاريا على سنن الدين وأحكامه) [۴] . وبالرغم من هذا التزاوج الواضح بين الدين والدولة بحيث إن صلاح أحدهما لا يكون إلا بصلاح الآخر، فإن موقع النظر فى مسألة ولاية أمر المسلمين المتمثلة بالخلافة والإمامة لا ينسجم مع أهميتها العظمى هذه ويصنفها العلماء القدماء من أهل السنة ليس ضمن فروع الدين وأحكام الفقه فقط، وإنما يحثون على عدم خوض الكلام والبحث فيها أيصا، لما قد يجلب ذلك من انتقاد بحق الخلفاء لا سيما الأوائل منهم! فيقول الغزالى: (إعلم أن النظر فى الإمامة ليس من المهمات، وليس أيضا من فن المعقولات (بمعنى أنه ليس من العقائد) بل من الفقهيات. بل إنها مثار للتعصبات، والمعرضعن الخوض فيها أسلم من الخائض فيها وإن أصاب، فكيف إذا أخطأ؟) [۵] . وللآمدى رأى مطابق للرأى السابق يقول فيه: (واعلم أن الكلام فى الإمامة ليس من أصول الديانات، ولا من الأمور الأبديات بحيث لا يسع المكلف الاعتراض عنها والجهل بها، بل لعمرى إن المعرض عنها أرجى من الواغل فيها. فإنها قلما تنفك عن التعصب، والأهواء، وإثارة الفتن، والشحناء، والرجم بالغيب فى حق الأئمة والسلف بالازراء، هذا مع كون الخائض فيهاسالكا سبيل التحقيق، فكيف إذا كان خارجا عن سواء الطريق؟) [۶] . وقد انطلق هذا الاعتبار بفرعية الخلافة والإمامة عند أهل السنة وتهميش موقعها ضمن تعاليم الدين من اعتقادهم بعدم تدخل الشريعة من الأساس بتعيين [صفحه ۳۴] من يخلف النبى عليه السلام، وإنما يرون أن هذا الأمر قد أوكل إلى الصحابة ابتداء، وإلى الناس فى كل عصر ليختاروا أولياء أمورهم استنادا إلى قوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى / ۳۸]. ويستنتج من كل ذلك، أن الخلافة والإمامة فى جوهرها منصب سياسى وتنفيذى لتطبيق حدود الشريعة، وحفظ مصالح العباد ومحاربة الأعداء. ولا تقع على عاتق هذا المنصب مسؤولية حفظ الدين أو تفسير ما غمض من حقائقه، أو تبيان حدوده وتوضيح معالمه وغير ذلك من الأمور المتعلقة بفهم الشريعة وتفهيمها. وأما قول علماء أهل السنة بتحمل الخليفة مسؤولية حراسة الدين، فإنما يقصد من ذلك الدفاع عن وجود الدين ضد أى تهديد سياسى أو عسكرى قد يستهدف اجتثاثه أو الإطاحة بالنظام الحاكم، وهو بذلك دفاع عن المجتمع الإسلامى، أو الحكومة الإسلامية ضد أى خطر داخلى أو خارجى ليس إلا.

عند الشيعة

يعطى الشيعة لمنصب الخلافة أو الإمامة دورا أكثر – (دينيا) – مما يعطيه أهل السنة، وذلك لأنها تعتبر عندهم الخلافة الإلهية فى الأرض، ومهمة الإمام الأساسية استخلاف النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وظائفه من هداية البشر وإرشادهم إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم فى الدنيا والآخرة. فالإمام هو الذى يفسر لهم القرآن، ويبين لهم المعارف والأحكام ويشرح لهم مقاصد الشريعة، ويصون الدين من التحريف والدس، وله الولاية العامة على الناس فى تدبير شؤونهم ومصالحهم، وإقامة العدل بينهم وصيانتهم من التفرقة والاختلاف. فالإمامة بذلك تعد منصبا إلهيا، واستمرارا للنبوة فى وظائفها باستثناء كل ما يتعلق بالوحى. وهى بهذا المفهوم أسمى من مجرد القيادة والزعامة فى أمور السياسة والحكم، ولا يمكن الوصول إليها عن طريق الشورى أو [صفحه ۳۵] الانتخاب، بل لا بد أن يكون تنصيب الإمام بتعين من الله (سبحانه وتعالى) على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم. ويرى الشيعة أن الشورى حسب الآية (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى / ۳۸]. لا تصح إلا فى الأمور التى لم يرد فيها حكم من الله ورسوله، وأما مسألة تعيين أو اختيار ولاية أمر المسلمين بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم فهى مما كان للشريعة الحكم القطعى فيها. ولذلك، فالشيعة يعتبرون الإمامة أصلا من أصول الدين لا يكتمل الإيمان إلا بالاعتقاد الصادق بإمامة الأئمة أو الخلفاء المعينين من الله ورسوله، وأن تشريعها كان (لطفا) من الله بعباده، لأن المسلمين لم يكونوا مؤهلين لسد الفراغات التى خلفها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بغيابه. فالحقبة الزمنية التى قضاها بينهم تعد قصيرة لإعداد أمة كاملة إعدادا كافيا، يؤهلها لإدارة وتدبير شؤونها الدينية والدنيوية بعده، وخصوصا إذا كان الأمر متعلقا بإعداد أمة قد ترسخت فيها عادات المجتمع الجاهلى ووحشيته، والذى كانت تحكمه لا أقل من شريعة الغاب فضلا من أن الغالبية العظمى ممن أسلموا قد تلفظوا بالشهادتين بعد فتح مكة وأواخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فإعداد هكذا أمة لا يمكن أن

يتم خلال تلك الحقبة الزمنية القصيرة، لا سيما إذا علمنا أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قضى أكثر من نصف عمر دعوته فى مكة يدعو الناس إلى قول كلمة التوحيد لا غير، ولم يقلها منهم إلا القليل، وقضى ما تبقى من عمر الدعوة فى المدينة وكان شغله الشاغل فيها الدفاع عن الإسلام كوجود مهدد بالفناء، وقد أخذت الحروب والغزوات الكثيرة من المسلمين كل مأخذ، والتى محص بعضها - كموقعتى أحد وحنين على سبيل المثال - مدى تغلل الإيمان فى نفوسهم! ولهذه الأسباب يرى الشيعة أن الله (سبحانه وتعالى) لم يطلب من رسوله سوى تبليغ الرسالة للناس، وإقامة الحجة عليهم بها لقوله جل وعلا: (فإن [صفحه ۳۶] توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) [المائدة / ۹۲] وقوله تعالى: (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ) [الشورى / ۴۸]. فالحفيظ المقصود فى هذه الآية هو المسؤول عن هداية الناس وتعليمهم، كما فى قوله تعالى أيضا: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [الرعد / ۷]. واعتمادا على هذه الآيات وغيرها يرى الشيعة أن دور الخلافة والإمامة فى كل عصر (لكل قوم هاد) هو هداية الإنسان وإصلاح الفرد والمجتمع من خلال حمل الرسالة وحفظها من تحريف المحرفين، وتشكيك المشككين، وإلا فما هى فائدة سلامة تبليغ هذه الرسالة إذا لم تحفظ بعد رحيل مبلغها بأيد أمينة؟ على أن ما حدث للشرائع السابقة فيه الإجابة الوافية على هذا التساؤل، حيث كان أتباعها يأخذون معالم شرائعهم بعد رحيل أنبيائهم عن أى من كان، فحصل التحريف الذى أخبر عنه العلى الحكيم: (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون) [البقرة / ۷۵]. وهكذا يرى الشيعة أيضا أن قوله تعالى: (يوم ندعوا كل أناس بإمامهم) [الإسراء / ۷۱] وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتةجاهلية) [۷] إنما هو للتأكيد على أن أهداف رسالة الإسلام بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال إمامة الخلفاء الهادين المرشدين: (أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون) [يونس / ۳۵]. [صفحه ۳۷]

هوية الخلفاء والأئمة

عند أهل السنة

عدم تدخل الشرع بالمسألة

لقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند أهل السنة على أساس عدم وجود أى نص فى تعيين من يخلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وترك أمر اختيار الخليفة للناس وبالأسلوب الذى يرونه مناسبا، محتجين بقوله تعالى: (وأمرهم شورى بينهم) [الشورى / ۳۸]. ويرى أهل السنة - أيضا - أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أهمل تحديد ذلك لئلا يحرج المسلمين بالتقيد بنمط خاص من أنماط الحكم أو اختيار الحاكم، وذلك يرجع لتطور الزمن وأساليب الحياة التى اختلفت وتعددت مقارنة بما كان عليه الحال فى عهده صلى الله عليه وآله وسلم. ويقول الكاتب المصرى المعاصر الدكتور محمد سليم العوا فى هذا الشأن: (من الثابت تاريخيا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يعين للمسلمين من يقوم بأمر الدولة الإسلامية بعد وفاته، بل لم يحدد الطريقة التى تتبع فى اختيار الحاكم بعده، وإنما أوضح للمسلمين القواعد العامة التى يجب أن يراعيها الحاكم فى سيرته. وبين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بسيرته وأقواله المثل العليا التى يجب التمسك بها والمحافظة عليها من جانب الحاكم والمحكومين على السواء، دون أن يتضمن ذلك الجانب من سنة الرسول، كما لم تتضمن نصوص القرآن الكريم تفصيلا لنظام الحكم الذى يجبأن يطبق فى الدولة الإسلامية إذ اكتفى فى هذا الصدد بالقواعد العامة فحسب) [۸] . [صفحه ۳۸] وأضاف: إن الإمام الجوينى ذهب إلى مثل هذا الرأى عندما يقرر أن (معظممسائل الإمامة عرية عن مسالك القطع، خلية عن مدارك اليقين) [۹] . وبعد قول أهل السنة بعدم وجود نصوص فى تعيين من يخلف النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو فى طريقة اختياره وشروط انعقاد البيعة له، فإنهم ذهبوا للاستدلال بأقوال الصحابة وأفعالهم

فی تشریع القوانین ووضع النظریات فی هذه المسائل. وهم یجمعون علی کل حال علی الاعتقاد بأن الإمامة الحقة تمثلت بخلافة أبی بکر، وعمر، وعثمان، وعلی، علی حسب ترتیب أفضلیتهم عندهم، وسموهم بالخلفاء الراشدین. ویعتبرون أیضا شرعیة الخلفاء ممن جاءوا بعدهم کالخلفاء الأمویین، والعباسیین، والعثمانیین، ولم یستثن من هذا الاعتبار سوی قلة نادرة کالخلیفة الأموی عمر بن عبد العزیز الذی عد خلیفة راشدیا خامسا. وعلی وبالرغم من إجماع أهل السنة بعدم وجود أی نص باستخلاف أی أحد بعد النبی صلی الله علیه وآله وسلم، إلا أن غالبیتهم قالوا إنه ألمح باستخلاف أبی بکر وشذ بعضهم وقالوا إنه صلی الله علیه وآله وسلم نص علی خلافة أبی بکر، فأما القائلون بالتلمیح، فهو لاستنادهم علی ما روته عائشة عندما سئلت من کان النبی صلی الله علیه وآله وسلم مستخلفا لو استخلفه؟ قالت: أبو بکر، فقیل لها: ثم من بعد أبی بکر؟ قالت: عمر، ثم قیل لها: من؟ قالت: أبو عبیدة بن الجراح، ثم انتهتإلی هذا [۱۰] وروت عائشة أیضا أن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم قال لها فی مرضه الأخیر: (ادع لی أبا بکر وأخاک حتی أکتب کتابا، فإنی أخاف أن یتمنی متمن ویقولقائل: أنا أولی، ویأبی الله والمؤمنون إلا أبا بکر) [۱۱] . [صفحه ۳۹] وأما الشاذون بالقول بنص الرسول صلی الله علیه وآله وسلم باستخلاف أبی بکر کابن حزم، وابن حجر، فهو لاستنادهم إلی روایات ضعفها علماء الفریقین. ومنها ما نسب إلی النبی صلی الله علیه وآله وسلم أنه قال لامرأة: (إن جئت فلم تجدینی فأت أبا بکرالخلیفة من بعدی) [۱۲] . ومنها أیضا: (یکون خلفی اثنا عشر خلیفة، أبو بکر لا یلبث إلاقلیلا) [۱۳] . ومنها: (إنی لا أدری ما قدر بقائی فیکم فاقتدوا باللذین من بعدی أبی بکر وعمر) [۱۴] . ومن هذه الروایات المشکوک فی صحتها أیضا ما نسب إلی الإمام علی علیه السلام أنه قال: (لما قبض رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فوجدنا النبی صلی الله علیه وآله وسلم قد قدم أبا بکر فی الصلاة، فرضینا لدنیانا من رضی رسولالله صلی الله علیه وآله وسلم لدیننا، فقدمنا أبا بکر) [۱۵] .

طرق انعقاد الخلافة

اشاره

تنعقد الخلافة أو الإمامة عند أهل السنة بإحدی الطریق التالیة:

اختیار أهل الحل والعقد

وأهل الحل والعقد هم بمثابة أعضاء مجلس الشوری الذی یمثل الأمة فی عملیة اختیار الخلیفة، ولم یشترط فی ذلک عدد معین منهم، فضلا عن الإجماع، ویذهب معظم علماء أهل السنة إلی تجویز انعقاد البیعة للخلیفة ولو بمبایعة شخص واحد له من أهل الحل والعقد. [صفحه ۴۰] یقول الجوینی: (.. فإذا لم یشترط الإجماع فی عقد الإمامة لم یثبت عدد معدود، ولا حد محدود، فوجه الحکم بأن الإمامة تنعقد بعقد واحد منأهل الحل والعقد) [۱۶] ویقول القرطبی: (فإن عقدها واحد من أهل الحل والعقد، فذلک ثابت ویلزم الغیر فعله. (وهذا) خلافا لبعض الناس حیث قالوا: لا تنعقد إلا بجماعة من أهل الحل والعقد، ودلیلنا أن عمر عقد البیعةلأبی بکر ولم ینکر أحد من الصحابة ذلک!) [۱۷] . وقال عضد الأیجی: (بل الواحد والاثنان من أهل الحل والعقد کاف، لعلمنا أن الصحابة مع صلابتهم فی الدین اکتفوا بذلک کعقد عمر لأبیبکر) [۱۸] وقال آخرون: (أقل ما تنعقد به الإمامة منهم خمسة یجتمعون علی عقدها، أو یعقدها أحدهم برضا الأربعة استدلالا بأن عمر جعل الشوری فیالستة لیعقد لأحدهم برضا الخمسة) [۱۹] .

عهد من الخليفة السابق

وفی هـذه الطريقـة يجوز للخليفـة أن يعهـد بالخلافـة لمن شاء ليجعله خليفـة بعـده، فتنعقـد الإمامة بذلك. فيقول التفتازانی على سبيل المثال: أن هـذا الاسـتخلاف يعـد بمنزلة الشورى، ودليله على ذلك عهد أبی بكر بالخلافة إليعمر [۲۰] ويـدخل فی ذلك أيضا العهد إلى مجموعـة من أهل الحل والعقـد ليختاروا واحدا منهم إماما. واسـتدل على ذلك من فعل عمر عندما عهد بالخلافة إلى سـتة. ويرى بعض العلماء من أهل السنة أن شرعية خلافة يزيد قد اعتبرت انطلاقا من هذا الأساس (الشرعی) المستنبط من فعل الصحابة لأنها كانت [صفحه ۴۱] أيضا بعهد من أبيه معاوية بن أبی سـفيان وهو صـحابی لا يجوز نقده، ثم كانت (خلافة يزيد) بمبايعة من بعض الصحابة ورضاهم كعبد الله بن عمر وهو أيضا لا يجوز نقده، بل يجب الاقتداء بما فعله ورضی به!

الغلبة والقهر

وتكون هـذه الطريقـة بأخـذ الخلافة بالقوة كما فی حال الانقلاب العسـكری. ويقول التفتازانی: (وتنعقد الإمامة بالقهر والاستيلاء، فإذا مات الإمام وتصدى للإمامة من يسـتجمع شـرائطها من غير بيعة (أهل الحل والعقد) أو اسـتخلاف (بعهد من الإمام السابق) وقهر الناس بشوكته، انعقـدت الخلافةله) [۲۱] . ويقول الشـربينی: (والطريق الثـالث [يكون] باستيلاء شـخص متغلب على الإمامـة جـامع للشـروط المعتبرة فی الإمامة على الملك بقهر وغلبة بعد موت الإمام لينظم شـمل المسـلمين. أما الاستيلاء على [إمامة الخليفة] الحی ففيه أمران: فإذا كان هـذا الخليفـة الحی متغلبا (بمعنى أنه وصل إلى الخلافـة عن طريق الغلبـة والقهر) انعقدت إمامة المتغلب عليه، وإن كان إماما ببيعة أوبعهد من الإمام السابق لم تنعقد إمامة المتغلب عليه) [۲۲] . [صفحه ۴۲]

عند الشيعة

اشاره

لقد تأسست نظرية الخلافة والإمامة عند الشيعة على أساس وجود نص من الله تعالى على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فی تعيين هويـة الخلفاء والأئمـة، فالشـيعة يعتقـدون أن الخلافـة الحقـة قد نص عليها بأوثق الأدلة وأوضح العبارات فی على بن أبی طالب ابتـدأ، والأئمـة من أهل البيت عليه السـلام بصورة عامة، ولا تخرج الإمامة من نسـلهم أبد الدهر، والذی سـيكون آخرهم الإمام محمد المهـدی (المنتظر). وفيما يلی نقـدم ما احتـج به الشـيعة من نصوص رئيسـية ومـدلولاتها عنـدهم فی معرفـة الخلفاء والأئمة، وهی على نوعين: أولا: النصوص فی إمامة أهل البيت. ثانيا: النصوص فی إمامة على بن أبی طالب

النصوص فی إمامة أهل البيت

اشاره

يمكن استخلاص الأدلة التی يحتج بها الشيعة فی إمامة أهل البيت، والآراء والتفسيرات التی يقدمونها فی ذلك كما يلی:

عدول الكتاب

أخرج الترمذى، بسنده عن جابر بن عبد الله، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (أيها الناس إنى تاركك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب اللهوعترتى أهل بيتى) [۲۳] . وكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم كما أخرج ذلك مسلم فى صحيحه: (ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وإنى تارك فيكم ثقلين، أولهما: كتاب [صفحه ۴۳] الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتابه الله واستمسكوا به، وأهل بيتى، أذكركم الله فيأهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى، أذكركم الله فى أهل بيتى) [۲۴] . ومن هذا الحديث الذى يسلم علماء الفريقين بصحته يفهم أنه وعلى الرغم من أن الله (سبحانه وتعالى) أنزل القرآن على نبيه بأحكم صور التمام والكمال (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ) [النحل / ۸۹] و (ما فرطنا فى الكتاب من شئ) [الأنعام / ۳۸]. إلا أنه لم يكن كافيا لضمان هداية الناس وإبعادهم من الضلال. لماذا؟ يجيب الشيعة عن ذلك بالقول: إن عقول الناس قاصرة عن إدراك أسرار الكتاب ومغازيه والإحاطة بجميع جوانبه (تبيانا لكل شئ)، فكان لا بد وأن يكون لهذا الكتاب من مرافق يقوم بهذه المهمة التوضيحية للناس (هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) [آل عمران / ۷]. وهؤلاء الراسخون فى العلم كما يوصفوا فى موضع آخر (إنه لقرآن كريم – فى كتاب مكنون – لا يمسه إلا المطهرون) [الواقعة / ۷۷ – ۷۹]. فكما أن التمسك بالكتاب لا يعنى الإمساك به أو القبض عليه باليد، فإن (مس) الكتاب فى هذه الآية لا يعنى مجرد لمسه باليد، وإنما نزلت فيمن يحق لهم تفسير الكتاب وتأويله، والذين تدخلت الإرادة الإلهية بتطهيرهم (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب / ۳۳]. وحتى أن علماء الحديث عند أهل السنة يرون أن الحديث صلى الله عليه وآله وسلم (... كتاب الله وعترتى أهل بيتى) والمشهور بحديث الثقلين، أصح مما رواه [صفحه ۴۴] أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إنى قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما أبدا ما أخذتم بهما أو عملتم بهما: كتاب الله، وسنتى) [۲۵] فهذه الرواية التى أخرجها الحاكم فى مستدركه ليس فقط يقدم عليها حسب إجماع العلماء [۲۶] ما رواه مسلم فى صحيحه (... كتاب الله وعترتى أهل بيتى) فى حالة تناقضهما لأنها أوثق سندا، وإنما أيضا لعدم وضوح مفاد متنها. فجميع الفرق الإسلامية تقول بالتمسك بالسنة النبوية، ولكن لاختلاف هذه الفرق وتناقضها مع بعضها فى كثير من المسائل يجعل لكل منها سنة مختلفة عن السنن الأخرى، فأى من هذه السنن هى سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ ومن الأحاديث التى يحتج بها الشيعة تأييدا لحديث الثقلين، قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتى فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلفعنها غرق) [۲۷] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق، وأهل بيتى أمان لأمتى من الاختلاف) [۲۸] .

من هم أهل البيت؟

وقد اختلف المسلمون أيضا فى تحديد هوية أهل البيت، ويقول الشيعة: إن أهل بيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم هم: على، وفاطمة، والحسن، والحسين، ويحتجون فى ذلك بالأحاديث التالية: فمن صحيح مسلم بالإسناد إلى عائشة قالت: (خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن على فأدخله، ثم جاء الحسين [صفحه ۴۵] فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء على فأدخله، ثم قال: (إنمايريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [۲۹] . ومن صحيح مسلم أيضا، قال سعد بن أبى وقاص: (لما نزلت الآية: (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..) [آل عمران / ۶۱] دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا، وفاطمة، وحسنا، وحسينا، فقال:اللهم هؤلاء أهلى) [۳۰] وقد نزلت هذه الآية فى حادثة المباهلة مع نصارى نجران، حيث إن (أبناءنا) إشارة إلى الحسن والحسين، و (نساءنا) إشارة إلى فاطمة، و (أنفسنا)

إشارة إلى على، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: (أنت منى وأنا منك). ومن صحيح الترمذى، بالإسناد إلى عمرو بن أبى سلمة ربيب النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لما نزلت الآية (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب / ۳۳] فى بيت أم سلمة، دعا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة، وحسنا، وحسينا، وعلى خلف ظهره، فجللهم بكساء ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالت أم سلمة: وأنامعهم يا نبى الله؟ قال: أنت على مكانك وأنت على خير) [۳۱] . وفى مسند أحمد، تروى أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لفاطمة: (ائتينى بزوجك وابنيك) فجاءت بهم، فألقى عليهم كساء فدكيا، ثم وضع يده عليهم ثم قال: (اللهم إن هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتك وبركاتك على محمد وآل محمد، إنك حميد مجيد). قالت أم سلمة: فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من يدى وقال: إنك عليخير) [۳۲] . [صفحه ۴۶] وفى صحيح مسلم أيضا، عن زيد بن أرقم قال: (... فقلنا من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا، وأيم والله إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقهافترجع إلى أبيها وقومها. أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده) [۳۳] . ولكن أهل السنة يحتجون بالآيات التالية من سورة الأحزاب دليلا على أن نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم هن أيضا من أهل البيت: (يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا- وإن كنتن...) [الأحزاب / ۲۸] إلى قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب / ۳۳]. ولكن الشيعة يردون ذلك من عدة وجوه منها: إن مجئ آية تطهير أهل البيت ضمن سياق الآيات النازلة فى نساء النبى لا يعنى بالضرورة أن يكون المقصود فيهما واحدا، ذلك أنه يوجد العديد من آيات الكتاب الكريم التى تحوى الواحدة منها أمرين مختلفين تماما عن بعضهما. ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) [المائدة / ۳]. ومن وجه آخر: فقد جاء ضمير المخاطب لمن شملهم التطهير ب (عنكم، يطهركم) وليس بغير المخاطب لجمع المؤنث (عنكن - يطهركن)، كما جاء فى المواضع السابقة لذلك والتى خوطبت بها نساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم ب (كنتن، منكن، لستن، تخضعن، وقرن... الخ). [صفحه ۴۷] ومن وجه ثالث: فإن عليا، وفاطمة، والحسن، والحسين، وحدهم استحقوا تحية (عليهم السلام) دون غيرهم من الصحابة ونساء النبى صلى الله عليه وآله وسلم، مما يشير إلى خاصية وميزة فوق عادية ومن الأمثلة على ذلك كما أوردها البخارى: (عن على عليه السلام، قال: كانت لى... إلى قوله: فلما أردت أنأبنى بفاطمة عليه السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...) [۳۴] وأيضا: (وطرق النبى صلى الله عليه وآله وسلم باب فاطمة وعلى عليه السلام ليلة الصلاة) [۳۵] ، وكذلك: (.. قال: رأيت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وكان الحسن بن على عليه السلام يشبهه) [۳۶] . وهذه المزايا الاستثنائية لأهل البيت عليه السلام جعلتهم يقارنون بآل إبراهيم عليه السلام كما يروى البخارى بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، قال: (إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلى عليك؟ قال: قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد، كماصليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد) [۳۷] .

النصوص فى إمامة على بن أبى طالب

اشاره

لقد أحاط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليا منذ صغره بعناية خاصة، حيث تولى تربيته وإعداده، ودأب على الإشادة بمكانته

وفضائله فى كثير من المواقف حتى قام بتنصيبه رسميا حسب اعتقاد الشيعة ليكون خليفة وإماما للأمة بعده. ومن أشهر وأهم ما يقدمه الشيعة من أدلة على ذلك ما يلى:

بلاغ الغدير

بعد أن أدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حجه الأخير فى السنة الحادية عشرة للهجرة، والتى عرفت ب (حجة الوداع) وحضرها معه ما لا يقل عن تسعين ألفا حسب [صفحه ۴۸] أقل ما روى فى ذلك، وقبل أن تتفرق هذه الجموع الغفيرة نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند مكان خارج مكة يدعى غدير خم - وهو المكان الذى تتفرق منه الطرق إلى المدينة، والشام، والعراق، ومصر - قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [المائدة / ۶۷]. وقد نزلت هذه الآية فى الثامن عشر من ذى الحجة والتى يظهر منها أن الله سبحانه وتعالى يأمر نبيه بإعلان بلاغ على أثر ذلك بالتوقف، وخطب فيهم: (أيها الناس، إنى أوشك أن أدعى فأجيب، وإنى مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلغت ونصحت وجاهدت، فجزاك الله خيرا. قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جنته حق، وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من فى القبور؟ قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: اللهم اشهد، ثم قال: أيها الناس، ألا تسمعون؟ قالوا: نعم. قال: فإنى فرط على الحوض فانظرونى كيف تخلفونى فى الثقلين. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: الثقل الأكبر كتاب الله، والآخر الأصغر عترتى، وإن اللطيف الخبير نبأنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا. ثم أخذ بيد على فرفعها، وعرفه القوم أجمعون فقال: أيها الناس، من أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: إن الله مولاى، وأنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلى مولاه - قالها ثلاث مرات - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وأحب من أحبه، وأبغض من أبغضه، [صفحه ۴۹] وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلغ الشاهد الغائب) [۳۸] . ويتلخص تفسير الشيعة لهذه الخطبة بالنقاط التالية: أ - إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أراد من خطبته هذه أن يوصى الأمة بأمر فى غاية الأهمية متعلق بما سيكون عليه المسلمون بعد رحيله لأنه افتتح خطبته بالتلميح بقرب الأجل (أوشك أن أدعى فأجيب). ب - كانت مقدمة خطبته صلى الله عليه وآله وسلم بتذكير المسلمين بأهم أركان الإيمان وأصول الدين (التوحيد، النبوة، اليوم الآخر)، ثم أراد أن يضيف إليها أمرا جديدا بقوله: (فانظرونى كيف تخلفونى فى الثقلين). فما معنى إقران أهل البيت عليه السلام بالقرآن (إنهما لن يفترقا) إلا إذا كان هذا الأمر ركنا جديدا ذا أهمية قصوى ومتعلقا بالحساب الأخروى (حتى يردا على الحوض)، بمعنى أن الناس سيسألون عن تمسكهم بأهل البيت تماما كما سيسألون عن تمسكهم بالكتاب. ج - جاءت كلمة (مولى) بمعنى أسمى من مجرد المحب والصديق كما يقول المخالفون للشيعة فى تفسيرهم لهذا الحديث. فمن المستبعد أن يكون قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من كنت مولاه فعلى مولاه) يريد به (من كنت حبيبه وصديقه فهذا على حبيبه وصديقه). فما الجديد فى ذلك وقد وردت الكثير من التوجيهات النبوية التى تحض على حب جميع المؤمنين وموالاتهم بعضهم البعض؟ وإذا كان هذا هو المعنى المقصود، فلماذا سيقتصر هذا التوجيه والبلاغ بعلى وحده دون غيره، فلا بد إذا أن يكون لهذا التخصيص مراد فى غاية الأهمية ومنسجم مع أهمية البلاغ والظروف الزمانية والمكانية التى [صفحه ۵۰] أحاطت به (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته). فجاءت كلمة (مولى) لتكون قرينة لكلمة (أولى) إشارة لولاية على عليه السلام على المؤمنين، وامتدادا لولاية الرسول (أنا أولى بهم من أنفسهم). د - ومما يدل على عظمة هذا البلاغ (من كنت مولاه فهذا على مولاه) أن الله سبحانه وتعالى أنزل على نبيه بعد الانتهاء من خطبة الغدير وقبول تفرقجموع الحجيج [۳۹] : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا) [المائدة / ۳]. وما يرتبط أيضا بولاية على عليه السلام - حسب اعتقاد الشيعة - قولالرسول صلى الله عليه وآله وسلم:

(على منى وأنا منه وهو ولى كل مؤمن بعدى) [۴۰] ، وقوله تعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون) [المائدة / ۵۵]. وقد ذكر مفسرو الشيعة وأغلب مفسرى أهل السنة أن هذه الآية نزلت فى على عندما تصدق بخاتمه أثناء ركوعه فيصلاة غير مفروضة [۴۱] وكذلك قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [النساء / ۵۹]. فعن على إنه سألالرسول صلى الله عليه وآله وسلم: يا نبى الله من هم؟ قال: أنت أولهم [۴۲] . وعن أبى بصير، أنه سأل الإمام محمد الباقر عليه السلام عن قوله تعالى: (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم)، قال: (نزلت فى على بن أبى طالب، قلت: إن الناس يقولون: فما منعه أن يسمى عليا وأهل بيته فى كتابه، فقال الباقر عليه السلام: قولوا لهم: إن الله أنزل على رسوله الصلاة ولم يسم ثلاثا ولا أربعا حتى كان رسول الله يفسر ذلك، وأنزل الحج فلم ينزل [صفحه ۵۱] طوفوا سبعا حتى فسر لهم ذلك رسول الله، وأنزل (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) ففسرها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: أوصيكم بكتابالله وأهل بيتى، إنى سألت الله أن لا يفرق بينهما حتى يردا على الحوض، فأعطانى ذلك) [۴۳] .

منزلة هارون

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عندما خلفه على المدينة يوم غزوة تبوك: (ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبى بعدى) [۴۴] . والمراد بذلك أن المرتبة التى كانت لعلى من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هى نفسها التى كانت لهارون من موسى عليه السلام باستثناء النبوة. ولكن ما هى هذه المرتبة التى كانت لهارون من موسى؟ وتجد الإجابة فى سياق الآيات التالية: (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين) [الأعراف / ۱۴۲] (قال رب اشرح لى صدرى - ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى - يفقهوا قولى - واجعل لى وزيرا من أهلى - هارون أخى - اشدد به أزرى - وأشركه فى أمرى كى نسبحك كثيرا - ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا، قال قد أوتيت سؤلك يا موسى) [طه / ۲۵ - ۳۶]. (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا، فأرسله معى ردءا يصدقنى إنى أخاف أن يكذبون - قال سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون) [القصص / ۳۴ - ۳۵]. وتتلخص أوجه الشبه بين على وهارون حسب تفسير الشيعة لذلك الحديث وهذه الآيات بما يلى: أ - كان هارون أخا للنبى موسى عليه السلام، وكذلك كان اعتبار على من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما أخرج الترمذى فى صحيحه أنه عندما آخى [صفحه ۵۲] لرسول صلى الله عليه وآله وسلم بين المهاجرين والأنصار، جاءه على وسأله: آخيت بين أصحابكولم تؤاخ بينى وبين أحد، فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (أنت أخى فى الدنيا والآخرة) [۴۵] . بل إنه وحسب روايات أخرى كان أكثر من ذلك لقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم له: (أنتمنى وأنا منك) [۴۶] ، ومصداقا لما جاء فى قوله تعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندعو أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم..) [آل عمران / ۶۱] حيث دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند نزولهذه الآية عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: (اللهم هؤلاء أهلى) [۴۷] . ب - كان هارون وزيرا وشريكا لموسى عليه السلام لقوله تعالى على لسان موسى: (واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى - اشدد به أزرى - وأشركه فى أمرى) [طه / ۲۹ - ۳۱]، وكذلك فقد طلب النبى صلى الله عليه وآله وسلم العون من أقاربه عند نزول قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين) [الشعراء / ۲۱۴] حيث جمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم أقاربه من بنى عبد المطلب وكانوا يومئذ أربعين رجلا، وقال لهم: (يا بنى عبد المطلب إنى قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرنى الله (عز وجل) أن أدعوكم إليه، فأيكم يؤمن بى ويؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتى فيكم. فسكت القوم، وأعاد ذلك، وكلما كان يسكت القوم يقول على: أنا، وحتى إذا كانت المرة الثالثة، أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بيد على وقال: (إن هذا أخى ووصيى وخليفتى فيكم،فاسمعوا له وأطيعوا) [۴۸] . وروى الحافظ المحدث أبو نعيم الأصفهانى، بسنده عن ابن

عباس، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: (اللهم إن موسى بن عمران سألك وأنا محمد نبيك [صفحه ۵۳] أسألك أن تشرح لى صدرى، وتحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى، واجعل لى وزيرا من أهلى على بن أبى طالب أخى، اشدد به أزرى وأشركه فيأمرى) [۴۹] . ح - كان هارون المفضل عند موسى على جميع بنى إسرائيل ليس لكونه أخاه، وإنما لاتصافه بمزايا تؤهله للقيام بمهام الدعوة والتبليغ والاستخلاف (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح) [الأعراف / ۱۴۲] ولو لم يكن كذلك لاستحال اختياره. وهكذا فإن عليا لا بد وأن يكون كذلك فى الأفضلية لنيله واستحقاقه عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم المراتب نفسها التى كانت مستحقة لهارون عند موسى عليه السلام. ومن كل ما سبق، فإن ما كان لهارون عند موسى عليه السلام من مراتب الوزارة، والاستخلاف، والشراكة، والأفضلية تنتقل جميعها إلى على عليه السلام كمراتب خاصة له باستثناء النبوة. ومن المعلوم أن هارون عليه السلام مات فى حياة موسى ولو عاش بعده لكان خليفته، وحل مكانه يوشع بن نون (أو اليسع كما ذكر فى القرآن) [۵۰] كوصى لموسى عليه السلام. وأما وجه الشبه بين على ويوشع بن نون فهو كما ذكر المحقق السيد مرتضى العسكرى: (إن يوشع بن نون كان مع موسى فى جبل ولم يعبد العجل، وأمر الله نبيه موسى أن يعينه وصيا من بعده لئلا تكون بنى إسرائيل كالغنم بلا راع وكان الإمام على مع النبى فى غار حراء، ولم يعبد صنما قط وأمر الله نبيه فى رجوعه من حجة الوداع أن يعينه بمسمع من الحجيج قائدا للأمة بعده، ولا يترك أمته هملا، وقد صدع بذلك [صفحه ۵۴] رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى غدير خم. وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال: (ليأتينعلى أمتى ما أتى على بنى إسرائيل حذو النعل بالنعل) [۵۱] .

باب مدينة العلم والحكمة

فى الحديث الشريف، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا مدينة العلم وعلى بابها، فمن أراد العلم فيأت الباب) [۵۲] قال الحاكم النيسابورى: هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين (البخارى ومسلم) ولم يخرجاه. وفى صحيحالترمذى، قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا مدينة الحكمة وعلى بابها) [۵۳] . وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضا فى علم على: (أنت تبين لأمتى ما اختلفوا فيهمن بعدى) [۵۴] ، وفى صحيح البخارى، قال عمر بن الخطاب: (أقرؤنا أبى وأقضانا على) [۵۵] ، ومن البديهى أن يكون الأقضى هو الأعلم بقوانين الشريعة وأحكامها. ولا غرابة فى كثرة رجوع الصحابة إليه بعد رحيل المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كلما كانت تواجههم معضلة. ومن ذلك، ما رواه ابن عباس قال: (أتى عمر بمجنونة قد زنت، فاستشار فيها أناسا، فأمر بها عمر أن ترجم، فمر بها على على بن أبى طالب عليه السلام فقال: ما شأن هذه؟ قالوا: مجنونة بنى فلان زنت. فأمر بها عمر أن ترجم فقال: ارجعوا بها، ثم أتاه وقال: يا عمر أما علمت أن القلم قد رفع عن ثلاثة، عن المجنون حتى يبرأ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يعقل؟ قال: بلى. قال: فما بال هذه ترجم؟ قال: لا شئ، قال: فأرسلها. قال ابن عباس: [صفحه ۵۵] فجعل عمر يكبر [۵۶] وقد أخرج البخارى هذه الرواية مبتورة [۵۷] ومن ذلك أيضا عندما أمر عمر برجم امرأة حامل زنت، فقال له على: وما سلطانك على ما فى بطنها؟ وقد كان عمر يقول تكرارا كلما كان يجيبه على عليه السلام عما يسأله ليفرجعنه: (لولا على لهلك عمر). وقوله: (لا أبقانى الله بعدك يا على) [۵۸] . وقوله: (لا أبقانى الله لمعضلة ليس على فيها) [۵۹] . وإذا كانت صحبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تعتبر شرفا وعلو منزلة، فإن عليا عليه السلام لم يفارق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حياته. فمنذ صغره قبل البعثة وقد أصاب قريش أزمة شديدة، وكان أبو طالب كثير العيال، فأخذ العباس جعفرا ليخفف عنه، وأخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم عليا، فكان أول من اتبعه وصدقه عندما بعثه الله نبيا ويقول على عليه السلام فى ذلك: (وقد علمتم موضعى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة، وضعنى فى حجره وأنا ولد، يضمنى إلى صدره، ويكنفنى فراشه ويمسنى جسده، ويشمنى عرفه، وكان يمضغ الشئ فيلقمنيه، وما وجد لى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل)... إلى قوله: (ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل أثر أمه،

يرفع لى فى كل يوم من أخلاقه علما، ويأمرنى بالاقتداء به، ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء، فأراه ولا يراه غيرى، ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحى والرسالة وأشمريح النبوة) [۶۰] ويقول أيضا: (وكان لا يمر بى من ذلك شئ إلا سألته عنه وحفظته) [۶۱] . [صفحه ۵۶] وقد كان على عليه السلام فعلا بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم باب لمدينة علمه حيث كان يقول: (علمنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ألف باب من العلم، وتشعب لى من كل بابألف باب) [۶۲] ، وكان يقول تكرارا: (سلونى قبل أن تفقدونى... والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت وأين نزلت) [۶۳] . وفى قول آخر: (فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فيسهل أم فى جبل...) [۶۴] وروى ابن عساكر عن سعيد بن المسيب، قال: (لم يكن أحد من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقول (سلونى) إلا على) [۶۵] .

ميزان الإيمان

فى صحيح مسلم، قال على عليه السلام: (والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبى الأمى إلى أن لا يحبنى إلا مؤمن ولا يبغضنى إلا منافق) [۶۶] وعن أم سلمة، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يحب عليا منافق ولا يبغضه مؤمن) [۶۷] وقال أبو سعيد الأنصارى: (إنا كنا لنعرف المنافقين – نحن معشر الأنصار – ببغضهم على بن أبى طالب) [۶۸] ، وعن أبى ذر الغفارى قال: (ما كنا نعرف المنافقين إلا بتكذيبهم الله ورسوله والتخلف عن الصلوات والبغض لعلى بن أبى طالب) [۶۹] . [صفحه ۵۷] وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من يريد أن يحيى حياتى ويموت موتى ويسكن جنة الخلد التى وعدنى ربى فليتول على بن أبى طالب فإنه لن يخرجكم منهدى ولن يدخلكم فى ضلالة) [۷۰] . وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (يا على طوبى لمن أحبك وصدق فيك،وويل لمن أبغضك وكذب فيك) [۷۱] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (إن الأمة ستغدر بك بعدى وأنت تعيش على ملتى، وتقتل على سنتى، من أحبك أحبنى ومنأبغضك أبغضنى) [۷۲] وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (من سب عليا فقد سبنى، ومن سبنى فقد سب الله تعالى) [۷۳] .

عديل الحق والقرآن

قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (على مع القرآن والقرآن مع على لن يتفرقا حتى يردا على الحوض) [۷۴] ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (على مع الحق والحق معه، يدور الحق معه حيث دار) [۷۵] ومن الواضح أن هذه الأحاديث منسجمة فى معناها مع حديث الثقلين الذى مر سابقا. فى صفحات هذا الكتاب. وقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (إن منكم من يقاتل على تأويله (القرآن) كما قاتلت على تنزيله). قال أبو سعيد الخدرى: فقام أبو بكر وعمر. فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:(لا ولكن خاصف النعل. وكان على يخصف نعله) [۷۶] وقد فهم مفسرو القرآن من الشيعة من هذا الحديث أن الآية: (وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم) [آل عمران / ۷] نزلت فى أهل البيت عليه السلام. [صفحه ۵۸]

مؤهلات الخلفاء والأئمة

عند أهل السنة

الشروط الأساسية

يـذكر البغـدادى الشـروط الأساسـية التالية التى ينبغى توفرها فى الخلفاء والأئمة، ويمثل رأيه موقف غالبية العلماء عند أهل السـنة: ١ - العلم: وأقل ما يكفيه منه أن يبلغ فيه مبلغ المجتهدين بالحلال والحرام. ٢ - العدل والورع: وأقل ما يجب فيه من هذه الخصلة أن يكون ممن يجوز قبول شهادته. ٣ - الاهتـداء إلى وجوه السياسة، وحسن التدبير، والمعرفة بمراتب الناس، والحروب.۴ - أن يكون نسبه من قريش [٧٧] ويضـيف آخرون للشـروط المذكور: - الذكورة، والبلوغ، والعقل، والشـجاعة، والحرية، وغيرها. ولا يشترط أهل السنة فى الخليفـة أو الإمـام أن يكون أفضـل أهل زمانه، ودليل ذلك يوضـحه الباقلانى بقوله: (وأما ما يـدل على جواز العقـد للمفضول وترك الأفضل لخوف الفتنة والتهارج فهو أن الإمام إنما ينصب لدفع العدو، وحماية البيضة، وسد الخلل، وإقامة الحدود، واستخراج الحقوق، فـإذا خيف بإقامـة أفضـلهم الهرج، والفسـاد، والتغالب، وترك الطاعـة، واختلاف [صـفحه ۵۹] السـيوف، وتعطيـل الأحكام والحقوق، وطمع عدد من المسلمين فى اهتضامهم وتوهين أمرهم، صار ذلك عذرا واضحا فى العدول عن الفاضلإلى المفضول [٧٨] ودليله على ذلك أن عمر بن الخطاب أجاز اسـتخلاف أى واحـد من السـتة الـذين عينهم ليختاروا واحـدا منهم ليكون الخليفـة بعـده، مع علمه أن فيهم فاضـلا ومفضولا، ولم ينكر عليه أحـد من الصـحابة ذلك، فثبتت بـذلك إمامـة المفضول على الفاضل. ويقول ابن حجر المكى: (إنه لو لزم تعيين الأفضل، لقام عمر بتعيينعثمان دون الحاجة لجعلها شورى فى سـتة) [٧٩] ، لأـن عثمان برأيه كان أفضل من على عليه السلام والأربعة الآخرين. وأما بشأن العلم اللازم للخليفة أو إمام الأمة، فالباقلانى يقول: (إن الأمة لا تحتاج إلى علم متميز له، وإن غلط فى شـئ من مهماته الموكلة إليه،فإن الأمة من ورائه سـتقومه) [٨٠] حيث إن الأمة سـتمارس سـلطاتها من خلال هيئة تمثلها تعرف ب (مجلس أهل الحل والعقد).

العصمة للخلافة و ليست للخليفة

ومما يلفت الانتباه أن أحـد علماء أهل السـنة البارزين يقول بعصـمة منصب الخلافـة والإمامـة وإن لم يكن الخليفـة أو الإمام معصوما. فهذا فخر الدين الرازى يرى فى تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [النساء / ۵۹]، أن فيهـا دلالـة على هـذه العصـمة، فهو يقول: (إن الله تعـالى أمر بطاعـة أولى الأمر على سبيل الجزم والقطع، فلا بـد أن يكون [ولى الأمر] معصومـا عن الخطأ، إذ لو لم يكن [صـفحه ۶۰] معصومـا عن الخطأ كان بتقـدير إقـدامه على الخطأ يكون قـد أمر الله باتباعه، فيكون ذلـك أمرا بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه منهيا عنه، فهـذا يفضـى إلى اجتماع الأمر والنهى فى الفعل الواحـد بالاعتبار الواحـد، وإنه محـال، فثبـت أن الله تعـالى أمر بطاعـة أولى الأـمر على سبيـل الجزم، وجب أن يكـون معصومـا عن الخطأ،فثبت قطعـا أن أولى الأـمر المذكورين فى هذه الآية لا بد وأن يكونوا معصومين) [٨١] . ولأنه وافق برأيه هذا قول بعض الفرق الأخرى القائلة بعصمة الأئمة، فإنه اسـتدرك على الفور قائلا: (إننا فى زماننا عاجزون عن معرفـة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليه، عاجزون عن اسـتفادة الدين والعلم منه، فإذا كان الأمر كـذلك، فالمراد ليس بعضا من أبعاض الأمـة، بل المرادهو أهل الحل والعقـد من الأمة) [٨٢] . وأهل الحل والعقـد هم الـذين تثق بهم الأمـة من العلماء ورؤساء الجنود، والسـرايا، وأولياء الدولـة، وسـراة القوم، وغيرهم من يمثلون الأمة، فتكون العصـمة للمجلس الـذى يضم هؤلاـء الممثلين وليس لأى فرد منهم، ورأيهم النهائى لا يمكن وقوع الخطأ فيه على حسب رأى الرازى، بل لا بد وأن يكون دائما مصيبا وموافقا للكتاب والسنة، وهو من عناية الله على الأمة. ثم يستدلعلى ذلك بما نسب قوله إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تجتمع أمتى على خطأ) [٨٣] .

بماذا ينخلع الخليفة؟

تبين مما سـبق أن أهل السـنة لا يشترطون فى إمام الأمـة العصـمة ولا الأعلميـة ولا حتى الأفضـلية، بل يكتفون بأن يكون عنده قدر من

العلم وإن قل، ودرجة من العدالة والتقوى تكفى لقبول شهادته، وحسن التدبير فى شؤون [صفحه ۶۱] السياسة والحرب والنسب القرشى وغيرها كما مر فى الصفحات السابقة، ولكن هل ينخلع الخليفة أو الإمام فى حالة عدم توفره على الحد الأدنى لهذه المؤهلات أو انتفاء أحدها كلية فيه؟ يجيب أبو بكر الباقلانى عن ذلك: (لا ينخلع الإمام بفسقه وظلمه بغصب الأموال، وضرب الأبشار، وتناول النفوس المحرمة، وتضييع الحقوق، وتعطيل الحدود، ولا يجب الخروج عليه، بل يجب وعظه وتخويفه، وتركطاعته فى شئ مما يدعو إليه من معاصى الله) [۸۴] . ويقول الطحاوى: (ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدا من طاعتهم ونرى طاعتهم من طاعةالله (عز وجل) فريضة ما لم يأمر بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة) [۸۵] . وقال أيضا: (والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين برهموفاجرهم إلى قيام الساعة) [۸۶] . ويرد سعد الدين التفتازانى موقف أهل السنة فى عدم جواز الخروج عن طاعة الإمام الفاسق بقوله: (ولا ينعزل الإمام بالفسق أو بالخروج عن طاعة الله تعالى أو بالجور، لأنه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمة والأمراء بعد الخلفاء الراشدين، وكان السلف ينقادون لذلك، ويقيمون الجمعوالأعياد بإذنهم، ولا يرون الخروج عليهم) [۸۷] . [صفحه ۶۲]

عند الشيعة

اشاره

نظرا لعلو منصب الإمامة عند الشيعة، واعتبارهم له منصبا إلهيا وامتدادا للنبوة فى وظائفها الرسالية، فإنهم يعتقدون بوجوب اتصاف الأئمة بمواصفات استثنائية، وفوق مستوى الناس العاديين. وأهم هذه المواصفات:

العصمة

بمعنى استحالة ارتكاب الإمام لأى من الرذائل صغيرها وكبيرها، وما ظهر منها وما بطن. وأهم ما يستدل به الشيعة على مبدأ العصمة من آيات الكتاب ما يلى: أ – قوله تعالى: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) [البقرة / ۱۲۴]. فالآية الكريمة تشير إلى أن نيل عهد الله وهو إمامة البشرية المتمثلة بالأنباء وخلفائهم، لا يمكن أن تكون من نصيب ظالم، والخطيئة كبيرها وصغيرها، ظاهرها وباطنها تجعل من مرتكبها ظالما. ب – قوله تعالى: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب / ۳۳]. فالرجس فى هذه الآية هو الإثم، والمراد من إذهابه الرجس عن أهل البيت هو تنزيههم عن كل ما يوجب نقصا فيهم، وأى ذنب مهما صغر وبطن فإنه موجب فى نقص متصرفة، فكانت إرادة الله عز وجل) تطهيرهم من كل الذنوب. ويرى الشيعة إن المراد بالتطهير فى هذه الآية لا يمكن أن يكون مجرد التقوى بالاجتناب عن النواهى، حيث إن هذا المعنى لا يختص بأهل البيت عليه السلام وحدهم، وإنما هو لعموم الناس لقوله تعالى: (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم) [المائدة / ۶]، [صفحه ۶۳] ج – قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [النساء / ۵۹]. ويعتقد الشيعة أن أولى الأمر فى هذه الآية هم الأئمة الاثنا عشر عليه السلام، ويقولون: إنه لو احتمل ارتكاب أحدهم المعصية والإثم لما أمر الله سبحانه وتعالى الناس بطاعتهم، لا سيما وأن هذا الأمر جاء مطلقا دون أن يكون محصورا بأى قيد أو شرط، وقد اعتبرت طاعتهم بمستوى طاعة الله ورسوله كما يظهر جليا من تسلسل الأمر فى الآية. وهذا التفسير مطابق لتفسير الفخر الرازى – كما مر سابقا مع اختلاف فى تحديد هوية أولى الأمر.

الافضلية

ويعتقد الشيعة أيضا أن الإمام ينبغى أن يكون أفضل أهل زمانه فى صفات الكمال من شجاعة، وكرم، وعفة، وصدق، وعدل، وتدبير، وعقل، وحكمة، وخلق.

الاعلمية

ولأن الإمام عند الشيعة ليس مجرد رجل سياسة وحرب كما هو عند غيرهم، بل الحافظ للشرع بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم والمبين للناس أحكام الدين والكاشف لأسراره، فإنه ينبغى أن يكون علمه منسجما مع هذه المهمة العظيمة. وبالتأكيد، فإن هذا الانسجام لا يتحقق إلا بدرجة استثنائية من العلم وليس مجرد معرفة الحلال والحرام. يقول الشيخ محمد رضا المظفر فى هذا الصدد: (أما علمه، فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو الإمام الذى قبله، وإذا استجد شئ لا ـ بد أن يعلمه من طريق الإلهام بالقوة الحدسية التى أودعها الله فيه، ولا ـ يحتاج فى ذلك إلى البراهين العقلية، ولا إليتلقينات المعلمين) [۸۸] . [صفحه ۶۴] ثم يوضح أن هذا النوع من الإلقاء هو غير الوحى المخصوص بالأنبياء بقوله: (لقد ثبت فى الأبحاث النفسية أن كل إنسان له ساعة أو ساعات فى حياته قد يعلم فيها ببعض الأشياء عن طريق الحدس الذى هو فرع من الإلهام، بسبب ما أودع الله تعالى فيه من قوة على ذلك. وهذه القوة تختلف شدة وضعفا وزيادة ونقيصة فى البشر باختلاف أفرادهم، فيظفر ذهن الإنسان فى تلك الساعة إلى المعرفة من دون أن يحتاج إلى التفكير، وترتيب المقدمات، والبراهين أو تلقين المعلمين، ويجد كل إنسان من نفسه ذلك فى فرص كثيرة فى حياته، وإذا كان الأمر كذلك فيجوز أن يبلغ الإنسان من قوته الإلهامية أعلى الدرجات وأكملها، وهذا أمر قرره الفلاسفة المتقدمون والمتأخرون) - إلى أن يقول: (والأئمة عليه السلام كالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإنهم لم يتربوا على أحد، ولم يتعلموا على يد معلم، من مبدأ طفولتهم إلى سن الرشد، حتى القراءة والكتابة، ولم يثبت عن أحدهم إنه دخل الكتاتيب أو تتلمذ على يد أستاذ فى شئ من الأشياء، مع ما لهم من منزلة علمية لا تجارى، وما سئلوا عن شئ أجابوا عنه فى وقته، ولم تمر على ألسنتهم (لا أدرى). فى حين إنك لا تجد شخصا من فقهاء الإسلام ورواته وعلمائه إلا ذكرت فى ترجمته تربيته وتلمذته وأخذه الرواية على غيره، وتوقفه فى بعض المسائل أوشكه فى كثير من المعلومات كعادة البشر فى كل عصر ومصر) [۸۹] . بقى أن نذكر أن هذه المؤهلات هى مما يخص الأئمة الاثنى عشر من أهل البيت عليه السلام المنصوص على خلافتهم حسب اعتقاد الشيعة. وأما فى عصر غيبة الإمام الثانى عشر المهدى المنتظر عليه السلام، فإنه لا يشترط فيمن ينوب عنه (وهم فى هذه الحالة: الفقهاء العدول) العصمة، وهؤلاء النواب، هم كسائر البشر يجدون ويجتهدون فى تحصيل العلم، فيصيبون ويخطئون. [صفحه ۶۵] القسم الثانى الخلافة والإمامة فى الواقع التاريخى تقديم الفصل الأول: خلافة أبى بكر الفصل الثانى: خلافة عمر الفصل الثالث: خلافة عثمان الفصل الرابع: خلافة على الفصل الخامس: خلافة الحسن بن على الفصل السادس: خلافة معاوية بن أبى سفيان الفصل السابع: خلافة يزيد بن معاوية الفصل الثامن: خلافة عبد الله بن الزبير [صفحه ۶۷]

الخلافة والإمامة فى الواقع التاريخى

تقديم

عند دراسة الواقع التاريخى للخلافة والإمامة، فإنه ينبغى اعتبار كل من جوانبها السياسية وهى المتعلقة بطرق الوصول إلى هذا المنصب والصراعات والتحولات التى رافقت ذلك، وجوانبها الدينية وهى المتعلقة بتشريع الأحكام وحفظها والاجتهاد فيها عن طريق الخلفاء، وذلك لما كان لهم على مر التاريخ الإسلامى من تأثير مباشر ليس فقط فى التحليل والتحريم وصك الفتاوى، وإنما فى تكون الفرق والمذاهب وانتشارها من جهة، وتحجيم بعضها والقضاء عليها من جهة أخرى. ولا غرابة فى ذلك باعتبار المكانة السامية التى أرادها

الله (جل وعلا) لمنصب خلافة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بالإضافة إلى ما اجتمعت عليه الفرق والمذاهب الإسلامية فى عدم الفصل بين الدين والدولة. وفى الوقت الذى يفرض فيه المنطق الإسلامى جعل الدولة وسياساتها أداة لخدمة الدين الإلهى ووسيلة لتحقيق غاياته، فإن حكام المسلمين على مر التاريخ لم يلتزموا بالضرورة بهذا المبدأ، إن لم يكن قد عمل معظمهم ضده! وعلى كل حال، فإننا سنحاول دراسة هذا الواقع التاريخى بإلقاء الضوء على تلك الجوانب فى ثمانية فصول، كل فصل خصص لاستعراض أهم الأحداث التاريخية التى حدثت فى عهد كل من الخلفاء الثمانية الأوائل فى أهم مرحلة من مراحل تاريخنا الإسلامى، وهى مرحلة صدر الإسلام والتى رسمت فيها الخطوط العريضة والملامح الأساسية لصورة دولة الخلافة، والتى بقيت محافظة عليها لحين سقوطها فى مطلع القرن الحالى. [صفحه ۶۸]

خلافة أبى بكر

انكار عمر لوفاة الرسول

بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى، وانشغال على ومن معه من أهل البيت عليه السلام وبنى هاشم بتجهيز الجسد الطاهر، كان وجوه المهاجرين مجتمعين فى المسجد، وقد علا صوت عمر معلنا إنكاره لوفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلمبقوله: (والله ما مات رسول الله، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم) [۹۰] . وكان أبو بكر فى غضون تلك الأثناء فى السنح، خارج المدينة، ولما رجع وعلم بوفاة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، خرج إلى المسجد وقال لعمر: (أيها الحالف على رسلك.. ألا من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومنكان يعبد الله فإن الله حى لا يموت) [۹۱] ثم تلا قوله تعالى: (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين) [آل عمران / ۱۴۴].

اجتماع سرى للأنصار

وأما الأنصار، فقد اجتمعوا سرا فى سقيفة بنى ساعدة لاختيار خليفة منهم، كان أبرز الطامحين لذلك المنصب زعيم الخزرج، سعد بن عبادة، وزعيم الأوس، أسيد بن حضير، وكان بين القبيلتين تنافس قديم وتحاسد. [صفحه ۶۹] وقام سعد وخطب فيهم: (يا معشر الأنصار، إن لكم سابقة فى الدين، وفضيلة فى الإسلام ليست لقبيلة من العرب، إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لبث فى قومه بضع عشرة سنة، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأوثان، فما آمن به إلا قليل... حتى أراد الله تعالى لكم الفضيلة، وساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، ورزقكم الإيمان به وبرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والمنع له ولأصحابه والإعزاز لدينه، والجهاد لأعدائه – إلى قوله: ودانت بأسيافكم له العرب، وتوفاه الله تعالى وهو راض عنكم، قرير العين، فشدوا أيديكم بهذا الأمر،فإنكم أحق الناس وأولاهم به) [۹۲] . وقد كان طمع الأنصار بالإمارة ليس فقط للأسباب التى ذكرها سعد بن عبادة، وإنما أيضا بسبب تخوفهم من بعض قبائل قريش إذا استلموا الإمارة، والذين قتل منهم الأنصار عددا كبيرا فى غزواتهم مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. ولما كان سعد بن عبادة هو المرشح الأقوى للخلافة بين الأنصار، ذهب اثنان من قبيلة الأوس حسدا لسعد وهما معن بن عدى، وعويم بن ساعدة، وأخبرا أبا بكر وعمر – اللذين كانا حينئذ فى بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم – باجتماع الأنصار، فأنطلق الشيخان مسرعين إلى السقيفة دون أن يخبرا أحدا بالأمر، ولقيا أبا عبيدة بطريقهما فرافقهما.

ابوبكر و عمر فى مواجهة ساخنة مع الأنصار

وفور دخول الثلاثهٔ إلی السقیفهٔ، قام سعد بن عبادهٔ، مخاطبهم: (أما بعد، فنحن أنصار الله وکتیبهٔ الإسلام، وأنتم معشر المهاجرین رهط، وقد دفت دافهٔ من قومکم، فإذا هم یریدون أن یختزلونا من أصلنا، وأن یحضنونامن الأمر) [۹۳] . [صفحه ۷۰] فأراد عمر أن یرد علیه، فقال له أبو بکر علی رسلک فقام وخطب قائلا: (... فکنا معشر المهاجرین أول الناس إسلاما، والناس لنا فیه تبع، ونحن عشیرهٔ رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ونحن مع ذلک أوسط العرب أنسابا، لیست قبیلهٔ من قبائل العرب إلا لقریش فیها ولادهٔ. وأنتم أیضا والله الذین آووا ونصروا، وأنتم وزراؤنا فی الدین، ووزراء رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأنتم أحق الناس ألا یکون هذا الأمر اختلافه علی أیدیکم، وأبعد عن أن تحسدوا إخوانکم علی خیر ساقه الله تعالی إلیهم، وإنما أدعوکم إلی أبی عبیدهٔ أو عمر، وکلاهما قدرضیت لکم وهذا الأمر، وکلاهما له أهل) [۹۴] فقال عمر: (بل نبایعک أنت، فأنت سیدنا وخیرنا وأحبنا إلی رسول الله) [۹۵] . فقام الحباب بن المنذر وهو أحد وجهاء الأنصار والمؤید لتأمیر سعد بن عبادهٔ وقال: (فنحن لا نحسدکم علی خیر ساقه الله إلیکم... ولکنا نشفق مما بعد الیوم، ونحذر أن یغلب علی هذا الأمر من لیس منا ولا منکم، فلو جعلتم الیوم رجلا منا ورجلا منکم بایعنا ورضینا، علی أنه إذا هلک اخترنا آخر من الأنصار، فإذا هلک اخترنا آخر من المهاجرین أبدا ما بقیت هذهالأمهٔ) [۹۶] وکان قول الحباب حسب روایهٔ البخاری: (أنا جذیلها المحکک، وعذیقها المرجب، منا أمیر ومنکم أمیر یا معشر قریش. فکثر اللغط، وارتفعت الأصوات، حتی فرقتمن الاختلاف) [۹۷] . ومع تأزم الموقف إلی هذا الحد، قام عمر وقال بشدهٔ: (هیهات أن یجتمع سیفان فی غمد واحد، إنه والله لا یرضی العرب أن تؤمرکم ونبیها من غیرکم، ولکن العرب لا ینبغی أن تولی هذا الأمر إلا من کانت النبوهٔ فیهم، [صفحه ۷۱] وأولو الأمر منهم، لنا بذلک علی من خالفنا من العرب الحجهٔ الظاهرهٔ والسلطان المبین. من ینازعنا سلطان محمد وومیراثه، ونحن أولیاؤه وعشیرته إلا مدلبباطل، أو متجانف لإثم أو متورط فی هلکهٔ!) [۹۸] . فرد الحباب بن المنذر: (یا معشر الأنصار، أملوا علیکم أمرکم ولا تسمعوا مقالهٔ هذا وأصحابه، فیذهبوا بنصیبکم من هذا الأمر، فإن أبوا علیکم ما سألتم، فاجلوهم عن بلادکم، وتولوا هذا الأمر علیهم، فأنتم والله أولی بهذا الأمر منهم، فإن دان لهذا الأمر ما لم یکن یدین له بأسیافنا. أما والله إنشئتم لنعیدنها جذعهٔ، والله لا یرد علی أحد إلا حطمت أنفه بالسیف) [۹۹] . انشقاق الأنصار ومبایعهٔ أبی بکر لما رأی بشیر بن سعد الخزرجی ما اتفق علیه قومه من تأمیر ابن عمه سعد بن عبادهٔ - کما یروی ابن قتیبهٔ - قام حسدا لسعد، وأعلن تأییده للمهاجرین واستعداده لإعطاء البیعهٔ لهم، فقام أبو بکر ورشح عمر أو أبا عبیدهٔ للإمارهٔ، ولکنهما قدماه للأمر وبایعاه. ولما سبقهما إلیه بشیر الأنصاری وبایعه، ناداه الحباب بن المنذر قائلا: یا بشیر بن سعد، حسدت ابن عمکعلی الإمارهٔ؟ قال: لا والله، ولکنی کرهت أن أنازع قوما حقا لهم [۱۰۰] . ولما رأت قبیلهٔ الأوس ما صنعه بشیر بن سعد، وعلمهم برغبهٔ الخزرج من تأمیر سعد بن عبادهٔ، قال زعیمهم أسید بن حضیر: لئن ولیتموها سعدا علیکم، لا زالت لهم بذلک علیکم الفضیلهٔ، ولا جعلوا لکم نصیبا فیها أبدا، فقوموا فبایعوا أبا بکر، فقاموا إلیه وبایعوه. وتری عائشهٔ حسب ما رواه البخاری أن العامل الحاسم فی إعطاء البیعهٔ لأبیها لم یکن تحاسد الأنصار، [صفحه ۷۲] وإنما: (فما کان من خطبتهما - أبی بکر وعمر - من خطبهٔ إلا نفع الله بها، لقدخوف عمر الناس، وأن فیهم لنفاقا فردهم الله بذلک) [۱۰۱] . وهکذا بایع کل من حضر السقیفهٔ من الأوس والخزرج باستثناء الحباب ابن المنذر وسعد بن عبادهٔ، والذی اعترضهم أثناء تقدمهم لإعطاء البیعهٔ، فطرح أرضا حتی کادوا أن یطأوا علیه، فقال: قتلتمونی. فقال عمر: اقتلوه،قتله الله [۱۰۲] ومن المعلوم أن سعدا فارقهم منذ ذلک الوقت، ولم یصل معهم، ولم یجتمع باجتماعاتهم حتی قیل إنه لو وافقه أحد علی قتالهم لقاتلهم. ولم یزل کذلک حتی ولی عمر بن الخطاب، فخرج إلی الشام دون أن یبایع لأحد، بل قال لعمر عند خروجه: إنی أصبحت کارها لجوارک. وعلی حسب بعض المصادر التاریخیهٔ أن سعدا قتل فی الشام علی ید الجن! وبعد حصولهم علی بیعهٔ الأنصار، انتقل أبو بکر، وعمر، وأبو عبیدهٔ إلی المسجد حیث وجدوا بنی أمیهٔ وقد اجتمعوا علی عثمان، وبنی زهرهٔ علی سعد بن أبی وقاص وعبد الرحمن بن عوف. فقال لهم عمر: قوموا فبایعوا أبا بکر، فقد بایعته وبایعه الأنصار، فقام عثمان وسعد وعبد الرحمن فبایعوا. ویذکر المؤرخون أن عمر کان یحمل بیده عسیب نخل یحث بها الناس علی البیعهٔ.

موقف علی بن أبی طالب

كان على عليه السلام ومن معه من بنى هاشم وبعض الصحابة (أمثال الزبير، وطلحة، وعمار، وسلمان، وأبى ذر، والمقداد، وخزيمة ذى الشهادتين، وخالد بن سعيد، وأبى بن كعب، وأبى أيوب الأنصارى، وغيرهم) منشغلين بما أصاب المسلمين من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، والقيام بالواجب من تجهيز الجثمان الطاهر وتهيئته للتشييع إلى المثوى الأخير، ولم يعلموا بما حصل فى [صفحه ۷۳] السقيفة والبيعة التى تمت إلا بعد خروج أبى بكر وعمر ومن معهما من المسجد فى ضجيجهم وسماعهم لتكبيرهم. وروى أن عليا قال عندما علم باحتجاج أبى بكر وعمر على الأنصار بقرشيتهم كأساس لاستحقاقهمللخلافة: (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة) [۱۰۳] . وامتنع على ومن معه عن البيعة عندما جاءهم عمر طالبا منهم ذلك، حتى أن الزبير بن العوام أشهر سفيه تحديا فى وجه عمر ومن معه. ويذكر عباس محمود العقاد هذه الحقيقة التاريخية فى كتابه (عبقرية عمر) كما يلى: (واستكثروا من عمر صرامته فى الدعوة على إلى مبايعة أبى بكر كما جاء فى بعض الروايات التى نرجح صحتها، وخلاصتها: إن عمر أتى منزل على وبه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين، فقال: والله لأحرقن عليكم الدار أو لتخرجن إلى البيعة، فخرج الزبير مصلتا بالسيف، فسقط السيف من يده فوثبوا عليه فأخذوه. أو قال لهما عمر فى رواية: أخرى: والله لتبايعان وأنتماطائعان أو لتبايعان وأنتما كارهان). [۱۰۴] . ثم ذهب على ليعبر عن احتجاجه ورفضه فى حضرة أبى بكر قائلا: (أنا عبد الله وأخو رسوله وأحق بهذا الأمر منكم، وأنتم أولى بالبيعة لى، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وتأخذونه [أمر الخلافة] منا أهل البيت غصبا؟... وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حيا وميتا، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبؤوا بالظلم وأنتم تعلمون. إلى قوله: لنحن أحق به لأنا أهل البيت، ونحن أحق بهذا الأمر منكم ما دام فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه فى دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، الدافع عنهم الأمور [صفحه ۷۴] السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عنسبيل الله، فتزدادوا عن الحق بعدا) [۱۰۵] . فقال له عمر: أنت لست متروكا حتى تبايع. فقال له على عليه السلام: إحلب حلبا لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدا. والله يا عمر لاأقبل قولك ولا أبايع [۱۰۶] ثم خرج دون أن يبايع، وبقى كذلك هو ومن معه لمدة ستة شهور. ويؤكد البخارى هذه الحقيقة بما يرويه عن عمر: (وإنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الأنصار خالفونا، واجتمعوابأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة، وخالف منا على والزبير ومن معهما) [۱۰۷] . ومما روى أيضا عن عمر أثناء خلافته أنه قال لابن عباس: (إن الناس كرهوا أنيجمعوا لكم النبوة والخلافة، وإن قريش اختارت لنفسها فأصابت) [۱۰۸] . وقد ثبت تاريخيا أنه لو كان لعلى عليه السلام القوة الكافية لانتزاع حقه دون حصول الفتنة لفعل. ومن ذلك ما يرويه البخارى من قول عائشة: (.. وعاشت فاطمة بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها. وكان لعلى من الناس وجه حياة فاطمة، فلما توفيت استنكر على وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا ولا يأتنا أحد معك، كراهية لمحضر عمر. فقال عمر: لا والله لا تدخل عليهموحدك. فقال أبو بكر: وما عسيتهم أن يفعلوا بى؟ والله لآتينهم) [۱۰۹] . [صفحه ۷۵] ويتضح من ذلك أن عليا وطوال ستة شهور كان يفكر بأخذ حقه، ولكن بالكيفية التى لا يحصل فيها شقاق وفتنة، وقد روى عن على أنه قال: (لووجدت أربعين ذوى عزم منهم لناهضت القوم) [۱۱۰] ولكنه مع وفاة فاطمة الزهراء عليه السلام، فقد انصرفت عنه وجوه الناس، وتضاءلت بذلك إمكانية أخذه الخلافة، وذلك باعتبار مكانة الزهراء عليه السلام من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ووقوفها إلى جانبه بالمطالبة بحقه، وتنديدها بالشيخين، لا سيما بعد محاولتهما أخذ البيعة من على ومن معه بالقوة عندما كانوا مجتمعين فى بيتها، وتهديد عمر لهم عند رفضهم الخروج إليه. ويوضح العالم الشيعى المعروف السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوى: (إن عليا عليه السلام لم ير أثرا للقيام ضدهم سوى الفتنة التى كان يفضل ضياع حقه على حدوثها فى تلك الظروف، وبسبب الفتن الخطيرة التى أحاطت بالإسلام من كل جانب. فخطر يهدد الإسلام من المنافقين من أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب، بالإضافة إلى خطر مسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد

الأفاك وسجاح الدجالة، والرومان والفرس وغيرهم ممن كانوا للمسلمين بالمرصاد. ولو أسرع على عليه السلام إليهم فى المبايعة حين عقدها، لما تمت له حجة ولا سطع لشيعته برهان، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين، والاحتفاظ بحقه فى الخلافة، فالظروف يومئذ لا تسمح لمقارعة بحجة ولا مقاومة بسيف، والتى قد ينتهزها أعداء الإسلام لإحداث هدم فى دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم تكونمصيبته أعظم على الإمام على عليه السلام من ذهاب الخلافة إلى غيره) [۱۱۱] . ومن هؤلاء الذين حاولوا استغلال ذلك لهدم الدين أبو سفيان الذى سعى إلى على عليه السلام أكثر من مرة يحضه على قتالهم بقوله: (إن شئت لأملأنها [صفحه ۷۶] عليهم خيلا ورجالا، ولأسدنها عليهم من أقطارها) [۱۱۲] لكن عليا عليه السلام كان يرفض هذا النوع من المساعدة لعلمه اليقين بغاية أبى سفيان من تلك المساعدة، وقد أجابه قائلا: (إنك والله ما أردت بهذا إلا الفتنة، وإنك واللهطالما بغيت للإسلام شرا لا حاجة لنا فى نصيحتك) [۱۱۳] . وليس غريبا بعد هذه الأحداث، وكل ما فيها من مواجهات ساخنة وتهديدات واتهامات على جميع الألوان أن يصف عمر بيعة أبى بكر بما يلى: (.. فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمت، إلا وإنهاقد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها) [۱۱۴] .

غضب فاطمة الزهراء إرثها

من المواجهات المشهودة فى تلك الأثناء ما حصل بين ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليه السلام والخليفة أبى بكر، ولم يكن ذلك بسبب وقوفها بجانب على عليه السلام فحسب، وإنما أيضا بسبب حرمان أبى بكر لها من ميراثها من النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وتروى عائشة هذه الحادثة بقولها: (سألت فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر الصديق أن يقسم لها ميراثها (الذى تركه) رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما أفاء الله عليه. فقال لها أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا نورث، ما تركنا من صدقة. فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر. وكانت فاطمة تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خمس خيبر، وفدك، وصدقته بالمدينة، فأبى أبو بكرعليها ذلك) [۱۱۵] . [صفحه ۷۷] وكان غضب فاطمة على أبى بكر عظيما لدرجة أنها أوصت عليا عليه السلام أن لا يصلى عليها أبو بكر ولا حتى أن يحضر دفنها كما يظهر ذلك من رواية عائشة: (... فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة منها شيئا، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك، فهجرته ولم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبى صلى الله عليه وآله وسلم ستةأشهر، فلما توفيت دفنها زوجها على ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها) [۱۱۶] . وأرض فدك التى كانت تطالب بها فاطمة عليه السلام قرية من الحجاز كان يسكنها اليهود، وقد صالحوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليها بعد هزيمتهم فى خيبر، فكانت ملكا للرسول صلى الله عليه وآله وسلم لأنها مما لم (يوجف عليها بخيل ولا ركاب). وذلك بالإضافة إلى ما ملكه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من خمس خيبر وصدقات النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة. فكانت هذه كلها ملكا خاصا به، ولا حق فيها لأحد غيره. فالزهراء عليه السلام فى هذه المسألة كانت – على رأى أبى بكر – تطالب بما ليس لها فيه حق، وهى بذلك تكون على أحد أمرين لا ثالث لهما. أولهما: إنها كانت كاذبة – والعياذ بالله – تطمع بأخذ ما تعلم أنه ليس لها فيه حق، وثانيهما: إنها كانت جاهلة بالعلم الذى يعلمه أبو بكر وقد التبست عليها أحكام الميراث. ولا أحسب أننا بحاجة إلى تفنيد الاحتمال الأول. وأما الثانى فقد تكفلت الزهراء عليه السلام نفسها بتفنيده حين واجهت أبا بكر وهو فى حشد من المهاجرين والأنصار بالقول: (... وأنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا ولاحظ (أفحكم الجاهلية تبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة / ۵۰]، ويها معشر المسلمة، أفى كتاب الله ترث أباك ولا أرث أبى؟ لقد جئت شيئا فريا... أعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: (وورث سليمان داوود) [النمل ۱۶]، وقال فيما اقتص من خبر زكريا: (فهب [صفحه ۷۸] لى من لدنك وليا – يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا) [مريم / ۵ – ۶]، وقال: (يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ

الأنثيين) [مريم / ۵ - ۶]، وقال: (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين) [البقرة / ۱۸۰]... إلى قولها: أخصكم الله بآية أخرج أبى منها؟ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن من أبى وابن عمى؟ أم تقولون أهل ملتين لا- يتوارثان؟...) [۱۱۷] . وأكثر ما رويت هذه الحادثة من طرق أهل البيت عليه السلام كما رويت عن طرق غيرهم. وتضعيف أكثر علماء الحديث عند أهل السنة لهذه الرواية لا يلغى حجيتها، ذلك أن ما جاء فيها من استدلالات بغض النظر عن قائلها الحقيقى، وليكن أى كائن، الزهراء عليه السلام أو غيرها - يكفى لإثبات صحة موقف الزهراء عليه السلام وينفى عنها أى احتمال لجهل، لا- سيما أن أباها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو زوجها أمير المؤمنين عليه السلام كانا جديرين بأن يعلماها الحكم الصحيح فى حالة افتراضنا جدلا أنها كانت لا تعلم أحكام المواريث. وعلى فرض صحة رواية أبى بكر عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه قال: (نحن معشر الأنبياء لا نورث)، فإنها لا تعنى عدم انطابق قوانين الميراث على الأنبياء كما اجتهد فى ذلك أبو بكر، وإنما أراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بذلك القول بأن الأنبياء لا يجمعون الأموال أو يكدسون الذهب والفضة ليكون ميراثا بعدهم، كما يفعل الملوك وطلاب الدنيا. والميراث الذى جاء فى الآيتين بشأن داود وزكريا لا يراد به الحكم والنبوة لأنهما ليسا مما يعطى عن طريق التوريث، وإنما قصد به عموم المعنى من توريث الأموال والعقار. ومن أغرب وأطرف ما قيل فى هذه الحادثة، قول ابن حجر فى تأييده لموقف أبى بكر: (ودعواها (الزهراء) أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نحلها فدكا، لم تأت [صفحه ۷۹] عليها (بشهود) إلا بعلى وأم أيمن، فلم يكمل نصاب البينة، على أن فى قبولشهادة الزوج لزوجته خلافا بين العلماء (!!)) [۱۱۸] .

حروب الردة

كان من بين الذين حاربهم أبو بكر فى الحروب التى عرفت باسم بحروب الردة من ادعى النبوة كمسيلمة الكذاب وطليحة بن خويلد الأفاك وسجاح الدجالة. وكان من بينهم بعض القبائل العربية التى ارتدت عن الدين كقبيلة بنى سليم وغيرها، وقد أرسل الخليفة أبو بكر إليهم خالد بن الوليد على رأس جيش لقتالهم، حيث روى أنه كان يجمع المرتدين منهم فى الحظائر ثميحرقها عليهم بالنار) [۱۱۹] ، وهكذا فعل أبو بكر بإياس بن عبد الله المعروف بالفجاءة حيث أمر بإحراقه. وقد اشتهرت هذه الحادثة فى كتب التاريخ لا سيما لاحتجاج الصحابة واعتراضهم على الخليفة لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (لايعذب بالنار إلا رب النار) [۱۲۰] . وقد دلت روايات تاريخية عديدة على أن معظم القبائل العربية التى حاربها الخليفة لم يكن بسبب ردتها عن الدين، وإنما بسبب رفضها دفع الزكاة أو تريثها فى ذلك لارتيابها بشأن الخلافة التى تنازعها المهاجرين والأنصار، واختلاط الأمر على هذه القبائل فى مدى أهلية الحكومة الجديدة واعتقادها (أن من سيقوم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى حراسة الدين وسياسة الدنيا لن يصل إلى منزلته فى العصمة من الخطأ، فخافوا على مستقبلهم فى ظلالحكم الجديد) [۱۲۱] ، أو كما قال الباحث حسن إبراهيم: (كما لا يبعد أن [صفحه ۸۰] يعلى مركز الخلافة من شأن القبيلة التى ينتمى إليها الخليفة وبغض من شأنغيرها من القبائل فيميل ميزان العدل بين الناس) [۱۲۲] . وقد كان الخليفة عمر معارضا لقتال هذه القبائل التى لم تعلن ردتها عن الإسلام وإنما اختلط عليها الأمر فى فهم بعض الأحكام الشرعية أو التطورات السياسية التى حصلت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وقال عمر لأبى بكر: (كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فمن قالها عصم منى ماله ودمه إلابحقها، وحسابهم على الله) [۱۲۳] ، ولكن أبا بكر كان مصرا على موقفه، وقال: (والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم على منعه) [۱۲۴] . ومن ضحايا سياسة أبى بكر هذه مالك بن نويرة (والذى كان قد سبق وأنولاه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على صدقات قومه لثقته به واعتماده عليه) [۱۲۵] حيث أرسل الخليفة قائد جيوشه خالد بن الوليد لمقاتلة مالك وقومه بذريعة الردة عن دين الإسلام. ولما علم مالك بقدوم خالد، أخلى له الديار وأمر أصحابه بالتفرق تجنبا للاقتتال. ولكن خالدا أرسل فى أثرهم حتى جئ إليه بمالك ونفر من قومه فحبسهم عنده، ولما كان وقت الصلاة صلوا

جمیعا بمن فیهم مالک ومن معه، ثم سیق مالک ومعه زوجته وأصحابه إلی خالد. وبعد محاورات بین الفریقین، أصر خالد علی قتل مالک وجماعته بالرغم من صلاتهم وکل تأکیداتهم له بإسلامهم، حتی أن مالکا طلب من خالد أن یرسله إلی أبی بکر [صفحه ۸۱] لیحکم بأمرهم. ولکن دون جدوی، حیث کان لخالد ما أراد من قتلهم، وقد أوعز بالمهمة إلی ضرار بن الأزور [۱۲۶] . والحقیقة فی هذه الحادثة أن مالکا لم یرتد عن الإسلام وإنما رفض دفع الزکاة لأبی بکر تریثا لما ستسفر عنه الصراعات التی خلفتها فلتة السقیفة، أو کما قال ابن القیم الجوزیة التلمیذ الشهیر لابن تیمیة: إن رفض دفع مالک وجماعته لم یکن بسبب ردة عن دین، وإنما لشبهة شرعیة تخیلوا بها أن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بعد أن خاطبه الله (سبحانه وتعالی) بالآیة: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم بها) هو وحده المخول بجمع الزکاة منهم، ولما توفاه الله، أصبحوا فی حل من دفعها. ومن الثوابت التاریخیة أنه وفی یوم مقتل مالک، قام خالد بالدخول فیزوجته والتی روی أنها کانت من أجمل نساء العرب [۱۲۷] ، وقد قال مالک لخالد قبل مقتله: هذه التی قتلتنی (یعنی زوجته). فقال له خالد: بل الله قتلک برجوعک عن الإسلام، فقال له مالک: إنی مسلم. فقال خالد: یا ضرار اضرب عنقه. وکان عبد الله بن عمر وأبو قتادة الأنصاری من شاهدی تلک الواقعة، وقدکلما خالدا فی أمر مالک قبل قتله، ولکنه کره کلامهما [۱۲۸] ومما یشیر أیضا إلی عظیم ما اقترفته یدا خالد، أن أبا قتادة أقسم أن لا یشارک بعد تلک الحادثة بجیش فیه خالد. وأما عمر بن الخطاب، فقد ثارت ثائرته لفعل خالد وطالب الخلیفة أبا بکر بإقامة حدی القتل والزنا علیه. وکان جواب الخلیفة له بالرفض بحجة أن ما فعله خالد یعد من التأول والاجتهاد وإن أخطأ فیه (؟!)ثم قال: یا عمر ما کانت لأغمد سیفا سله الله علیهم [۱۲۹] . [صفحه ۸۲] ولأن عمرا لم یقتنع (باجتهاد) خالد وتأویله، ولا بصفح أبی بکر عنه، فإنه عندما تسلم الخلافة، کان من قراراته الأولی عزل خالد عن قیادة جیش المسلمین والذی کان حینها فی غمرة انشغاله بقتال الروم فی الشام. ودع عنک تلک التبریرات المصطنعة القائلة بأن عزل الخلیفة لخالد کان یعود لخشیته افتتان المسلمین بانتصاراته الباهرة علی حساب شعورهم بصنع الله(سبحانه وتعالی) لتلک الانتصارات! [۱۳۰] . [صفحه ۸۳]

خلافة عمر

استخلاف أبی بکر لعمر

یروی الطبری فی تاریخه: (لما نزل بأبی بکر المرض، دعا عثمان بن عفان وقال له: أکتب بسم الله الرحمن الرحیم، هذا ما عهد به أبو بکر بن أبی قحافة إلی المسلمین. أما بعد – فأغمی علیه – فکتب عثمان تکملة لما بدأ بکتابته أبو بکر: أما بعد، فإنی أستخلف علیکم عمر بن الخطاب ولم آلکم خیرا. ثم أفاق أبو بکر وقرأ ما کتبه عثمان فقال: أراک خفت أن یختلف الناس إن أسلمت نفسی فی غشیتی. قال: نعم. قال أبو بکر: جزاک الله خیرا عن الإسلام وأهله. وأقرها أبو بکر من هذا الموضع) [۱۳۱] . وخرج عمر یحمل بیده کتاب الاستخلاف قائلا: (أیها الناس اسمعواوأطیعوا قول خلیفة رسول الله، إنه یقول: إنی لم آلکم نصحا) [۱۳۲] فقال له رجل: ما فی هذا الکتاب یا أبا حفص؟ فقال عمر: لا ـ أدری، ولکنی أول من سمعوأطاع. قال له الرجل: لکنی والله أدری ما فیه أمرته عام أول، وأمرک العام [۱۳۳] . ویذکر ابن قتیبة أنه حین بلغ المهاجرون والأنصار خبر استخلاف أبی بکر لعمر، دخلوا علی الخلیفة الأول وقالوا: نراک استخلفت علینا عمر، وقد عرفته وعلمت بوائقه [بمعنی غلظته وتشدده] فینا وأنت بین أظهرنا، فکیف إذا [صفحه ۸۴] ولیت عنا وأنت ملاق الله عز وجل فسائلک، فما أنت قائل؟ فقال أبو بکر:لئن سألنی الله لأقولن: استخلفت علیهم خیرهم فی نفسی) [۱۳۴] . ومن المعلوم أن أبا بکر فی نزاعه الأـخیر وقد اشتد به المرض، قال فی تبریر عهده بالخلافة لعمر وعدم ترکها للتشاور، هو خشیته من الاختلاف بعده، وقالت عائشة إن أباها فعل ذلک لحکمة بالغة وهی للحیلولة دون حصول الفتنة بعده، وهکذا قال کل من أید فعل أبی بکر، بل وعد فعله هذا من دلائل حیطته وعبقریته. ولکن ما یثیر انتباه الباحثین هو أن حال المسلمین عند وفاة النبی صلی الله علیه

وآله وسلم كانت أقرب إلى الاختلاف والفتنة من حالهم عند وفاة أبى بكر، وأى فتنة ستكون أكبر من فقدان صاحب الرسالة، حتى أن عمر قد فقد صوابه عند سماعه خبر الوفاة، وذهب ينكر إمكانية موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومهددا بقتل كل من يقول بذلك، بالإضافة إلى ما حصل فى السقيفة والردة وخطر الفرس والروم، أفلم يفطن النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما فطن إليه أبو بكر؟ والتساؤل الآخر: لماذا لم يوصف حال أبى بكر بالهجران مع أنه أغمى عليه قبل أن يتم كتابة وصيته باستخلاف عمر، كما رمى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الوصف فى مرضه الأخير؟

منع الخليفة تدوين السنة النبوية أو التحدث بها

عن عروة، قال: (أراد عمر بن الخطاب أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك، فأشاروا عليه أن يكتبها، فطفق عمر يستخير الله شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إنى كنت أريد أن أكتب السنن وإنى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا فأكبوا عليها، وتركوا كتابالله، وإنى والله لا أشوب كتاب الله بشئ أبدا) [۱۳۵] . [صفحه ۸۵] ويتضح من قول عمر فى هذه الرواية وغيرها أن ما دفعه لمنع تدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو خشيته من أن يكون اهتمام المسلمين بها على حساب اهتمامهم بكتاب الله! وعن القاسم بن محمد قال: (إن الأحاديث كثرت على عهد عمر بنالخطاب، فأنشد الناس أن يأتوه بها، فلما أتوه بها أمر بإحراقها) [۱۳۶] . وقال كرظة بن كعب: (لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا وقال: أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا: نعم، مكرمة لنا. قال: ومع ذلك، إنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم.جردوا القرآن وأخلوا الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا شريككم) [۱۳۷] . وقال عمر لأبى هريرة الدوسى: (لتتركن الحديث عن رسول الله أولألحقنك بأرض دوس) [۱۳۸] ، وقال أبو هريرة: (لو حدثتكم بأحاديث، ولو حدثت بها زمن عمر بن الخطاب لضربنى عمر بالدرة) [۱۳۹] وأخرج الحاكم عن إبراهيم بن عبد الرحمن قوله: (إن عمر بن الخطاب قال لابن مسعود، ولأبى الدرداء ولأبيذر: ما هذا الحديث عن رسول الله؟ وأحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب) [۱۴۰] . وقد سبق عمر إلى هذا الموقف فى منع تدوين السنة النبوية أبو بكر، حيث جمع أيام خلافته خمسمئة حديث، وكما تروى عائشة: (إنه بات ليلته يتقلب كثيرا فهمنى تقلبه، فلما أصبح قال لى: أى بنية، هلمى الأحاديثالتى عندك. فجئته بها فأحرقها) [۱۴۱] . [صفحه ۸۶] وقد اقتفى سيرة الشيخين هذه فى منع تدوين الأحاديث وحرقها جمهور المسلمين ولفترة طويلة من الزمن، حتى جاء الخليفة عمر بن عبد العزيز وأمر بتدوين السنة النبوية. والحقيقة أن مسألة منع الخليفة عمر من تدوين السنة النبوية أو التحدث بها تعد من أكثر المسائل المستغربة والمثيرة للتساؤلات، ذلك أنه لا يخفى على أحد أهمية تدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك العهد القريب من حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، لأنها ستكون أكثر صدقا وسلامة من حالة تدوينها فى عصور متأخرة، وقد تناقلتها ألسنة كثيرة على امتداد أجيال عديدة، لا سيما بعد تلك الحروب الطاحنة بين المسلمين أنفسهم واستشراء العداء بينهم وانتشار ظاهرة الوضع فى الأحاديث لمدح فريق وذم آخر، أو لوضع الفضائل والمبالغة فيها لفريق، وطمسها والتقليل منها لفريق آخر. وعن أهمية السنة النبوية هذه يقول العلامة الأمينى: (هل خفى على الخليفة أن ظاهر الكتاب لا يغنى الأمة عن السنة، وهى لا تفارقه حتى يردا على النبى الحوض، وحاجة الأمة إلى السنة، لا تقل عن حاجتها إلى الكتاب؟ والكتاب كما قال الأوزاعى ومكحول: هو أحوج إلى السنة من السنةإلى الكتاب) [۱۴۲] ذلك أن فى السنة ما يوضح متشابه القرآن ويبين مجمله، ويخصص عامه، ويقيد مطلقه، ويوقف أولى الألباب على كنهه، فبحفظهاحفظه، وبضياعها ضياع لكثير من أحكامه [۱۴۳] .

اجتهادات الخليفة مقابل نصوص الكتاب والسنة

اشاره

لقد اشتهر الخليفة عمر بكثرة اجتهاده فى كثير من الأحكام الثابتة والمؤيدة بنصوص من الكتاب والسنة. وأما إذا كانت تلك النصوص مما [صفحه ۸۷] يمكن الاجتهاد فيها، فهذا ما ترك الحكم فيه لاجتهاد القارئ الذكى من خلال التمعن فى الأمثلة التالية:

تحريمه زواج المتعة (المؤقت)

يعرف الفقهاء هذا النوع من الزواج بأنه الزواج المحدد بمهر معلوم وإلى أجل معلوم بعقد جامع لشرائط الصحة الشرعية، وللزوجين أن يمدداه لفترة مؤقتة أخرى أو يحولاه إلى عقد زواج دائم. وإذا ولد لهما مولود فإنه يلحق بأبيه، ويجب على الزوجة أن تعتد بعد انقضاء مدة الزواج. ويجد القارئ هذا التعريف فى الموسوعات الفقهية ك: شرائع الإسلام للحلى، والروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الثانى، الجبعى العاملى. ومما لا خلاف فيه أن الله (سبحانه وتعالى) أقر هذا النكاح بقوله: (فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) [النساء / ۲۴]. وكما يروى ابن عباس: (كنا مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصى؟ فنهانا النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك، ورخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب (يعنى مهرها) إلى أجل. ثم قرأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين) [۱۴۴]) [المائدة / ۸۷]. وحسب رواية أخرى نادى مناد: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أذن لكم أن تستمتعوا يعنى متعة النساء) [۱۴۵] . ومما خلاف فيه ما يراه عموم أهل السنة من حرمة لهذا الزواج لاعتقادهم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عنه أخيرا بعد أن أباحه للمسلمين، واستندوا إلى روايات تظهر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أباح هذا الزواج ثم حرمه ثم [صفحه ۸۸] أحله، وهكذا عدة مرات مما يجعل تلك الروايات المتضاربة موضع سؤال، وخصوصا مع وجود روايات عديدة مقطوعة الصحة تظهر أن تحريم المتعة قد وقع بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وليس قبلها، ومنها: ما أخرجه البخارى بالرواية عن عمران بن حصين قال: (نزلت آية المتعة فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم ينزل قرآنيحرمه ولم ينه عنها حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء) [۱۴۶] . وهذا الرجل الذى لم يذكر اسمه فى هذه الرواية هو الخليفة عمر بن الخطاب حسب ماذكر فى شرح البارى على صحيح البخارى [۱۴۷] . وما يؤكد أيضا تحريم الخليفة عمر للمتعة بعد رحيل النبى صلى الله عليه وآله وسلم دون أن ينهى عنها ما أخرجه مسلم فى صحيحه بالرواية عن جابر بن عبد الله قال:استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر عمر) [۱۴۸] وفى رواية أخرى قال: (كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق لأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلموأبى بكر حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث) [۱۴۹] فأما عمرو بن حريث هذا فقد استمتع بجارية، وأوتى بها الخليفة عمر وهى حبلى فسألها،فقالت: استمتع بى عمرو بن حريث) [۱۵۰] فغضب الخليفة وقام معلنا تحريمه لهذا النوع من النكاح، بل قرر رجم كل من يخالف تحريمه هذا، كما يروى جابر: (تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قام عمر قال: إن الله يحللرسوله بما يشاء... وأبتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتى برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة) [۱۵۱] . [صفحه ۸۹] وقد اشتهر قول الإمام على عليه السلام: (لولا أن نهى عمر عن المتعة مازنى إلا شقى) [۱۵۲] . ومن المتع الأخرى التى لم ترق للخليفة عمر ما عرف ب (متعة الحج)، وهى تكون بإباحة محظورات الإحرام فى المدة المتخللة بين إحرامى العمرة والحج، ذلك أن الاعتمار قبل الحج فرض على من لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام كما فى قوله تعالى: (فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن يكن أهله حاضرى المسجد الحرام واتقوا الله وأعلموا أن الله شديد العقاب) [البقرة / ۱۹۶]. وقد تواتر عن الخليفة عمر قوله: (متعتان كانتا على عهد رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهما) [۱۵۳] وقال جابر بن عبد الله بشأن اختلاف عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير فى متعتى النساء والحج: (فعلناهما مع رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما) [۱۵۴] .

والروايـة التالية تشـير بوضوح إلى وجود منهجين من السـنة بعد رحيل المصـطفى صـلى الله عليه وآله وسـلم، حيث يروى البخارى عن سعيد بن المسـيب قال: (اختلف عثمان وعلى (رضـى الله عنهما) وهما بعسـفان فى المتعة (متعة الحج)، فقال على: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم أهل بهما جميعا (لبيك بعمرة وحج) وقال: ما كنت لأدع السنة لقول أحد) [۱۵۵] يقصـد الخليفـة عمر. وكان عبـد الله بن عمر مخالفا لأبيه فى هـذا التحريم، حيث يروى أنه سأله أحـد من أهل الشام عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر: هى [صـفحه ۹۰] حلال. قال الشامى: إن أباك قـد نهى عنها. فقال عبـد الله بن عمر: أرأيت إن كان أبى نهى عنها، وصـنعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أأمر أبى نتبع أم أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال الرجل: بل أمر رسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقال: لقد صنعهارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۱۵۶] .

ابتداعه صلاة التراويح

فهذه الصـلاة النافلة ذات العشـرين ركعة، والتى يمارسـها بهذا الاسم قطاع واسع من المسـلمين جماعة فى ليالى شهر رمضان، لم تكن مما شـرع أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. فقد سنت بعض النوافل لتصلى فرادى فى ليالى شهر رمضان دون أن تعرف فى عهده صلى الله عليه وآله وسـلم بهـذا الاسم، ولا بهـذا الكم من عـدد الركعات. وقد أخرج البخارى فى صـحيحه قول الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم: (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه). قال ابن شـهاب: فتوفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والناس على ذلك، ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر وصدرا من خلافة عمر (معناه كما فى شـرح النووى على صحيح مسلم: استمر الأمر هـذه المـدة على أن كل واحد يقوم رمضان فى بيته منفردا حتيانقضـى صدرا من خلافة عمر) [۱۵۷] قال ابن شهاب: خرجت مع عمر بن الخطاب (رضـى الله عنه) ليلـة فى رمضان إلى المسـجد فإذا الناس أوزاع متفرقون... فقال عمر: إنى أرى لو جمعت هؤلاء على قـارئ واحـد لكان أمثل، ثم عزم فجمعهم على أبى بن كعب. ثم خرجت معه ليلـة أخرى والناسيصـلون بصـلاة قارئهم، فقال عمر: نعم البدعة هذه) [۱۵۸] وما يثبت قطعا اختلاق عمر لهذه الصـلاة هو قوله: (إنى أرى)! حيث نسب تشريعها إلى نفسه. ثم قوله: (نعم البدعة هذه)! وما (البدعة) فى اللغة والاصـطلاح إلا ما [صفحه ۹۱] كان جديدا ليس له أى وجود قبل ذلك، فضـلا عن أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد ثبت حثه فى أكثر من حديث لإتيان النوافل فى البيوت.

تصرفه فى الأذان

لم يكن أذان الفجر زمن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يتضـمن عبارة (الصـلاة خير من النوم)، وإنما كانت من إضافات الخليفة عمر كمـا يروى الإمـام مالـك فى موطئه: (.. إذ بلغه أن المؤذن جـاء إلى عمر بن الخطـاب يؤذنه بصـلاة الصـبح، فوجـدهنائما. فقـال: الصـلاة خير من النوم. فأمره عمر أن يجعلها فى نـداء الصـبح) [۱۵۹] . وكان الأذان زمن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم يتضـمن عبارة (حى على خير العمل) والتى كانت تأتى بعـد قول (حى على الفلاح)، ولكن الخليفـة عمر أسـقط هذا الجز من الأذان حتى يفهم عامة الناس أن خير العمل هو الجهاد فى سبيل اللهليندفعوا إليه [۱۶۰] وعن عكرمة قال: (قلت لابن عباس: أخبرنى لأى شئ حذف من الأذان (حى على خير العمل) قال: أراد عمر ألا يتكل الناس عليالصلاة ويدعوا الجهاد، فلذلك حذفها من الأذان) [۱۶۱] .

اجتهاده فى حكم الطلاق

من المعلـوم أن المرأة إذا طلقهـا زوجهـا للمرة الثالثـة لاـ يجـوز رجوعه إليهـا إلاـ بمحلـل شـرعى، والمقصود بالطلقـة الثالثـة هى تلك المسبوقة برجعتين وطلقتين، كما فى قوله تعالى: (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان) [البقرة / ۲۲۹]... (فإن طلقها فلا

تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) [البقرة / ۲۳۰]. وأما إذا جاءت الثلاث طلقات فى جملة واحدة كأن يقول الرجل لزوجته (أنت طالق، طالق، طالق) فتعد طلقة واحدة، إلا أنه وعندما جاء [صفحه ۹۲] الخليفة عمر جعلها ثلاث طلقات كما لا يزال الحال عند معظم فقهاء أهل السنة فى عصرنا. ففى صحيح مسلم، عن ابن عباس، قال: (كان الطلاق فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة. فقال عمر بن الخطاب: إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة. فلو أمضيناهعليهم. فأمضاه عليهم) [۱۶۲] وفى رواية أخرى: (قال ابن الصهباء لابن عباس: ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبى بكر واحدة. فقال: قدكان كذلك، فلما كان فى عهد عمر تتابع الناس فى الطلاق فأجازه عليهم) [۱۶۳] .

تحريمه البكاء على الميت

البكاء كما هو معروف عند البشر من طبيعة النفس الإنسانية، ويأتى للتعبير عن مشاعر الرحمة والحزن لا سيما عند فقدان الإنسان لعزيز عليه. وقد بكى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما تواتر عنه فى كتب السير والحديث. فهذا البخارى مثلا يروى بشأن بكائه صلى الله عليه وآله وسلم عند زيارته لسعد بن عبادة وقد اشتد عليه المرض، فظن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه مات: (... فلما دخل عليه فوجده فى غاشية أهله فقال: قد قضى؟ قالوا: لا يا رسول الله. فبكى النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فلما رأى القوم بكاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم بكوا، فقال: ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمعالعين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا، وأشار إلى لسانه) [۱۶۴] . ولكن الخليفة عمر كان ينهى عن البكاء على الميت بقوله: (إنالرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الميت يعذب فى قبره بما نيح عليه) [۱۶۵] وفى رواية أخرى، عن عبد الله بن قال: (لما طعن عمر أغمى عليه، فصيح عليه. [صفحه ۹۳] فلما أفاق، قال: أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن الميت ليعذب ببكاءالحى) [۱۶۶] وحتى أن الخليفة عمر أحيانا لم يكن يكتفى بالنهى عن ذلك بلسانه. ففى صحيح البخارى: (وإن الميت يعذب ببكاء أهله عليه. وكانعمر (رض) يضرب فيه بالعصى ويرمى بالحجارة ويحثى بالتراب) [۱۶۷] . وقد روى أن عائشة كانت تنفى قول عمر حول هذه المسألة كما يذكر ابن عباس: (فلما مات عمر ذكرت ذلك لعائشة، فقال: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن الله يعذب المؤمن ببكاء أحد، ولكنه قال: إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه، ثم قالت: حسبكم القرآن: (ولا تزر وازرة وزر أخرى) [الإسراء / ۱۵]. وقال ابن عباس: وعند ذلك والله أضحكوأبكى) [۱۶۸] .

تجاوزه الحد الشرعى بإقامة الحدود

ومن ذلك أن ابنه عبد الرحمن لما شرب الخمر فى مصر، قام واليه هناك عمرو بن العاص بحلق رأسه وجلده الحد الشرعى بحضور أخيه عبد الله بن عمر. ولكن الخليفة عمر عندما علم بذلك أمر بإحضاره مقيدا بإحكام إلى المدينة ثم أقام عليه الحد مرة ثانية وبغلظة بالرغم من مرضه الشديد وصياحهالمتكرر: قتلتنى يا أبتاه. وقد مات الابن بعد شهر من الحبس [۱۶۹] . ومن ذلك أيضا محاولته رجم امرأة مجنونة زنت، لولا قول الإمام على عليه السلام له: أما علمت أن القلم رفع عن ثلاثة... إلخ، وكذلك محاولته رجم امرأة حامل زنت لولا قول الإمام على عليه السلام: وما سلطانك على ما فيبطنها [۱۷۰] . [صفحه ۹۴]

الغاء سهم المؤلفة قلوبهم

من المعلوم أن الله (سبحانه وتعالى) أمر بصرف سهم من مصاريف الزكاة للمؤلفة قلوبهم، وهم غالبا من الذين يسلمون ونياتهم

ضعیفة، فیؤلف قلوبهم بهذا العطاء کما فی قوله تعالی: (إنما الصدقات للفقراء والمساکین والعاملین علیها والمؤلفة قلوبهم وفی الرقاب...) [التوبة / ۶۰]. ولکن الخلیفة عمر منع هذا السهم عنهم، ولما جاءه بعض المؤلفة قلوبهم یسألونه حصتهم، قال لهم: (لا حاجة لنا بکم فقد أعز الله الإسلاموأغنی عنکم، فإن أسلمتم وإلا السیف بیننا وبینکم) [۱۷۱] . أمر الخلیفة بالعمل بسیرة الشیخین بجانب الکتاب والسنة قام عمر بن الخطاب قبل موته بإصدار أمر بالعمل بکل ما صدر عنه وعن سلفه أبی بکر أثناء خلافتهما من قول أو فعل بما فی ذلک کل التأویلات والاجتهادات والتی عرفت بمجموعها بسیرة الشیخین أو سنة الشیخین ولیکون العمل بها ملازما للعمل بکتاب الله وسنة نبیه أبد الدهر. وهذا ما یفسر استمرار العمل باجتهادات عمر والتی عرضنا أمثلة منها عند کثیر من المسلمین بالرغم من وضوح معارضتها لکتاب الله وسنة نبیه. وسنری فیما یلی ماذا أفرزه أول تطبیق عملی لسیرة الشیخین هذه.

استخلاف عمر مجلسا للشوری

عندما طعن الخلیفة عمر، دخل علیه المهاجرون وقالوا: یا أمیر المؤمنین استخلف علینا. قال: والله لا أحملکم حیا ومیتا، إن استخلفت فقد استخلف من هو خیر منی، یعنی أبا بکر، وإن أدع فقد ودع من هو خیر منی، یعنی النبی صلی الله علیه وآله وسلم. ولما أحس بالموت قال لابنه: إذهب إلی عائشة واستأذنها أن [صفحه ۹۵] أقبر فی بیتها مع رسول الله ومع أبی بکر. فأتاها عبد الله بن عمر فأعلمها، فقالت: نعم وکرامة. ثم قالت: یا بنی أبلغ عمر سلامی وقل له: لا تدع أمة محمد بلا راع، واستخلف علیهم، ولا تدعهم بعدک هملا، فإنی أخشی علیهم الفتنة. فأتی عبد الله إلی أبیه وأخبره. فقال عمر: ومن تأمرنی أن أستخلف؟ لو کان أبو عبیدة بن الجراح حیا لاستخلفته، ولو کان سالم مولیأبی حذیفة حیا لاستخلفته وما جعلتها شوری [۱۷۲] . ثم قال: إن رجالا- یقولون إن بیعة أبی بکر فلتة وقی الله شرها، وإن بیعة عمر کانت من غیر مشورة، والأمر بعدی شوری، وقد جعلت أمرکم شوری إلی ستة نفر من المهاجرین الأولین وهم: علی، وعثمان، وطلحة، والزبیر،وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبی وقاص، ودعاهم إلیه [۱۷۳] . ثم قال: إن استقام أمر خمسة منکم وخالف واحد، فاضربوا عنقه، وإن استقام أمر أربعة وخالف اثنان، فاضربوا أعناقهما وإن استقر ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتکموا إلی ابنی عبد الله، فلأی الثلاثة قضی، فالخلیفة منهم وفیهم،فإن أبی الثلاثة الآخرون فاضربوا أعناقهم [۱۷۴] وفی روایة الطبری: (فإن لم یرغبوا بحکم عبد الله بن عمر فکونوا مع الذین فیهم عبد الرحمن بن عوف، ولکن بشرط أن یعاهد من یبایع له بأن یعمل بسیرة الشیخین بجانب العملبکتاب الله وسنة نبیه) [۱۷۵] . وأما بالنسبة للمرشحین الستة، فإنه کل من کان بمعرفة بمواقفهم السابقة یعلم أنهم کانوا سینقسمون إلی ثلاثتین کما حصل فعلا. فقد کان علی وطلحة والزبیر فی جانب ومرشحهم للخلافة هو علی، وفی الجانب الآخر کان سعد [صفحه ۹۶] عثمان وعبد الرحمن بن عوف ومرشحهم للخلافة هو عثمان. وبما أن الترجیح جعل بید ابن عوف علی حسب الشرط المذکور، فإن جواب الإمام علی علیه السلام بشأن العمل بسیرة الشیخین کان بالرفض قائلا- (أعمل بکتاب الله وسنة نبیهواجتهادی) [۱۷۶] ، بینما کان جواب عثمان بالقبول، فآلت إلیه الخلافة تبعا لذلک. وفی صحیح البخاری تجد جزءا من هذه الحادثة کما یرویها ابن مخرمة، قال: (طرقنی عبد الرحمن بعد هجع من اللیل فضرب الباب حتی استیقظت، فقال: أراک نائما، فوالله ما اکتحلت هذه الثلاث بکثیر نوم، انطلق فأدع لی الزبیر وسعدا، فدعوتهما له فشاورهما، ثم دعانی فقال: أدع لی علیا فدعوته، فناجاه حتی ابهار اللیل. ثم قام علی من عنده وهو علی طمع (بمعنی رفضه شرط العمل بسیرة الشیخین)، ثم قال: ادع لی عثمان فدعوته، فناجاه حتی فرق بینهما المؤذن بالصبح، فلما صلی بالناس الصبح، واجتمع أولئک الرهط عند المنبر، فأرسل عبد الرحمن بن عوف إلی من کان حاضرا من المهاجرین والأنصار، وأرسل إلی أمراء الأجناد، وکانوا وافوا تلک الحجة مع عمر فلما اجتمعوا، تشهد ثم قال: أما بعد، یا علی، إنی قد نظرت فی أمر الناس فلم أرهم یعدلون بعثمان، فلا تجعلن علی نفسک سبیلا. فقال عثمان: أبایعک علی سنة الله ورسوله والخلیفتین من بعده، فبایعه عبدالرحمن وبایعه الناس) [۱۷۷] . ولنا أن نتساءل: لماذا أضاف الخلیفة عمر شرط العمل بسیرة الشیخین فضلا عن استحداث مثل هکذا مصطلح أصلا؟ ولماذا أعلن عمر عند وفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم اکتفاءه بکتاب الله،

وأصبح الآن عند وفاته هو يقول وكأن كتاب الله وسنة نبيه لا يكفيان إلا إذا أضيف إليهما سنة الخليفتين؟؟ [صفحه ۹۷]

خلافة عثمان

ولادة الدولة الأموية

يذكر المؤرخون أن أبا سفيان قال لابن عشيرته عثمان بن عفان بعد انعقاد البيعة له: (يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة، فوالذى يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة) [۱۷۸] وأبو سفيان الذى لا يريد أن يصرح بحلفه باللات والعزى يعبر بقوله هذا عن طبيعة التفكير القبلى والجاهلى الذى تطبع على أساسه وشاب. والخليفة عثمان - على كل حال - لم يخيب ظنه، حيث بدأ فور تسلمه الخلافة بعزل جميع الولاة الذين عينهم سلفه عمر باستثناء ابن عمه معاوية، واستبدلهم بأقاربه من بنى أمية. ومن ذلك تعيين عثمان لابن عمه مروان بن الحكم معاونا له، وهو بمثابة منصب وزير الدولة الأول، وعزل سعد بن أبى وقاص من ولاية الكوفة وتوليته عليها بدلا منه أخاه لأمه الوليد بن عقبة بن أبى معيط ثم توليته عليها فيما بعد سعيد بن العاص وهو أحد أقاربه أيضا. وكذلك عزل أبا موسى الأشعرى عن ولاية البصرة وعين مكانه ابن خاله عبد الله بن عامر، وعزل أيضا عمرو بن العاص من حكومة مصر وولاها لأخيه بالرضاعة عبد الله بن سعد بن أبى سرح. وكان معاوية فى خلافة عمر قد عهد إليه ولاية دمشق وحدها أو حسب روايات أخرى بعض أعمالها، وعندما جاء عثمان جمع له [صفحه ۹۸] ولاية بلاد الشام كلها، حيث كانت هذه المنطقة من الناحية العسكرية أهم مناطق الدولة الإسلامية، لأنها كانت بمثابة السد العازل، بمقدور حاكمها أن يعزل الولايات الشرقية عن الغربية، وقد تربع معاوية على سدتها مدة طويلة حتى استقرت جذوره فيها لدرجة جعلته يشعر أن بمقدوره الاستقلال عن العاصمة المركزية، بل ومحاربتها كما حصل فعلا زمان خلافة على. وبهذه التعيينات يكون عثمان قد وضع البذور لدولة أموية، أو كما وصف العلامة أبو الأعلى المودودى بأن عهد عثمان كان بداية التحول من الخلافة الراشدة إلى الملك، وأنه لم تكن هناك حجة كافية لأن تخضع الدولة كلها من خراسان شرقا إلى شمال إفريقيا غربا لحكام من بيت واحد [۱۷۹] . وفى شرحه لتركيبة العائلة الأموية، يقول المودودى: (إن أفراد هذه العائلة الذين ارتقوا فى عهد عثمان كانوا جميعا من الطلقاء. والمراد بالطلقاء تلك البيوت المكية التى ظلت إلى آخر وقت معادية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللدولة الإسلامية، فعفا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنهم بعد فتح مكة ودخلوا فى الإسلام. ومعاوية، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم كانوا من تلك البيوت التى أعطيت الأمان وعفا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عنهم. أما عبد الله بن أبى سرح فقد ارتد بعد إسلامه، وكان واحدا من الذين أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بقتلهم حتى ولو وجدوا تحت أستار الكعبة. وبالطبع ما من أحد يقبل أن يعزل السابقون الأولون الذين خاطروا بأرواحهم فى سبيل رفعة الإسلام فارتفع لواء الدين بتضحياتهم، وأن يحكم الأمة بدلا منهم مثل هؤلاء الناس الذين لم يكونوا يصلحون لتولى زعامة المسلمين... وهم يقفون فى آخر صفوف الصحابةوالتابعين لا- فى أولها) [۱۸۰] . عثمان وسيرة الشيخين فى الحكم من الواضح أن الخليفة عثمان قد حاد عن سيرة الشيخين والتى عقدت له الخلافة على أساس تعهده بالعمل بها، وذلك بإعطائه لأقاربه المناصب الكبرى، وبإغداقه عليهم الأموال من بيت مال المسلمين، وبخصهم بامتيازات أخرى اعترض الناس عليها. ويضرب المودودى مثالا لفداحة ما صنعه عثمان فى هذا الأمر: (ولنأخذ وضع مروان بن الحكم مثالا: فقد أسلم أبوه الحكم بن العاص عم سيدنا عثمان (رض) فى فتح مكة، ثم قدم المدينة واستقر بها، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أخرجه منها - بعد أن بدت منه بعض الأمور - وأمره بالإقامة فى الطائف. وقد ذكر ابن عبد البر فى الإستيعاب أن من أسباب ذلك أن الحكم بن العاص كان يفشى المشاورات التى كانت تتم سرا بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأكابر الصحابة والتى كان يسمعها بطريقة أو بأخرى وثانى الأسباب أنه كان يقلد الرسول حتى رآه ذات مرة وهو يفعل ذلك. وعلى أى حال، فلا بد أنه ارتكب ذنبا كبيرا أصدر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أساسه أمرا بإخراجه من المدينة،

وکـان مروان وقتئـذ فی الثامنـة من عمره فسـکن الطـائف مع أبیه، ولمـا تولی الخلافـة کل من أبی بکر وعمر کان یلتمس فی کل مرة منهما السـماح بالعودة إلی المدینة ورفضا. ولما تولی عثمان (رض) الخلافة أعاده المدینة... فکان صعبا علی الناس أن یصدقوا أن ابن هـذا الشـخص الذی أخطأ فی حق رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم یکون أهلا لأن یصـبح معاون الخلیفة من دون أکابر الصـحابة (رضوان الله علیهم)، خاصـة إذا کـان الوالـد المـذنب علی قیـد الحیاة وله قـدر من النفوذ علی أمور الدولـة عن طریقابنه) [۱۸۱] وبقی الحکم بن العاص حیا حتی آخر عهـد عثمان وتوفی سـنة ۳۲ هجریة. [صفحه ۱۰۰] وهکذا کان، فقد اسـتغل مروان بن الحکم منصبه کمعاون للخلیفـة ومسـتشاره الأول فی ارتکاب الأعمال الفاسـدة، واختلاس الأموال، وتهدید الصـحابة الکبار بکلمات لم یکن یتحمل سماعها من لسان الطلقاء، حتی أن نائلة نصـحت الخلیفة (وهی زوجته) قائلة: (فإنک متی أطعت مروان قتلک، ومروان لیس له عند الله قدرولا هیبة ولا محبة) [۱۸۲] إلا أن الخلیفة عثمان أصـغی إلی نصیحتها هذه علی ما یبدو بإعطائه لمروان (۵۰۰ خمسمئة ألف دینار)، وهی قیمة خمس غنائم إفریقیا!

ایذاء خیرة الصحابة

اشاره

لم تکن اعتراضات الناس ونقمتهم علی الخلیفـة لمجرد إسـناده أهم مناصب الدولـة لأقاربه، والإغـداق علیهم من بیت مال المسـلمین، وإنمـا أیضـا للانتهاکـات الخطیرة فی تعـالیم الإسـلام وآدابه، والمظالم التی ارتکبت بحق خیرة صـحابة رسول الله صـلی الله علیه وآله وسلم، لا سیما أبی ذر الغفاری، وعبد الله بن مسعود، وعمار بن یاسر، وإلیک قصة ما حدث لکل واحد منهم:

ابوذر الغفاری

وهو الذی قال فیه النبی صـلی الله علیه وآله وسلم: (ما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء أصدق من أبی ذر) [۱۸۳] ، ولکنه لاقی النفی إلی الشام لاعتراضه علی الخلیفـة عثمان فی مسألة توزیع الأموال وتبذیرها علی أقاربه، ثم لاقی النفی مرة أخری، ولکن هذه المرة إلی البادیـة فی قریـة تـدعی (الربـذة) خارج المدینـة عقابا له من الخلیفـة لاعتراضه علی والی الشام معاویة بن أبی سـفیان لاکتنازه الأموال وتبـذیرها علی حساب بیت مال المسـلمین. ویروی زیـد بن وهبـة هـذه الحادثـة قائلا: (مررت بالربذة، فإذا أنا بأبی ذر الغفاری (رض) فقلت له: مـا أنزلک منزلک هکـذا؟ قال: کنت بالشام [صـفحه ۱۰۱] فاختلفت أنا ومعاویـة فی الآیة (والذین یکنزون الذهب والفضـة وینفقونها فی سبیل الله فبشرهم بعذاب ألیم) [التوبة / ۳۴]. قال معاویة: نزلت فی أهل الکتاب، فقلت: نزلت فینا وفیهم. فکان بینی وبینه فی ذلک، وکتب إلیعثمان یشـکونی، فکتب إلی عثمان: أن أقـدم المدینة فقدمتها) [۱۸۴] . وکانت شـکوی معاویة إلی الخلیفة أن أبا ذر قد أفسد الناس بالشام، حتی تعالت کلماته علی لسان الناس فی البیوت والطرقات: (بشر الکانزین بمکاومن نار یوم القیامة) [۱۸۵] .

عبدالله بن مسعود

وهو الـذی کان صاحب بیت المال فی الکوفـة، وقـد کان یعترض علی والی الخلیفـة عثمان الولید بن عقبة – وهو أخوه لأمه – بسـبب عـدم إرجاعه المـال الـذی یسـتدینه من بیت مـال المسـلمین، ولکثرة إدمـانه الخمر، حتی أنه صـلی الصـبح بالنـاس أربع رکعات وهو سکران، ثم التفت إلی الناس وقال: أزیـدکم؟ ولکن عبد الله بن مسـعود هو الذی عوقب أولا من الخلیفة لاعتراضه علیالولید حیث قال له عثمـان: (إنما أنت خازن لنا) [۱۸۶] ثم أمر غلمانه بضـربه حتی لاقی کسـرا فی أضـلاعه. وبعد کثرة تذمر الناس من تصرف الخلیفة

هذا، أمربإقامة الحد على الوليد [۱۸۷] . ومما يجدر ذكره أن الوليد بن عقبة كان من الذين أسلموا بعد فتح مكة، وكلفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ذات مرة بجباية صدقات بنى المصطلق، إلا أنه بعد أن [صفحه ۱۰۲] وصل حدود المنطقة التى تسكنها هذه القبيلة خاف لسبب ما ورجع إلى المدينة، وكذب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالقول أن بنى المصطلق رفضوا دفع الزكاة وأرادوا قتله، فغضب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأرسل إليهم جيشا لقتالهم، وكادت أن تقع واقعة كبرى لولا أن رؤساء بنى المصطلق علموا بالأمر وجاءوا إلى المدينة ليخبروا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أنه لم يأتهم أحد لجباية الزكاة، فنزل قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) [الحجرات / ۶]، عندما أصبح عثمان خليفة، عزل عن ولاية الكوفة سعد بن أبى وقاص بطل القادسية، وعين بدلا منه هذا الفاسق.

عمار بن ياسر

وهو الذى قام بالصلاة على عبد الله بن مسعود ودفنه دون إعلام الخليفة بذلك بناء على وصية من ابن مسعود حتى لا يصلى عليه لما لقيه منه منأذى [۱۸۸] وكان هذا العمل مما أغضب الخليفة، إلا أن تصرف عمار الذى أثار حفيظة عثمان ضده وجعله يعاقبه عليه أشد العقاب هو - كما يروى ابن قتيبة - تجرؤه بحمل كتاب احتجاج ضد الخليفة وأقاربه كتبه عشرة من الصحابة من ضمنهم المقداد، وذكروا فيه مخالفات عثمان لسنة رسول صلى الله عليه وآله وسلم وسنة صاحبيه (أبى بكر وعمر) وما كان من هبته لخمس خراج إفريقيا لمروان وفيه حق الله ورسوله، ومنهم ذوو القرابة واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله فى البنيان، حتى عدوا سبع دور بناها بالمدينة لأهله وبناته، وبنيان مروان القصور، وما كان من الوليد فى الكوفة إذ صلى بالناس الصبح أربعة وهو سكران وتعطيله ثم تأخيره الحد عليه، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شئ ولا يستشيرهم، وضربه ظهور الناس بالسياط وغير ذلك [صفحه ۱۰۳] مما كتب فى ذلك الكتاب الاحتجاجى والذى قام عمار بتقديمه إلى الخليفة. فقال مروان: يا أمير المؤمنين، إن هذا العبد الأسود قد جرأ عليك الناس، وإنك إن قتلته نكلت به من ورائه. فقال عثمان لغلمانه: اضربوه! فضربوه وضربه عثمان معهم حتى فتقوا بطنه وغشى عليه، فجروه حتى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فأدخل منزلها، وغضب له بنو المغيرة وكان حليفهم، وغضب له أيضا على عليه السلام وكبار الصحابة، حتى أن عليا قال لعثمان: (... فأنا أقول كما قال العبد الصالح (فصبرجميل والله المستعان على ما تصفون) [يوسف / ۱۸].. إلى آخر الرواية) [۱۸۹] . وغضبت له عائشة أيضا، فكانت تحمل قميص النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتقول: (هذا قميص النبى لم يبل وقد أبليت سنته) إلى أن قالت: (اقتلوا نعثلا فقدكفر) [۱۹۰] .

كيف كان مقتل الخليفة؟

مع كل تلك الممارسات التى قام بها عثمان وأقاربه بانتهاك كل الشرائع والسنن، فقد كان فضلاء الصحابة يحاولون نصح الخليفة، ولكن دون جدوى، وكانت تأتيه الوفود من الأقاليم تحمل معها رسائل احتجاج ومطالبات معينة، فكانت ترفض بشدة فى كل مرة، ولا يعطى الخليفة لها أية قيمة أو انتباه. فلم يكن مستغربا بعد كل ذلك أن تثور ثورة الثائرين، والذين تزعم حركتهم أناس من مصر، والكوفة، والبصرة، حيث تبادلوا الاتصالات فيما بينهم سرا، حتى توجهوا بعدد يزيد على الألفين، وحاصروا الخليفة لمدة أربعين يوما، وطالبوا بعزله. إلا أن عثمان رفض التفاوض معهم. وعند [صفحه ۱۰۴] اشتداد الحصار عليه، قام باستشارة عبد الله بن عمر بالأمر (وكأن فكرة التنازل قد بدأت تراوح فى ذهنه) فأشار عليه ابن عمر بالبقاء فى الحكم قائلا: (لا أرى أن تسن هذه السنة فى الإسلام، كلما سخط قوم على أميرهمخلعوه) [۱۹۱] وبعد ذلك اقتحم الثوار القصر وقتلوا الخليفة، وبقى جسده مسجى على الأرض لثلاثة أيام دون أن يدفن. [صفحه ۱۰۵]

خلافة علی

مبایعة الإمام

بعد مقتل الخلیفة عثمان، توجهت أنظار الناس إلی الإمام علی علیه السلام وطلبوا مبایعته، أو کما یقول المودودی: (تقول الروایات الصحیحة کلها إن صحابة رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وغیرهم من أهل المدینة راحوا إلیه، وقالوا له إنه لایصلح الناس إلا بإمرة، ولا بد للناس من إمام، ولا نجد الیوم أحق بهذا الأمر منک) [۱۹۲] . ولکن الإمام علی علیه السلام رفض علیهم ذلک، لا لأنه لم یجد فی نفسه القدرة علی تحمل تبعات الخلافة، بل لأنه (رأی المجتمع الإسلامی قد تردی فی هوة من الفوارق الاجتماعیة والاقتصادیة، والتی زادت عمقا واتساعا بسبب سیاسة ولاة عثمان خلال مدة الخلافة، ورأی أن التوجیهات الإسلامیة ومفاهیمها العظیمة التی عمل النبی صلی الله علیه وآله وسلم طیلة حیاته علی إرساء أصولها فی المجتمع الإسلامی الناشئ قد فقدت فاعلیتها فی توجیه حیاة الناس، وإنما صار الناس إلی واقعهم هذا لأنهم فقدوا الثقة بالقوة الحاکمة التی تهیمن علیهم). ویفهم أیضا أن سبب رفض الإمام علیه السلام قبوله الفوری لطلبهم هو لاختبارهم وکشف مدی استعدادهم لتحمل المنهج الإسلامی الصحیح فی الحکم، حیث خاطبهم قائلا: (دعونی والتمسوا غیری، فإنا مستقبلون أمرا له [صفحه ۱۰۶] وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت علیه العقول، وإن الآفاق قد أغامت، والمحجة قد تنکرت، واعلموا أنی إن أجبتکم رکبت بکم ما أعلم، ولم أصغ إلی قول القائل وعتب العاتب، وإن ترکتمونی فأنا کأحدکم ولعلی أسمعکم وأطوعکم لمن ولیتموه أمرکم) [۱۹۳] وعندما أصر الناس بمطالبتهم، استجاب لهم الإمام علیه السلام وتمت له البیعة، والتی اعترفت بها جمیع الولایات الإسلامیة باستثناء ولایة الشام.

منهج الإمام و سیاسته فی الحکم

حینما تولی الإمام علی علیه السلام أمور المسلمین، فإنه ورث من سلفه عثمان صعوبات کثیرة، وواقعا فی غایة الفساد والانحراف، لا سیما انشقاق معاویة عن الدولة الإسلامیة وتفرده بالشام، الأمر الذی شق المجتمع الإسلامی إلی شقین، فی کل منهما کیان لا یعترف بالآخر. وقد سارع الإمام إلی إعلان منهجه وسیاسته إلی الناس منذ اللحظة الأولی لتولیه الحکم وبین لهم: (إن المسألة بالنسبة إلیه لیست تبدیل شخص بشخص آخر، ولیست مسألة فارق اسمی بین زعیم الأمس وزعیم الیوم، وإنما المسألة اختلافشامل للمنهج، وفی کل القضایا المطروحة) [۱۹۴] . ومن هذه القضایا، إلغاء مبدأ التفاضل فی العطاء وإعلان مبدأ المساواة بین المسلمین، واعتبارهم سواء فی الحقوق والواجبات، وهو یقول: (الذلیل عندی عزیز حتی آخذ الحق له، والقوی عندی ضعیف حتی آخذ الحقمنه) [۱۹۵] ویقول فی کتابه لمالک الأشتر عندما عینه والیا علی مصر: (إنصف الله وانصف الناس فی نفسک، ومن خاصة أهلک، ومن لک فیه هوی من [صفحه ۱۰۷] رعیتک، فإنک إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله کان الله خصمه دونعباده... ولیکن أحب الأمور أوسطها فی الحق وأعمها فی العدل) [۱۹۶] . وبشأن سیاسته علیه السلام فی توزیع المال یقول: (وإنی حاملکم علی منهج نبیکم ومنفذ فیکم ما أمره، ألا وإن کل قطیعة أقطعها عثمان، وکل مال أعطاهمن مال الله فهو مردود فی بیت المال، فإن الحق لا یبطله شئ) [۱۹۷] وبهذه الإجراءات فقد صادر الإمام علیه السلام جمیع ما وهبه عثمان من الأموال العظیمة لطبقة الإرستقراطیین، وألغی کذلک کل أشکال التمییز فی توزیع المال علی الناس مؤکدا أن التقوی والسابقیة فی الإسلام، وهی الأسس التی کان یعتمدها الخلیفة عمر فی توزیع العطاء أمور لا تمنح أصحابها امتیازات فی الدنیا، فالله یتولی جزاءه، أما فی هذه الدنیا فالناس سواسیة فی الواجباتوالحقوق [۱۹۸] ویقول الإمام علیه السلام فی ذلک: (وأیما رجل من المهاجرین والأنصار من أصحاب رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یری أن الفضل له علی سواه لصحبته،فإن الفضل النیر غدا عند الله، وثوابه وأجره علی الله) [۱۹۹] . وعلی الصعید الإداری والسیاسی، فقد قام الإمام علیه السلام بعزل الولاة الذین عهد إلیهم عثمان ولایة الأقالیم الإسلامیة. وبین أسباب عزلهم بقوله: (ولکنی آسی أن یلی أمر هذه الأمة سفهاؤها

وفجارها، فيتخذوا مال الله دولاً وعباده خولا، والصالحين حربا، والفاسقين حزبا، فإن فيهم من شرب فيكم الحرام، وجلد حدا فى الإسلام، وإن منهم من لم يسلم حتى رضختله على الإسلام الرضائخ) [۲۰۰] وكما يوضح الشهيد الصدر: (فإن الإمام [صفحه ۱۰۸] عليا عليه السلام لو كان قد أمضى هذه الأجهزة الفاسدة التى خلفها عثمان من قبله، فليس من المعقول بمقتضى طبيعة الأشياء أن يستطيع أن يمارس عمليةالتغيير الحقيقى فى هذه التجربة التى يتزعمها) [۲۰۱] . وأمام هذا الواقع الجديد الذى أراد الإمام عليه السلام إجراءه، فإنه ولدوافع متعددة لم يرق لبعض الناس هذه التغييرات، ولا رؤية الإمام على فى سدة الحكم، فقاموا ضده وأثاروا الفتن وسيروا الجيوش معلنين العصيان والتمرد وحتى أولئك الذين وقفوا موقف الحياد كان لهم دورا كبير فى تفاقم الأوضاع وسلبيتها حيث يصف العلامة المودودى موقفهم بقوله: (إن وقوف بعض أكابر الصحابة موقف الحياد فى بيعة على (رضى الله عنه) قد ساعد على تفاقم الفتنة التى أرادوا درأها (ومن هؤلاء الصحابة: عبد الله بن عمر، وسعد بن أبى وقاص، ومحمد بن سلمة الأنصارى، وغيرهم) ممن كان له نفوذا كبير، فبعث حيادهم وانعزالهم الشك والارتياب فى قلوب الناس، فى حين كانعلى الأمة أن تتعاون مع سيدنا على لإعادة أمن وسلام نظام الخلافة الراشدة) [۲۰۲] . وسترى فيما يلى تفصيلا لحوادث العصيان والتمرد التى سيرت ضد خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإمام المسلمين.

خروج عائشة و موقعة الجمل

عندما علمت عائشة بمقتل عثمان ومبايعة الناس للإمام على عليه السلام، قالت لعبد الله بن أم كلاب (والله ليت أن هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردونى ردونى، فانصرف إلى مكة وهى تقول: قتل والله عثمان مظلوما، والله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن أم كلاب: ولم؟ فوالله إن فوالله إن أول من أمال حرفه لأنت! ولقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر، قالت: إنهم [صفحه ۱۰۹] استتابوه ثم قتلوه، وقد قلت وقالوا، وقولى الأخير خير من قولى الأول، فقال لها ابن أم كلاب: فمنك البداء ومنك الغير ++ ومنك الرياح ومنك المطر وأنت أمرت بقتل الإمام ++ وقلت لنا إنه قد كفر فهبنا أطعناك فى قتله ++ وقاتله عندنا من أمر... إلخ فانصرف إلى مكة، فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر، فسيرت واجتمع إليها الناس، فقالت: يا أيها الناس، إن عثمان قتل مظلوما، ووواللهلأطلبن بدمه [۲۰۳] وقد وقف إلى جانب عائشة كل من طلحة والزبير، وكان الإمام قد استرد منهما ولايتى اليمن والبحرين، ورفض إعطاءهما ولايتى البصرة والكوفة كما رغبا، فنكثا عهديهما مع الإمام وادعا أنهما كانا قد أكرها على مبايعته، وذهبا إلى مكة يحثان أم المؤمنين عائشة على محاربته بحجة المطالبة بدم عثمان والاقتصاص من قاتليه الذين زعم أنهم قد اندسوا فى جيش الإمام على عليه السلام وما شجع أم المؤمنين على الاستجابة لحثهما هو علمها بخبر رفض معاوية وأهل الشام مبايعة على، وكذلك وصول عبد الله بن عامر الذى كان آخر وال لعثمان على البصرة، ودعوته لها بالتوجه إلى البصرة ووعده إياها هناك بالمساندة بالمال والرجال. فأمرت عائشة بعمل هودج لها من حديد، وخرجت متوجهة إلى البصرة ومعها الزبير، وطلحة، وعبد الله بن الزبير، ومحمد بن طلحة، وأتباعهم من بنى أمية وعلى رأسهم مروان بن الحكم والذى كان هاربا من المدينة بعد أنعلم أن الإمام عليا عليه السلام يطلبه [۲۰۴] وحاولت عائشة أن تقنع أمهات المؤمنين بمرافقتها إلى البصرة، ولم يوافقها إلى ذلك سوى حفصة إلا أن أخاها [صفحه ۱۱۰] عبد الله بن عمر المحايد منعها من الذهاب. وأما أم سلمة فقد نصحت عائشة بعدم الخروج. ويذكر ابن قتيبة أنه عند وصول موكب أم المؤمنين إلى البصرة، اصطف لهم الناس بالطريق وهم يتساءلون: ما الذى أخرج أم المؤمنين من بيتها؟ فقامت عائشة وقالت فى خطبة لها: (أيها الناس، والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يستحل دمه، ولقد قتل مظلوما. غضبنا لكم من السوط والعصا (تقصد سوط عثمان وغلمانه) ولا نغضب لعثمان من القتل؟ وإن من الرأى أن تنظروا إلى قتلة عثمان فيقتلوا به، ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بنالخطاب). فمن قائل يقول: صدقت، وآخر يقول: كذبت [۲۰۵] . وعندما بدأت تظهر ملامح الاقتتال، تعاهد والى الإمام على البصرة عثمان بن حنيف الأنصارى مع أم المؤمنين وجيشها على صلح مؤقت لغاية قدوم على عليه السلام. وقد تعاهدا على أن يحتفظ عثمان

بدار الإمارة ومسجدها وبيت المال، وأن ينزل القادمون من مكة حيث شاؤوا عدا هذه الأماكن. ولم تمض أيام قليلة على هذه المعاهدة حتى أتى طلحة، والزبير، ومروان بن الحكم بجماعة منهم دار الإمارة فى منتصف الليل، وقتلوا أربعين من الحرس، ثم أسروا عثمان وقتلوا معاونيه، وحتى أن مروان قام بتعذيبعثمان ونتف لحيته ورأسه وحاجبيه [۲۰۶] وكان هذا التصرف إيذانا بإعلانهم الحرب وقد عبأوا جيشهم انتظارا لوصول الإمام على عليه السلام. ولكن الإمام فى ذلك الحين كان يعد العدة للتوجه إلى الشام وقمع تمرد معاوية الذى أعلن نفسه خليف هناك. ثم اضطر إلى العدول عن هذا المخطط لدى علمه بما حصل لواليه على البصرة، وقرر التوجه إلى العراق بجيش لردع المعتدين هناك. وكان من بين أفراد جيشه [صفحه ۱۱۱] المعتدين هناك. وكان من بين أفراد جيشه خيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعمار بن ياسر، وعبد الله بن عباس ومحمد بن أبى بكر، وأخيه عبد الرحمن وغيرهم. وقد حاول الإمام عليه السلام لدى وصوله البصرة إقناع المتمردين بالعدول عن مخططهم، فبدأ بالزبير بن العوام حيث خرج إليه على حاسرا على بغلة رسول الله لا سلاح معه، فنادى: يا زبير أخرج إلى، فخرج إليه الزبير شاكا فى سلاحه، فقيل ذلك لعائشة، فقالت: واثكلك يا أسماء (وهى أختها وزوج الزبير)، فقيل لها: إن عليا حاسر، فاطمأنت، واعتنق كل واحد منهما صاحبه. فقال على: ويحك يا زبير، ما الذى أخرجك، قال: دم عثمان، قال على: قتل الله أولانا بدم عثمان، أتذكر يوم لقيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم... فضحك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وضحكت إليه، وأنت معه، فقلت أنت: يا رسول الله ما يدع على زهوه، فقال لك: ليس به زهو، أتحبه يا زبير؟ فقلت: إنى والله لأحبه، فقال لك: إنك والله ستقاتله وأنت ظالم له، فقال الزبير: أستغفر الله، والله لو ذكرتها ما خرجت، فقال له: يا زبير، إرجع. فقال الزبير: كيف أرجع الآن وقد التفت حلقتا البطان؟ هذا والله العار الذى لا يغسل، فقال: يا زبير إرجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول: اخترت عارا على نار مؤججة ++ ما إن يقوم لها خلق من الطين نادى على بأمر لست أجهله ++ عار لعمرك فى الدنيا وفى الدين [۲۰۷] . وأثناء انسحابه مبتعدا عن ساحة القتال، لحق به عمرو بن جرموز، وهومن أنصار أم المؤمنين وقتله [۲۰۸] . وبعد تراجع الزبير، نادى على طلحة، وقال له: يا أبا محمد، ما الذى أخرجك؟ فقال: الطلب بدم عثمان، قال على: قتل الله أولانا بدم عثمان، يا [صفحه ۱۱۲] طلحة أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، وأنت أول من بايعنى، ثم نكثت، وقد قال الله عز وجل: (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) [الفتح / ۱۰]، فقال طلحة: أستغفر الله ثم رجع. وعندما رأى مروان بن الحكم ذلك وهو حليفه، قال: رجع الزبير ويرجع طلحة، ما أبالى رميت ههنا أم ههنا، فرماه فى أكحله بسهم فقتله، وقال طلحة وهو يجود بنفسه: ندمت ما ندمت وضل حلمى ++ ولهفى ثم لهف أبى وأمى ندمت ندامة الكسعى لما ++ طلبت رضى بنى جرم بزعمى وقد التحم الجيشان بعد فشل مساعى الإمام فى موقعة ساخنة، كان النصر فيها حليف على، وقتل فيها ثلاثة عشر ألفا من الطرفين، وأسرت عائشة، فجهز لها الإمام موكبا يؤمن رجوعها سالمة إلى المدينة. وأسر كذلك مروان بن الحكم وبعض رؤوس بنى أمية، وعفا عنهم الإمام بعد أن طلبوا الصفح منه وبايعوه. وقد تمكن عبد الله بن الزبير من الهرب عندما لاحت تباشير النصر لجيش الإمام، وأما محمد بن طلحة فقد قتل أثناء المعركة، وكانا من أشد المحرضين على قتال الإمام حتى اللحظات الأخيرة. وقد عرفت هذه الحادثة بموقعة الجمل، لاتخاذ عائشة جملا قويا جعلت عليه هودجها الفاخر، والذى أصبح بمثابة العلم الذى يتقدم الجيوش المحتشدة حوله، وكان صمود هذا الجمل والهودج الذى عليه رمزا لصمود الجيش بكامله طوال المعركة. وقد كان انتهاء المعركة عندما ضرب الجمل، وأسر الهودج. وبعد انقضاء هذه المعركة، وما ولدته من مقتضيات وظروف جديدة، فقد قرر الإمام نقل عاصمة الخلافة الإسلامية من المدينة إلى الكوفة. ومن الأسباب التى شجعته لذلك أيضا هو موقع الكوفة الجغرافى المتوسط بين البقاع الإسلامية، وقربها من الشام والبصرة، وهما عاصمتا التمرد، بالإضافة [صفحه ۱۱۳] إلى طاقتها البشرية المعتبرة، وقدراتها الاقتصادية وغير ذلك من الاعتبارات (الاستراتيجية).

تمرد معاوية و موقعة صفين

كان قميص عثمان الممزق والمخضب بالدماء الوسيلة التى استخدمها ابن عمه معاوية، كما استخدمها أصحاب الجمل من قبله لتأليب الناس وشحنهم لتأييده فى محاربة على والمطالبة بعزله، حيث إن الإمام كان على زعمهم المحرض على قتل عثمان والمدافع عن قاتليه بسماحه لهم بالإندساس فى جيشه. وقد بايع أهل الشام معاوية خليفة كما طلب منهم ذلك، بحجة أنه لا يمكن المطالبة بدم عثمان من غير خليفة. وبعد العديد من المراسلات بين الإمام ومعاوية، ومشاورة كل منهما معاونيه، لم يكن هناك بد من الاقتتال، وقد فشلت كل محاولات الإمام بإصلاح الموقف سلميا، وكان آخر كلام معاوية لرسل الإمام: (انصرفواعنى، فليس عندى إلا السيف) [۲۰۹] . وهكذا التحم الجيشان بالقرب من الفرات بمكان يدعى صفين، وبعد أربعين يوما من القتال، وسقوط عشرات الآلاف قتلى، لاحت تباشير النصر لصالح جيش الإمام وهزيمة أهل الشام، فلجأ معاوية إلى خدعة رفع المصاحف على رؤوس السيوف والرماح كما أشار عليه عمرو بن العاص، وبالتعاون مع جماعة فى جيش الإمام أغراهم معاوية بالمال. حيث قام أحد رجال معاوية مناديا بين الجيشين: الله الله فى دمائنا ودمائكم المتبقية، بيننا وبينكم كتاب الله، فقام المتآمرون مع معاوية فى جيش الإمام بزعامة الأشعث بن قيس مع الذين انطوت عليهم الخدعة، لا سيما ذوى القلوب الضعيفة والذين ملوا القتال بمطالبة على بضرورة وقف الحرب قائلين: (قد [صفحه ۱۱۴] أعطاك معاوية الحق، ودعاك إلى كتاب الله، فاقبل منه) [۲۱۰] وبهذا انشق جيش الإمام إلى شقين، وفشلت كل محاولات الإمام بإقناعهم بزيف لعبة المصاحف، مما اضطره إلى قبول التحكيم. وقام الأشعث بن قيس وهو الذى ترأس حركة المؤيدين للتحكيم فى جيش الإمام بترشيح أبى موسى الأشعرى ليكون ممثلا عن معسكر الإمام فى مفاوضات التحكيم، ولكن الإمام عارض ذلك قائلا: (إن موسى ضعيف عن عمرو [وهو ممثل معسكر الأمويين]ومكائده... وإنه ليس بثقة، وقد فارقنى وخذل الناس عنى يوم الجمل] [۳] . وكان الإمام أيضا قد عزله قبل ذلك عن ولاية الكوفة بعد تسلمه مهام الخلافة. ومع إصرار الأشعث وجماعته عليه، ورفضهم رأى الإمام بإسناد مهمة تمثيل معسكر الإمام فى التفاوض إلى عبد الله بن عباس أو مالك الأشتر، لم يجد الإمام مناصا من القبول واحتساب الأمر إلى الله قائلا: فاصنعوا ما أردتم. ثم وقع الفريقان وثيقة التحكيم الأولية تعهدا بها التوقف عن القتال لغاية ظهور نتيجة التحكيم. وقد اجتمع الحكمان بعد هذه الموقعة بثمانية شهور فى دومة الجندل ومع كل منهما أربعمئة من صحبه. وبعد أيام من المفاوضات قبل عمرو بن العاص اقتراح أبى موسى الأشعرى بخلع كل من على ومعاوية، وتعيين عبد الله بن عمر - والذى لم يكن حاضرا آنذاك - إماما للأمة بدلا منهما (!) ثم قاما ليعلنا للحضور نتيجة التحكيم، فبدأ أبو موسى الأشعرى، وهو صهر عبد الله بن عمر قائلا: (إن هذه الفتنة قد أكلت العرب، وإنى رأيت وعمرو أن نخلع عليا ومعاوية، ونجعلها لعبد الله بن عمر، فإنه لم يبسط فى هذه الحرب يدا ولا لسانا). ثم قام ابن العاص خاطبا: (أيها الناس، هذا أبو موسى شيخ المسلمين، وحكم أهل العراق، ومن لا يبيع الدين بالدنيا، قد خلع عليا وأنا [صفحه ۱۱۵] أثبت معاوية)، فاختلط الناس، وعمت الفوضى، وتشاتم الحكمان بأخس الكلمات. ثم انصرف عمرو ومن معه إلى معاوية بالشام، ولحق أبو موسيبمكة، ورجع من كان بصحبته إلى الكوفة [۴]

الخوارج و تفكك جيش الإمام

ظهر أثناء عودة جيش الإمام من موقعة صفين مجموعة من المقاتلين ندموا على التحكيم الذى كانوا قد أرادوه وأصروا عليه، وتبين لهم أن ذلك كان خطأ وذنبا عظيما لا يمحوه إلا العودة إلى القتال، فذهبوا إلى الإمام يطلبون منه ذلك ونقض وثيقة التحكيم، ولكنه أجابهم: (قد كتبنا بيننا وبينهم كتابا، وشرطنا شروطا، وأعطينا عليها عهودنا ومواثيقنا) فانشقوا عن جيش الإمام، واستقروا عند قرية الحرورية قرب الكوفة، واعتبروا أن التحكيم مخالف لكتاب الله، وأن كل من لم يتب عن قبوله يعد كافرا. وعندما أصر الإمام على رفض مقولتهم هذه والرجوع إلى القتال عزموا على مقاتلته، وولوا عليهم عبد الله بن وهب الراسبى، ثم انتقلوا إلى مكان يعرف بجسر النهروان، وجعلوه مركزا لدعوتهم وتحركهم. وقد عرفت هذه المجموعة باسم الخوارج، وهم الذين تنبأ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بظهورهم حيث وصفهم قائلا: (قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية... يتلون القرآن لا يتجاوز تراقيهم)، وأطلق

عليهم لقب الجباه السود لكثرةسجودهم) [۲۱۱] . [صفحه ۱۱۶] ولما علم الإمام بما حصل فى دومة الجندل بين الحكمين، أصبح فى حل من وثيقة التحكيم، وقرر استئناف القتال ضد متمردى الشام، فأرسل إلى الخوارج: (أما بعد، فإن هذين الرجلين اللذين ارتضيناهما حكمين قد خالفا كتاب الله واتبعا هواهما بغير هدى من الله، فإذا بلغكم كتابى هذا فاقبلوا، فإنا سائرون إلى عدونا وعدوكم، ونحن على الأمر الأول الذى كنا عليه والسلام). فكتبوا إليه: (أما بعد، فإنك لم تغضب لربك، وإنما غضبت لنفسك، فإن شهدت على نفسك بالكفر، واستقبلت التوبة، نظرنا فيما بيننا وبينك، وإلا فقد نبذناك على سواء، إن الله لا يحب الخائنين). فلما قرأ الإمام كتابهم أيس منهم،ورأى أن يتركهم ويمضى بجيشه حتى يلقى أهل الشام [۲۱۲] . ولكن الخوارج أخذوا يعترضون الناس فى الطرقات، ويفعلون بهم الأفعال المنكرة، كنهب من يخالفهم والتشنيع بجثته، فاضطر الإمام أن يغير وجهة سيره، ومواجهة هذه العصابة المنشقة المفسدة فى الأرض أولا- فسار إليهم بجيشه ووعظهم أولا- ودعاهم إلى العودة والتوبة، ولكنهم أصروا على تشددهم وعنادهم، فقاتلهم الإمام وألحق بهم شر هزيمة. ويروى المسعودى فى (مروج الذهب) أنه قتل من أصحاب على يوم النهروان تسعة نفر، ولميفلت من الخوارج إلا عشرة بعد أن كان عددهم عند بدء القتال أربعة آلاف [۲۱۳] . وبعد أن انتهى الإمام من الخوارج، أراد أن يواصل سيره من النهروان نحو الشام، ولكن غالبية أفراد جيشه أبوا عليه ذلك، متذرعين بالقول: (يا أمير المؤمنين، نفذت نبالنا وكلت أذرعنا وتقطعت سيوفنا ونصلت أسنة رماحنا، فارجع بنا نحسن عدتنا). وكان الإمام يدرك كل هذه الضرورات، ولكنه كان يدرك أيضا أن معنويات جيشه فى تنازل، سيفضلون الراحة، فى [صفحه ۱۱۷] حالة عودتهم إلى الكوفة، فأراد أن يسير بهم مباشرة إلى الشام وهم فى عدة القتال وعزيمة الحرب. وعندما أصروا على موقفهم بالعودة إلى الكوفة، نزل بهم الإمام فى معسكر قرب الكوفة، وأمرهم أن يلزموا معسكرهم ويوطنوا أنفسهم على الجهاد، وأن يقللوا من زيارة بيوتهم حتى يسيروا إلى عدوهم من أهل الشام وهم بعزيمة وقوة، ولكنهم لم يصبروا على هذه الحال سوى أيام معدودات، وبدأوا يرجعون ويتسللون إلى الكوفة، حتى تركوا الإمام ومن معه إلا نفر قليل من رجاله المخلصين، فلما رأى الإمام ذلك، رجع بمن تبقى معه إلى الكوفة، وانكسر عليه رأيه فى المسير، وحاول الإمام بعد ذلك استنهاض روح الغيرة والحمية فيهم، ولكنهم تقاعسوا وكرهواالخروج إلى الحرب [۲۱۴] .

غارات معاوية على الولايات الإسلامية

استغل معاوية حالة التفكك التى أصابت معسكر الإمام فى العراق، وأخذ يتطلع لتوسيع رقعة إمارته، فبدأ يرسل الجيوش إلى مختلف الولايات الخاضعة لخلافة الإمام على عليه السلام للإغارة عليها. وكانت ولاية مصر من أهم ما كان يطمح إليه معاوية لكثرة خراجها، فأرسل إليها عمرو بن العاص بجيش كبير، وتمكن من احتلالها، وقتل واليها محمد بن أبى بكر، والتمثيل فيه. ويروى المؤرخون أن عمرو بن العاص ومعاونه معاوية بن خديج وآخرين أخذوا محمد بن أبى بكر بعد إصابته وجعلوه فى جوف حمار ميتوأحرقوه بالنار وهو لا- يزال حيا [۲۱۵] . وكان الإمام قبل وصوله خبر مقتل محمد بن أبى بكر قد أرسل مالك الأشتر بجيش إلى مصر للدفاع عنها واستلام ولايتها، ولكن معاوية بن أبى [صفحه ۱۱۸] سفيان أبرق إلى أحد رجاله بالعريش بأن يغتال مالك الأشتر قبل أن يصل إلى مصر. وهكذا حصل، فعند مرور مالك الأشتر بالعريش دعاه رئيس هذهالمنطقة التابعة لمعاوية وتحايل عليه وقتله بالسم [۲۱۶] . ومن هذه الغارات أيضا التى كان يشنها رجال معاوية على المناطق الموالية للإمام على عليه السلام غارة النعمان بن بشير على عين التمر وهى قريةقريبة من الأنبار غربى الكوفة [۲۱۷] ، وغارة الضحاك بن قيس الفهرى على بعض القرى فى الطريق بين مكة والكوفة، وقد أرسل لهم الإمام حجر بن عدى بجيش وهزمهم. وغارة سفيان بن عوف الغامدى على الأنبار غربى العراق، حيث قام جنود معاوية بقتل عامل الإمام على هذه المنطقة أشرس بن حسانالبكرى، وأمعنوا فى النهب وقتل السكان الآمنين [۲۱۸] . وكانت أبشع هذه الغارات هى تلك التى شنها بسر بن أرطأة العامرى، وهو أشد المخلصين لبنى أمية والمعروف بالفظاظة والقسوة إلى أبشع الحدود، وأغار بجيش كبير على الحجاز واليمن حيث أعمل فيها المجازر الوحشية، ونهب الأموال، وهدم البيوت، لأن أهاليها رفضوا إعطاء الطاعة والولاء

لمعاوية، وأرغم أهل المدينة المنورة والتى كانت بعهدة أبى أيوب الأنصارى على مبايعة معاوية، واستخلف عليهم أبا هريرة - المعروف بكثرة روايته للحديث والولاء لبنى أمية - بعد أن قتل فيها أناسا كثيرين من الموالين للإمام عليه السلام. وهكذا فعل فى مكة ونجران. وفى همدان أقدم على سبى النساء وبيعهن فى السوق وكان يأمر بكشف سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها. وفى اليمن، ارتكب أفظع الجرائم، وقتل فيها خلقا كثيرا من ضمنهم طفلى عبيد الله بن العباس عامل الإمام على عليه السلام على [صفحه ۱۱۹] اليمن، ويروى أنه ونظرا للطريقة الوحشية التى قتل فيها الطفلان فإن أمهما التى رأت ذلك أصابها الجنون وهامت على وجهها فى الجبال والوديان. وعندما وصل الإمام خبر هذه المجازر، أمر بتجهيز جيش فتثاقلوا، حتى أجابه إلى ذلك جارية بن قدامة السعدى، فبعثه الإمام فى سرية من ألفى رجل، فتعقب رجال ابن أرطأة حتى أخرجهم من جميع تلك المناطق التى عاثوا فيها الفساد [۲۱۹].

آخر أيام الإمام و استشهاده

ظل الإمام يحاول جاهدا تجهيز جيش يسير به لإخماد التمرد والفساد فى وكره بالشام، إلا أن أهل العراق قد بدا منهم الضعف والتقاعس عن نصرته، وعندما يئس من استنهاض هممهم، ولم يجد معهم حثه لهم على الجهاد فى سبيل الله، قام وخطب فيهم خطبة طويلة تفيض بالمرارة والتأسف لما آل إليه حال المسلمين وما سيؤول. ونقتطف من خطبته هذه ما يلى: (أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء... ألا وإنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلا ونهارا، سرا وإعلانا، وقلت لكم أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلتم وتخاذلتم حتى شنت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان... فيا عجبا! عجبا! - والله يميت القلب ويجلب الهم من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم... فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى، يغار عليكم ولا تغيرون، وتغزون ولا تغزون، ويعصى الله وترضون!... يا أشباه الرجال ولا رجال!... قاتلكم الله، لقد ملأتم قلبى قيحا، وشحنتم صدرى غيظا...، وأفسدتم على رأيى بالعصيان والخذلان، حتى لقد قالت قريش: إن ابن أبى [صفحه ۱۲۰] طالب رجل شجاع ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم! وهل أحد منهم أشد لها مراسا، وأقدم فيها مقاما منى! لقد نهضت فيهم وما بلغت العشرين، وها أنا ذاقد ذرفت على الستين، ولكن لا رأى لمن لا يطاع) [۲۲۰]. وصدق من قال إن الإمام على عليا عليه السلام عاش فى غير زمانه، فكل من يتأمل أقوال الإمام وما صارت إليه الأحداث، يتقين أن الإمام وصل إلى ما وصل إليه نبى الله نوح عليه السلام عندما: (قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا، فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) [نوح / ۵ - ۶]. وأن استمرار وجوده بينهم لا يزيده إلا آلاما وقهرا، وكأن الإمام فى هذه الأحوال قد انتهت مهمته على وجه الأرض، وحانت ساعة الرحيل عن هذه الدنيا. وهكذا كان، ففى غضون تلك الأيام كان نفر من الخوارج يجتمعون فى مكة ويخططون لقتل الإمام. ويروى المؤرخون هذه القصة كما يلى: حج ناس من الخوارج سنة ۳۹ ه، وقد اختلف عامل على وعامل معاوية فيمن يحج بالناس، فاصطلح الناس على ثالث هو شبيب بن عثمان، فلما انقضى الموسم أقام النفر من الخوارج مجاورين بمكة، فقالوا: كان هذا البيت معظما فى الجاهلية، جليل الشأن فى الإسلام، وقد انتهك هؤلاء حرمته، فلو أن قوما منا شروا أنفسهم لله فقتلوا هذين الرجلين (على ومعاوية) اللذين قد أفسدا فى الأرض، واستحلا حرمة هذا البيت، استراحت الأمة واختار الناس لهم إماما، فقال عبد الرحمن بن ملجم المرادى لعنة الله: أنا أكفيكم أمر على، وقال الحجاج بن عبد الله الصريمى وهو البرك: أنا أقتل معاوية، فقال عمرو بن بكر: والله ما عمرو بن العاص بدونهما، فأنا به. فتعاقدوا على ذلك، ثم اعتمروا عمرة رجب، واتفقوا عليوم واحدة يكون فيها وقوع القتل منهم فى على ومعاوية وعمرو [۲۲۱]. [صفحه ۱۲۱] وحسب هذا الموعد، قعد ابن ملجم للإمام فى مسجد الكوفة حين خروجه لصلاة الصبح، وطعنه فى رأسه الشريف أثناء سجوده بسيف مسموم، فأصيب الإمام عليه السلام على أثر ذلك إصابة بالغة أذنت معها ساعة الرحيل إلى الرفيق الأعلى بعد الحادثة بيومين فى ليلة الجمعة من الحادى والعشرين من

رمضان عام ۴۰ ه. وقد أقتص من القاتل اللعين والذى كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وصفه بأشقى الآخرين. وأما البرك فإنه انطلق إلى الشام، وعندما كان ميعادهم، قعد لمعاوية عند خروجه لصلاة الصبح، وقصد لضربه ولكن معاوية تمكن من الإدبار قليلا فوقعت الضربة فى أسفل أليته، وسببت له جرحا شفى منه ولم تحدث له ضررا سوى قطع نسله، فقال: عندى يزيد وعبد الله ما يقر عينى وحسبى بهما،وأمر بقتل البرك [۲۲۲] وقيل إن معاوية لم يقتله وإنما قطع يده ورجله، وذهب ليقيم بالبصرة وأن ابن زياد والى معاوية هناك هو الذى قام بقتله لما بلغهخبره [۲۲۳] . وأما الثالث فقصد عمرو بن العاص فى مصر، ولما كانت ليلة الميعاد، لم يخرج عمرو لصلاة الصبح لألم فى بطنه، فصلى بالناس بدلا منه ابن حذافة العدوى، فقصده عمرو بن بكر التميمى وقتله ظنا به أنه ابن العاص. ولما قبض عليه، أخذ إلى عمرو بن العاص وقتله. [صفحه ۱۲۲]

خلافة الحسن

عهد الإمام على عليه السلام قبل استشهاده بالخلافة لابنه الحسن عليه السلام، وبايعه الناس على ذلك. وعند وصول خبر استشهاد الإمام إلى الشام، تحرك معاوية بجيش كبير قوامه ۶۰ ستون ألفا نحو العراق ليضمه إلى ملكه، ويجبر الإمام الحسن عليه السلام على الاستسلام. ونظرا لانهيار معنويات جيش الإمام والاضطرابات التى سادت البصرة والكوفة، بالإضافة إلى تهيؤ الرومان بجيش عظيم لحرب المسلمين، الأمر الذى سيجعل من الحرب مع معاوية بنظر الإمام الحسن عليه السلام كارثة على الإسلام والمسلمين، فإنه لم يجد حلا سوى المصالحة والمسالمة وحقن الدماء. وقد دامت خلافة الحسن عليه السلام لستة شهور فقط. وكانت أهم بنود الصلح تسليم الخلافة على بلاد المسلمين كلها إلى معاوية على أن يعمل بالكتاب والسنة النبوية، وأن يكون الأمر بعده إلى الحسن عليه السلام، وإن توفى قبل ذلك يكون الأمر للحسين عليه السلام. ويتعهد معاوية كذلك بوقف الشتائم ضد الإمام على عليه السلام على المنابر وغيرها، وعدم التعرض للموالين لأهل البيت عليه السلام بالملاحقة والأذى، وأن يبقى ما فى بيت مال الكوفة تحت تصرف الحسن عليه السلام. وبعد توقيع معاهدة الصلح، اجتمع الفريقان فى مسجد الكوفة، فسبق معاوية إلى المنبر وخطب: (أما بعد، فإنه لم تختلف أمة بعد نبيها، إلا غلب باطلها حقها، إلا ما كان من هذه الأمة، فإن حقها غلب باطلها (!). ثم ذكر [صفحه ۱۲۳] عليا عليه السلام ونال منه، ونال كذلك من الحسن عليه السلام إلى قوله: ألا وإن كلشئ (عهد) أعطيته الحسن تحت قدمى هاتين لا أفى به) [۲۲۴] . فقام الإمام الحسن عليه السلام وخطب خطبة مطولة رد فيها على معاوية بقوله: (أيها الناس إن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدة، والدنيا دول... وإن معاوية زعم لكم أنى رأيته للخلافة أهلا، ولم أر نفسى لها أهلا، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس فى كتاب الله (عز وجل) وعلى لسان نبيه، ولم نزل - أهل البيت - مظلومين منذ قبض الله نبيه، فالله بيننا وبين من ظلمنا، وتوثب على رقابنا، وحمل الناس علينا، ومنعنا سهمنا من الفئ، ومنع أمنا ما جعل لها رسول الله، وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبى، حين فارقهم رسول لأعطتهم السماء قطرها، والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية... فلما خرجت (الخلافة) من معدنها، تنازعتها قريش بينها، فطمع فيها الطلقاء وأبناء الطلقاء، أنت وأصحابك. وقد قال رسول الله: ما ولت أمة أمرها رجلا وفيهم من هو أعلم منه، إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوا (يقصد الجاهلية). ثم دار بوجهه إلى معاوية قائلا: أيها الذاكر عليا، أنا الحسن وأبى على، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمى فاطمة وأمك هند، وجدى رسول الله وجدك عتبة بن ربيعة، وجدتى خديجة وجدتك فتيلة. فلعن الله أخملنا ذكرا وألأمناحسبا وشرنا قديما وحديثا وأقدمنا كفرا ونفاقا) [۲۲۵] . ولم يمكث الإمام الحسن عليه السلام فى الكوفة بعد الصلح سوى أيام معدودات، حيث اتجه إلى المدينة واستقر فيها. ويروى المؤرخون أن الله (سبحانه وتعالى) صب على الكوفة بعد خروج آل محمد منها الطاعون الجارف عقوبة عاجلة لها بسبب موقف أهلها المتخاذل من هؤلاء البررة [صفحه ۱۲۴] الميامين، وقد أخذ هذا المرض أرواح آلاف الناس حتى أن والى معاوية على الكوفة المغيرة بن شعبة خرج منها فرارا من المرض، وعندما ظن أن هذاالوباء قد ذهب رجع إلى الكوفة فأصيب بالمرض ومات فيه [۲۲۶] . واستشهد الإمام الحسن عليه

السلام فی سنة ۴۹ ه بعد أن دست له زوجته جعدة بنت المنافق المعروف الأشعث بن قیس السم بتحریض من معاویة، وقد وعدها بمئة ألف دینار وبالتزویج من ابنه یزید. فأوفاها بما وعدها من مال، وأبی علیها التزویج من ابنه قائلا لها: (أخشی أن تفعلی به کما فعلتابن رسول الله) [۲۲۷] وکان ذلک فی منتصف خلافة معاویة، وهو الوقت الذی بدأ فیه یخطط بتوریث الخلافة إلی ابنه یزید. ویروی ابن قتیبة أن معاویة لما أتاهخبر وفاة الحسن علیه السلام أظهر فرحا وسرورا، حتی سجد وسجد من کان معه [۲۲۸] . [صفحه ۱۲۵]

خلافة معاویة

و جاء الملک العضوض

وأخیرا صفا الجو لمعاویة بعد مقتل الإمام علی علیه السلام وتسلیم الحسن علیه السلام الخلافة إلیه، وعندما دخل الکوفة، خطب بالناس هناک معبرا عن حقیقة نوایاه تجاه الخلافة والحکم قائلا: (إنی والله ما قاتلتکم لتصلوا ولا لتصوموا، وإنما قاتلتکم لأتأمر علیکم، وقد أعطانی الله ذلک وأنتم کارهون) [۲۲۹] وبشأن ما صالح علیه الحسن علیه السلام قال: (ألا وإن کل شئ أعطیته الحسن فتحت قدمی هاتین) [۲۳۰] . والحقیقة فإن سلوک معاویة طوال مدة خلافة، بل ومنذ أن ولاه الخلیفة عمر بن الخطاب ولایة الشام، فی الولایة والحکم کان مصداقا لسلوک الملک المستبد، وهو لم یضع تحت قدمیه معاهدة صلحه مع الإمام الحسن [صفحه ۱۲۶] الولایات بسب الإمام ولعنه علی المنابر فی کل جمعة وعید وقنوت الصلوات. ویروی الجاحظ: (إن معاویة کان یقول فی آخر خطبته: اللهم أن أبا تراب [یعنی علیا] ألحد فی دینک، وصد عن سبیلک، فالعنه لعنا وبیلا، وعذبه عذابا ألیما. وکتب بذلک إلی الآفاق، فکانت هذه الکلمات یشاد بها علی المنابر إلی أیام عمر بن عبد العزیز، وأن قوما من بنی أمیة قالوا لمعاویة: یا أمیر المؤمنین، إنک قد بلغت ما أملت، فلو کففت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتی یربو علیه [سب الإمام] الصغیر ویهرم علیه الکبیر، ولا یذکر له ذاکر فضلا) [۲۳۱] وقال الزمخشری: إنه کان فی أیام بنی أمیة أکثر من سبعین ألف منبر یلعن علیها علی بن أبی طالب بما سنه لهممعاویة من ذلک [۲۳۲] . وروی أیضا أنه عندما کتب معاویة إلی عماله أن یلعنوا علیا علی المنابر ففعلوا، کتبت أم سلمة زوج النبی صلی الله علیه وآله وسلم إلی معاویة: إنکم تلعنون الله ورسوله علی منابرکم، وذلک أنکم تلعنون علی بن أبی طالب ومن أحبه، وأناأشهد أن الله أحبه ورسوله. فلم یلتفت معاویة إلی کلامها [۲۳۳] . وأخرج مسلم فی صحیحه (أن معاویة أمر سعد بن أبی وقاص فقال: ما منعک أن تسب أبا التراب (یعنی علیا)؟ فقال: أما ذکرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم فلن أسبه، لئن تکون لی واحدة منها أحب إلی من حمر النعم...إلی آخر ما قال) [۲۳۴] وفی صحیح مسلم أیضا: (استعمل معاویة علی المدینة [صفحه ۱۲۷] (مروان بن الحکم) فدعا سهل بن سعد فأمره أن یشتم علیا، فأبی سهل. فقال مروان: أما إذا أبیت فقل لعن الله أبا التراب، إنه کان لیفرح إذا دعی بها) [۲۳۵] . وقد أقدم مروان بن الحکم وخلافا للسنة النبویة علی تقدیم خطبة العیدین علی الصلاة لأن الحضور کانوا یتفرقون بعدها لکراهیتهم سماع شتم مروان فی خطبته لعلی علیه السلام. وأخرج البخاری عن ابن عباس قال: (شهدت العید مع رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وأبی بکر وعمر وعثمان (رضی الله عنهم)، فکلهم کانوا یصلون قبل الخطبة) [۲۳۶] وقال أبو سعید الخدری: فلم یزل الناس علی ذلک حتی خرجت مع مروان وهو أمیر المدینة فی أضحی أو فطر، فلما أتینا المصلی، إذا منبر بناه کثیر بن الصلت، فإذا مروان یرید أن یرتقیه قبل أن یصلی، فجذبته بثوبه فجذبنی. فارتفع فخطب قبل الصلاة. فقلت له: غیرتم والله. فقال مروان: قد ذهب ما تعلم... إن الناس لم یکونوا یجلسون لنابعد الصلاة، فجعلت الخطبة قبل الصلاة [۲۳۷] . وکان معاویة فی أحیان کثیرة یأمر بإنزال أشد العقاب بما فی ذلک القتل بکل من یأبی شتم الإمام علی علیه السلام. ومن ذلک ما یروی أنه عندما کان بسر بن أرطأة یشتم علیا علی منبر البصرة قال: نشدت الله رجلا- علم أنی صادق إلا صدقنی، أو کاذب إلا کذبنی. فقال أبو بکرة: اللهم لا نعلمک إلا کاذبا. فأمر بهابن أرطأة فخنق [۲۳۸] وحسبک فی ذلک ما جری لحجر بن عدی وأصحابه.

قتل حجر بن عدی و أصحابه

روی أن زیادا والی معاویـة علی العراق إذا خطب یوم الجمعـة فإنه یکثر من مـدح عثمان والانتقاص من علی مما کان یغضب له حجر بن عدی، [صفحه ۱۲۸] وأطال زیاد یوما فی خطبة الجمعة وآخر الصـلاة، فقال له حجر: الصلاة، فمضی زیاد فی خطبته. فخشی حجر فوات الصـلاة فقـام وأراد تأدیـة الصـلاة ولحقه النـاس، فلمـا رأی زیـاد ذلـک نزل وصـلی بالنـاس. ثم کتب إلی معاویـة فی أمر حجر وصـحبه. فکتب معاویـة إلی والیه أن شـدهم فی الحدیـد واحملهم إلی. وعنـد وصولهم إلی الشام فی مرج عـذراء قرب دمشق جاءهم رسول معاویـة وقـال لهم: إنـا قـد أمرنـا أن نعرض علیکم البراءة من علی واللعن له، فإن فعلتم ترکناکم وإن أبیتم قتلناکم. فقالوا: لسـنا فاعلی ذلک، وقاموا فصـلوا. وقال حجر: أما والله لئن قتلتمونی بها [مرج عـذراء] فإنی لأول المسـلمین کبر فی نواحیها، وأول فارس من المسلمین هلک فی وادیها [فحجر بن عدی هو الذی قام بفتح منطقة مرج عذراء أیام خلافة عمر] فقتلوه، وقتلوا ستة من أصحابه. وقال اثنان منهما: إبعثوا بنا إلی أمیر المؤمنین، فإنا نقول فی علی مقالته، فأذن لهما معاویة. فأما الأول فقد تبرأ من علی فعفا معاویة عنه. ونفاه إلی الموصل، وأما الثانی وهو عبد الرحمن العنزی فقال لمعاویة: أشـهد أن علیا کان من الذاکرین لله تعالی کثیرا، ومن الآمرین بالحق، والقائمین بالقسط، والعافین عن الناس. فرده معاویة إلی زیاد وأمر أن یقتلشر قتلة، فدفنه زیاد حیا) [۲۳۹] .

شرب الخمر

وقـد أثبت هـذه الحقیقـة بعض رجال الحدیث والسیر، ومن هؤلاء أحمد بن حنبل فی مسـنده، حیث روی عن عبد الله بن بریدة، قال: (دخلت أنا وأبی علی معاویة فأجلسـنا علی الفرش، ثم أتینا بالطعام فأکلنا ثم أتینا بالشـراب، فشرب معاویة ثم ناول أبی (فرده) قائلا: ما شربته منذ حرمه رسول الله) [۲۴۰] . [صفحه ۱۲۹]

اخذ البیعة للابن الفاجر یزید

بعـد أن تم الأمر لمعاویـة وقد تنعم بالملک سـنوات طوال، أراد أن یجعل الخلافة ملکا خاصا ببنی أمیة، فقرر توریثها لابنه یزید وأخذ تحضیره لـذلک سـنوات عدیـدة (فلم یزل یروض النـاس لبیعته، یشاور ویعطی الأقارب ویـدانی الأباعـد) [۲۴۱] وکمـا قـال أبو الفرج الأصـفهانی: (أراد معاویـة أخـذ البیعـة لابنه یزیـد، فلم یکن شـیئا أثقل علیه من أمر الحسن بن علی وسـعد بن أبی وقاص،فدس إلیهما السم فماتا) [۲۴۲] . وکـان یثقـل علی معاویـة لما کان یربطه بالإمام الحسن علیه السـلام من عهـد ینص علی أن یکون الأمر من بعـده للحسن ولیس له أن یعهـد بالخلافة لأحد، ولما کان لسـعد بن أبی وقاص من مکانة مرموقة بین صـحابة رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم وهو الوحید الباقی من السـتة الذین کان عمر بن الخطاب قد رشحهم للخلافة بعده. وأما یزید فهو لم یتجاوز العشرین من عمره، وکان کما أجمع المؤرخون شابا ماجنا مـدمنا علی الخمر واللعب مع الکلاب والقرود، وعدیم الخبرة ولا یعرف من الدین شـیئا. ونظرا لوجود مثل هـذه الصـعوبات، فقـد أصـر معاویـة علی أخذ البیعة لابنه من الناس قبل موته، فبدأ یسـتقدم الوفود من البلاد لهذا الغرض، وکـان یهـدد من یرفض ویجزل العطاء لمن یبایع، حتی أنه ولی بعضـهم الإمارة کسـعید بن العاص علی المدینـة بعـد عزله مروان عنها لتباطئه بأخذ البیعة من الناس، وسـعید بن عثمان بن عفان علی خراسان تسـکینا له بعد أن وجد فیه میلا للإمارة، وثبت المغیرة بن شعبة بعد أن کان یخطط لعزله. [صـفحه ۱۳۰] وعنـدما أراد أخـذ البیعـة من أهل الشام، خطب فیهم وسألهم عن رأیهم فیمن یخلفه، فقالوا: رضـینا بعبـد الرحمن بن خالـد بن الولیـد، فشق ذلـک علیه وأسـرها فی نفسه. ومرة ألم بعبـد الرحمن مرضـا، فأرسل إلیه معاویـة طبیبه الخـاص وکان یهودیا – وقیل هو ابن رثال النصـرانی – وسـقاه بأمر من الخلیفـة سـقیة قتله بها [۲۴۳] . وبالنسـبة لبیعة أهل العراق، فقد تکفل بها کل من المغیرة بن شـعبة والی الکوفة، وزیاد بن عبید الله والی البصرة. ثم ارتحل معاویة إلی الحجاز ومعه ألف فارس لأخذ

البیعـة من أهل مکة والمدینة بعد أن استعصـی أمرهم علی ولاته. وکان من کبار المسـلمین الذین أبوا البیعة هناک: الحسـین بن علی، وعبـد الله بن الزبیر، وعبد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن أبی بکر. فاجتمعوا فی الحرم وقال المعارضون کلمتهم، فقام معاویة خطیبا وقد جعل علی رأس کل من الأربعـة رجلین بسـیفیهما فإن تکلم أحـدهم بکلمة یرد بها علیه قتلاه، وقال: (إن هؤلاء الرهط سادة المسـلمین وخیارهم وإنهم قد رضوا وبایعوا لیزید،فبایعوا علی اسم الله) فبایع الناس [۲۴۴] . [صفحه ۱۳۱]

خلافة یزید

اشاره

اسـتلم یزیـد زمام الخلافة بعد وفاة أبیه عام ۶۰ ه، ولم تـدم خلافـته سوی ثلاث سـنوات ارتکب خلالها ثلاث جرائم من أجل إخضاع الأمـة لإمارته، وکانت کل واحـدة من هذه الجرائم کافیة لوصم الخلافة الإسـلامیة وتاریخ المسـلمین بوصـمة عار لا تمحی أبد الدهر. فأمـا بالأولی فقـد ذبـح أهـل بیت النبوة علیه السـلام، وبالثانیـة اسـتباح دمـاء أهل المدینـة المنورة وأغراضـهم، وبالثالثـة قـذف الکعبة بالمنجنیق وحرقها. وإلیک بیان کل واحدة منها بشئ من التفصیل:

ذبح أهل بیت النبوة

بعد أن أخذ یزید بیعة أهل الشام، کتب إلی عامله علی المدینة الولید بن عتبة بن أبی سـفیان: (أما بعد، فخذ حسـینا، وعبد الله بن عمر وعبد الله بنالزبیر، أخذا شدیدا لیست فیه رخصة حتی یبایعوا والسلام) [۲۴۵] . وقد کان رد الحسین علیه السلام علی الولید فی مجلس عـام: (إنـا أهل بیت النبوة ومعـدن الرسالـة... ویزیـد رجل فاسق شارب الخمر وقاتل النفسالمحرمـة ومعلن بالفسق، ومثلی لا یبایع مثله) [۲۴۶] ، ثم مضـی الحسـین ومعه أهل بیته إلی مکـة. وهکـذا فعل عبد الله بن الزبیر، وأما عبد الله بن عمر فقد کان خارج المدینة حین وصول خبر موت معاویة، وقال للحسـین وابن الزبیر حین [صـفحه ۱۳۲] لقیهما أثناء توجههما نحو مکـة: اتقیا الله ولا تفرقا بین جماعة المسلمین،وعندما وصل المدینة بایع یزید [۲۴۷] . وکان توجه الحسین علیه السلام إلی مکة بوصفها قاعدة الإسلام الکبری، ومنها بدأ یعلن من خلال اتصاله بالناس ضـرورة رفض مبایعة یزید. وعندما سـمع أهل الکوفة بأنباء معارضة الحسـین علیه السـلام، بدأوا بإرسال رسائل التأیید والمبایعة والاسـتعداد لاسـتقباله فی العراق، فأرسل إلیهم ابن عمه مسـلم بن عقیل لیسـتطلع صدق نواایاهم. وعندما وصل مسـلم إلی الکوفـة وتحقق من صـحة الموقف أرسل إلی الإمام: (بایعک أکثر من ۲۰ ألفا من أهلالکوفة، عندما یصـلک کتابی عجل بالمسیر) [۲۴۸] وقیـل إن عـدد المبـایعین وصل إلی ۴۰ ألفـا، فـانطلق الإمـام بحشـد کبیر متوجها نحو العراق. وبالطبع فإن هـذا التأیید الجمـاهیری الکبیر الـذی لاقاه مسـلم بن عقیل قـد ساء الموالین للأمویین فی الکوفـة، فکتبوا إلی یزیـد یخبرونه بالأمر، وأن النعمان بن بشـیر الذی تولی الکوفة بعد موت زیاد لا طاقة له علی المقاومة، فقرر یزید عزله باسـتشارة من کاتبه وأنیسه النصـرانی سرجون وتعیین عبیـد الله بن زیاد بـدلا منه وکانت أولی کلمات ابن زیاد لأهل العراق فی بدایة حملة القمع والتخویف: (لئن بلغنی رجل منکم خلاف لأقتلنه وعریفه ووولیهولآخذن الأدنی بالأقصـی حتی تسـمعوا ولا یکون فیکم مخالف) [۲۴۹] وقال مهددا لکل من یستضـیف مسلم بن عقیل فی بیته: (أیما عریف وجد عنده أحدمن بغیة أمیر المؤمنین ولم یرفعه إلینا صـلب علی باب داره) [۲۵۰] . [صفحه ۱۳۳] وعندما علم ابن زیاد عن طریق أحد العیون عن نزول مسـلم بن عقیل عند هانئ بن عروة، قام من فوره باسـتدعاء هانئ ثم حبسه وعذبه لرفضـه تسـلیم ابن عقیل له أو الإخبار عن مکانه. ولدی علم ابن عقیل بما حدث لهانئ، نادی بأصـحابه وعبأ أربعة آلاف وسار بهم نحو قصـر ابن زیاد، ولکنهم بدأوا یتناقصون فی الطریق حتی وصلوا إلی ثلاثمائة عند وصولهم القصر، ذلک أنه وأثناء مسیرهم، کانت أبواق ابن زیاد تـدور علی دور الکوفة محذرة ومخوفة بقدوم جیش یزید من الشام، فرجع ابن عقیل دون حصول مواجهة، إلا أن ابن زیاد تمکن

من ملاحقته واعتقاله، ثم قام بقتله مع هانئ بن عروة، ومثل بجسديهما. وعندما وصلت هذه الأخبار إلى الإمام الحسين عليه السلام أثناء مسيره نحو العراق، تيقن مما قاله له الفرزدق (الذى كان متوجها إلى مكة قادما من العراق) قبل ذلك حين سأله الإمام عن الوضع فى الكوفة وكانت إجابته: (قلوب الناس معك وسيوفهم عليك)، فقام الإمام عليه السلام معلنا لمرافقيه: (أيها الناس، لقد خذلنا شيعتنا، فمن أراد منكم الانصراف فلينصرف). فتفرقوا من حوله يمينا ويسارا ولم يبق معه سوى أهل بيته ونفر من أصحابه الذين رافقوه من مكة والمدينة. (وبالنظر لطبيعة الظروف السياسية الخاصة فى تلك الأيام تيقن الإمام أن حركة المعارضة هذه ستمنى بالفشل العسكرى، ولكن من الواضح أن هذه الحرب الغير متكافئة بين الحسين والأمويين كانت لها أسباب ودوافع معنويةأخرى لا يمكن فهمها أو تحليلها بالمنظار السياسى المتعارف) [۲۵۱] . وهكذا واصل الإمام الحسين عليه السلام مسيره نحو الكوفة حتى خرجت له كتائب ابن زياد وأجبرته على النزول فى منطقة قرب الفرات تدعى كربلاء، وكان ذلك فى الثانى من محرم سنة ۶۰ هجرية. ثم منع الماء عن الحسين وأصحابه وفشلت جميع المفاوضات التى دارت هناك لسبعة أيام، وكانت [صفحه ۱۳۴] ترمى هذه المفاوضات إلى إقناع الحسين لأعدائه بالعدول والتخلى عن تنفيذ جريمتهم، فى نفس الوقت الذى كان يحاول فيه قادة جيش ابن زياد وعلى رأسهم عمر بن سعد بن أبى وقاص إقناع الحسين بالاستسلام ومبايعة يزيد. وكان عمر بن سعد كارها لقتال الحسين، ولكن إمارة الرى فى خراسان التى وعده بها ابن زياد فى حالة إخضاعه للحسين قد أعمته عن رؤية الحق والصواب. وأما الحسين عليه السلام فقد كان موقفه النهائى: (إنى لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما). وفى غضون ذلك تحول ۲۰ عشرون مقاتلا من جيش الكوفة إلى معسكر الحسين عليه السلام: وكان من أبرز المنضوين تحت راية الحسين: الحر بن يزيد الرياحى الذى كان قائدا لأولى الكتائب التى خرجت لمواجهة الحسين قبل وصوله كربلاء. وفى تلك الأثناء أيضا، كان ابن زياد يواصل إكراه الكوفيين على الذهاب إلى المعسكر اليزيدى، حتى وصل تعداد ما أرسله ثلاثين ألفا، ولكن أكثرهم كانوا يهربون فى منتصف الطريق لكراهيتهم قتال الحسين، ولم يشارك منهم فى تلك الجريمة سوى أربعة آلاف أو أكثر من ذلك على حسب روايات أخرى. ويقول ابن قتيبة فى ذلك: (إن ابن زياد كان إذا بعث قائدا وأرسل معه عددا كبيرا من الجنود إلى كربلاء، فإنهم يصلون هناك ولم يبق منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين فيرتدعونفيتخلفون) [۲۵۲] . وهكذا، فقد كان اشتباك الطرفين فى العاشر من محرم بعد أن تقدم عمر بن سعد نحو معسكر الحسين ورمى بسهم وقال: اشهدوا لى عند الأمير إنى أول من رمى. ثم لحقه فى ذلك رجاله، فلم يبق من أصحاب الحسين أحد إلا أصيب من سهامهم. فقال الحسين لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى [صفحه ۱۳۵] الموت الذى لا بد منه، فإن هذه السهام رسل القوم إليكم [۲۵۳] ، فحملوا حملة واحدة أدت إلى استشهاد العديد منهم. وكان الحر بن يزيد الرياح أول من استشهد منهم. ثم أخذ القتال يتحول إلى مبارزات فردية، وأحيانا كان الرجلان أو الثلاثة أو الأربعة يغيرون على الكوفيين أحدهم يضرب والآخر يحمى ظهره، فكان قتلى ابن زياد أكثر بكثير من شهداء الحسين، حتى صاح عمرو بن الحجاج الذى هاله ما رأى من كثرة قتلاهم: إنكم تقاتلون شجعانالعرب وقوما مستميتين لا يبرز إليهم أحد إلا قتلوه [۲۵۴] حتى قالوا: قاتلوا من مرق عن الدين وفارق الجماعة! [۲۵۵] . فحمل جيش ابن زياد حملة واحدة على الإمام وأصحابه، فاستشهدوا واحدا تلو الآخر حتى سقطوا جميعا شهداء، بمن فيهم طفل الحسين الرضيع. والذى كان الإمام عليه السلام قد حمله ليستعطف قلوب القوم وطلب منهم أن يسقوه شربة ماء، ولكنهم بدلا من ذلك صوبوا إلى عنقه سهما، ثم واصل القتلة وحشيتهم بتقطيع رؤوس الشهداء، وحملوها هدايا يتقاسمونها هدايا فيما بينهم، ثم رفعوها على رؤوس رماحهم متوجهين بها إلى ابن زياد فى الكوفة لأخذ الأجر والمكافأت، والذى بدوره أرسلها إلى يزيد بن معاوية فى الشام ومعها نساء أهل البيت عليه السلام سبايا، وفى اليوم الأول من صفر، وصل ابن زياد ورجاله دمشق، وخرج الناس إليهم يستقبلونهم بالدفوف والبوقات، وهم فى فرح وسرور، وعندما رأى يزيد السبايا والرؤوس على أطراف الرماح، ضرب رأس الحسين بعصا الخيزران، ثم تمثل بأبيات ابن الزبعرى: ليت أشياخى ببدر شهدوا++ جزع الخزرج من وقع الأسل لأهلوا واستهلوا فرحا ++ ثم قالوا يا يزيد لا تشل [صفحه ۱۳۶] قد قتلنا العزم من ساداتهم++ وعدلناه ببدر فاعتدل لعبت هاشم بالملك فلا++ خبر جاء ولا

وحی نزل لست من خندف إن لم أنتقم++ من بنی أحمد ما کان فعل وفی أبیات أخری أنشدها وهو جالس فی منظرة علی جیرون بالشام: لما بدت تلک الحمول وأشرقت++ تلک الرؤوس علی شفا جیرون نعب الغراب فقلت أو لا تصح++ فلقد قضیت من الرسول دیونی ومن الواضح أن الدیون التی یقصدها یزید فی هذه الأبیات هی مقتل العدید من أشیاخه (یعنی أجداده) فی بدر بسیوف علی وحمزة. وقد أفتی کل من سبط بن الجوزی والقاضی أبو یعلی والتفتازانی والجلال السیوطی،وجمیعهم من أعلام أهل السنة القدامی بکفر یزید وجواز لعنه [۲۵۶] استنادا إلی هذه الأبیات وما جاء فیها من اعترافات صارخة لمن لم یکن لیفهم من فضائح الأعمال! وکان کما قاله ابن الجوزی: (ولو لم یکن فی قلب یزید أحقاد جاهلیة وأضغان بدریة لاحترم الرأس لما وصل إلیه وکفنه ودفنه وأحسن إلی آلالرسول) [۲۵۷] .

استباحة دماء أهل المدینة و أعراضهم

من المعروف أن أهل المدینة المنورة لم یناصروا الحسین علیه السلام عندما بدأ حملته المعارضة لمبایعة یزید، ولکنهم عندما ذاقوا مرارة ظلم یزید وجور ولاته، ولما ظهر من فسق الخلیفة وشربه للخمر وقتله لأبناء رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فإنهم قاموا بالتحرک أخیرا ضد یزید، فخلعوا بیعتهم له وطردوا والیه علی المدینة عثمان بن محمد بن أبی سفیان. [صفحه ۱۳۷] وعندما علم یزید بذلک، عمل کما أوصاه أبوه فی حالة معارضة أهل المدینة، فأرسل إلیهم جیشا کبیرا بقیادة مسلم بن عقبة اجتاح به المدینة وأباحها لجنوده ثلاثة أیام، قاموا خلالها بارتکاب أفظع الجرائم، فقتلوا ما یزید عن خمسة آلاف من الناس، ونهبوا الأموال، وأحرقوا البیوت، واعتدوا علی الأعراض، حتی قیل إنهم فتکوا بحرمة أکثر من ألفعذراء [۲۵۸] وفی روایة لابن کثیر أن ألف امرأة من أهل المدینة ولدت بعد هذه الجرائم من غیر زوج [۲۵۹] وحتی أن بعض الصحابة المتبقین کجابر بن عبد الله وأبی سعید الخدری هربوا إلی کهوف الجبال فی تلکالأیام. [۲۶۰] ثم قام مسلم بن عقبة بإکراه أهل المدینة لیبایعوا یزید علی أنهم عبید له. واعترض الناس علی ذلک، وکان منهم علی سبیل المثال رجلان قالا: بل نبایع علی کتاب الله وسنة رسوله، فقدمهما ابن عقبة وضرب أعناقهما [۲۶۱] .

ضرب الکعبة بالمنجنیق و إحراقها

بعد أن تم للجیش الیزیدی ما أراده فی المدینة، توجه نحو مکة، وفی الطریق مات مسلم بن عقبة، فتولی قیادة الجیش الحصین بن نمیر السکونی وحاصر الکعبة التی لاذ بها الثائر عبد الله بن الزبیر، والذی سمی نفسه (العائذ بالبیت) بعد أن بایعه الناس هناک علی الخلافة. فضرب الحصین الکعبة بالمنجنیق حتی انهدم معظم أجزائها، وقاتل ابن الزبیر ببسالة، وساعده علی الصمود رجال من أهل المدینة لحقوا به. [صفحه ۱۳۸] وبعد أن استعصی علی الجیش الأموی إخضاع ابن الزبیر، وضعالمحاصرون نارا علی رأس رمح، ورموا به الکعبة فاحترقت [۲۶۲] ، ثم بقوا محاصرین للبیت الحرام عدة شهور حتی وصلهم خبر هلاک یزید (عام ۶۴ هجریة). فانفکوا عنها راجعین إلی الشام مغلوبین، وتفرقوا أثناء رجوعهم لاضطراب أمرهم، فلاحقهم أهل مکة والمدینة، حتی أخذوا أربعمئة منهم إلی (الحرة) بالمدینة، وأمر مصعب بن الزبیر بقتلهم، ثم بایع أهل المدینة أخاه عبد الله بالخلافة. [صفحه ۱۳۹]

خلافة عبدالله بن الزبیر

بعد هلاک یزید بن معاویة، تولی خلافة المسلمین بعده ابنه معاویة، وکان عمره آنذاک ثمانی عشرة سنة أو اثنین وعشرین حسب روایة أقوال أخری، وقیل عنه إنه کان رجلا فیه صلاح وتقوی بخلاف أبیه، ولکنه تنازل عن الخلافة لأسباب غامضة بعد تولیته بشهرین، فقال بعض المؤرخون: إنه کان مریضا، وقال آخرون: إنه کان مکرها علی التنحی، وهذا هو الأرجح، لأنهطعن بعد تنازله بأیام، وقیل إنه قتل مسموما [۲۶۳] . وقد استثمر الخلیفة الآخر عبد الله بن الزبیر حالة الفوضی فی العاصمة دمشق من جراء التنافس علی

الخلافة بين الأمويين فى توسيع نفوذه، فبويع له فى البصرة والكوفة ومصر وحتى فى جز من الشام، وكان أخوه مصعب قائدا عاما لجيوشه. ولأن معاوية بن يزيد لم يستخلف أحدا بعده، فقد وثب مروان بن الحكم على الخلافة الأموية وأجبر أهل الشام على مبايعته، ولكنه أيضا لم تدم خلافته طويلا، حيث قيل إن أم خالد بن يزيد قد طعنته بعد تسلمهالخلافة بتسعة شهور لسبه ابنها خالد بكلام فاحش أصابها [۲۶۴] وقد عهد مروان بالخلافة من بعده لابنه عبد الملك، وكان ذلك سنة ۶۵ هجرية. وظهرت فى العراق بتلك الحقبة الزمنية حركات ثورية ضد الأمويين تحت قيادة المختار الثقفى وسليمان بن صرد تحت عنوان حركة (التوابين) [صفحه ۱۴۰] لندمهم على عدم نصرة الحسين عليه السلام. وكانت مهمة هذه الحركة تتبع قتلة الحسين وأصحابه والانتقام منهم، فقتلوا كثيرا من أولئك القتلة بما فيهم عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد. ثم استشهد ابن صرد وحمل رأسه إلى مروان بن الحكم فى الشام. وقد قضى على حركة التوابين بمقتل المختار والآلاف من أتباعه فى حرب نشبت بينهم وبين مصعب بن الزبير سنة ۶۷ هجرية فى العراق،ثم أرسل ابن الزبير برأس المختار إلى أخيه الخليفة عبد الله فى مكة [۲۶۵] وأما أسباب نشوب الحرب بينهم فهى تعود لكثرة ما قتل ابن الزبير من أنصار أهل البيت عليه السلام فى العراق بالفترة القصيرة الذى أصبح تحت سيطرته. ومن المعروف إن عبد الله بن الزبير كان من أشد المبغضين لعلى بن أبى طالب عليه السلام منذ يوم الجمل حيث كان حينها قائدا لجيش أم المؤمنين عائشة. وبالنسبة للأمويين، فإن ابن كثير يروى بأنه: لما بويع لعبد الملك بن مروان بالخلافة، كان فى حجره مصحف فأطبقه قائلا: (هذا فراق بينيوبينك) [۲۶۶] ثم انصرف فى بداية تسلمه الخلافة إلى إعادة ترتيب أوضاع البيت الأموى فى الشام وبعد أن تم له ذلك، بدأ يوجه أنظاره إلى القضاء على خلافة ابن الزبير، وقد استفاد فى ذلك من الحرب التى جرت بين المختار ومصعب، حيث أدى مقتل الآلاف من أتباع المختار وشيعة العراق على أيدى الزبير إلى قيام أهل العراق بخلع بيعتهم لعبد الله، وإعلانهم التأييد لخلافة عبد الملك بن مروان. فسار عبد الملك بجيش إلى العراق لمحاربة جيش ابن الزبير، وقد انتهت المعركة سريعا بمقتل القائد مصعب وبعد أن انضم كثير من جنده إلى المعسكر الأموى. فدخل عبد الملك الكوفة وبايع له أهل العراق. [صفحه ۱۴۱] ثم بعث عبد الملك حملة على الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى للقضاء النهائى على خلافة ابن الزبير، وكان له ذلك عندما حاصر مكة وقطع عنها الإمدادات الغذائية حتى أخذ ينضم إليه أتباع ابن الزبير، وقد بلغ تعداد الخارجين إليه من مكة العشرة الآلاف من بينهم ابنى الخليفة عبد الله وهما حمزة وحبيب. ثم دخل الحجاج مكة وأخذ البيعة من أهلها، وقام بإعدام عبد الله بن الزبير ومعاونيه، وصلب أجسادهم فى الحرم وسلخها. وكالعادة، فقد أرسل الحجاج رؤوس الضحايا إلى الخليفة الأموى عبد الملك فى الشام وكان ذلك سنة ۷۳ هجرية. وبقى الحجاج واليا على الحجاز لثلاث سنوات حتى كتب له عبدالملك: سر إلى العراقيين واحتل لقتلهم، فإنه قد بلغنى عنهم ما أكره [۲۶۷] إلى هذا الحد ينتهى القدر الذى رأيناه كافيا لإعطاء صورة واقعية للواقع التاريخى لدولة الخلافة (الإسلامية؟) بعدهم من الأمويين، والعباسيين، والعثمانيين، حيث تم القضاء عليها عام ۱۹۲۴ م. [صفحه ۱۴۳] القسم الثالث دليل التشريع وشهادة التاريخ فى معرفة الخلفاء والأئمة تقديم الفصل الأول: مقياس لمعرفة الخلفاء والأئمة الفصل الثانى: لمحات من سيرة الخلفاء الاثنى عشر [صفحه ۱۴۴]

دليل التشريع و شهادة التاريخ فى معرفة الخلفاء والأئمة

تقديم

لقد قدمنا فى القسم الأول عرضا موضوعيا لآراء أهل السنة والشيعة فيما فهموه من التشريع الإسلامى فى قضية الخلافة والإمامة، وفى القسم الثانى قدمنا عرضنا للواقع التاريخى لدولة الخلافة فى صدر الإسلام. وفى كلا القسمين، كان العرض معتمدا بصورة رئيسية على آيات الكتاب والأحاديث والمرويات من كتب الصحاح والتاريخ بالإضافة أحيانا إلى أقوال بعض العلماء فيها. وفى هذا القسم، ونظرا للإشكالات العديدة والمجادلات العقيمة التى تصاحب إجابة هذا النوع من التساؤلات، فقد رأينا تقديم طريقة خاصة فى تحديد

ومعرفة هوية الخلفاء والأئمة يدمج فيها بين العقل والنقل من جهة، وبين دليل التشريع وشهادة التاريخ من جهة أخرى. فالمسألة هى ليست مفاضلة بين أشخاص، بقدر ما هى بحثا عن منهج منسجم مع بقية مناهج الإسلام وتعاليمه من حيث الوضع والعقلانية، يستطيع الناس من خلاله تعيين أو اختيار الخليفة فى كل عصر، ولا بد أن يكون الشارع المقدس قد وفر ذلك وإلا لكان للناس العذر فى جهله، بل ومخالفته. وسنقدم تفصيل هذا الأمر على فصلين: الأول: مقياس لمعرفتهم. الثانى: لمحات من سيرتهم. [صفحه ۱۴۵]

مقياس لمعرفة الخلفاء والأئمة

بين خلافتى أبى بكر وعلى

اشاره

اشتهر عند جميع الفرق الإسلامية حديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية). أو كما جاء بألفاظ أخرى: (من ماتبغير إمام مات ميتة جاهلية) [۲۶۸] ، أو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (من مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) [۲۶۹] وصحة هذا الحديث تعد من البديهيات عند رجال الحديث دون خلاف بينهم. ومع أن هذا الحديث قد ورد بألفاظ متعددة، إلا أنها تدور كلها حول معنى واحد وهو الخسران الأخروى لمن يموت دون مبايعة إمام المسلمين، لأن طاعته واجبة على كل مسلم، كونها امتدادا لطاعة الله ورسوله (يا أيهاالذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) [۲۷۰] [النساء / ۵۹]. وسيكون هذا الحديث وما يحمله من معان هو المقياس الضابط فى معرفة أئمة المسلمين واجبى الطاعة، والذين يصدق أن يكون مصير الخارج عن طاعتهم موتة جاهلية. وسننظر فيما يلى إلى خلافتى أبى بكر وعلى من خلال هذا المقياس: [صفحه ۱۴۶]

خلافة أبى بكر

من الثابت أن عمر بن الخطاب وصف بيعة أبى بكر ب (الفلتة) ولكن - على رأيه - (وقى الله شرها). وقد قال عمر بمقولته هذه نظرا للمشاحنات التى سبقت تلك البيعة وما بعدها، حيث كان تنازع المهاجرين والأنصار، ثم تخلف العديد من كبار الصحابة عن بيعة الخليفة أبرزهم على الذى لم يبايع إلا بعد ستة شهور فى ظروف شرحت فى موقع سابق. ولكن ما يهمنا هنا إلقاء الضوء على امتناع فاطمة الزهراء ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وزوج على عليه السلام عن مبايعة الخليفة، إلى أن ماتت وهى على هذه الحال، بل وهى غاضبة عليه وأوصت أن لا يصلى عليها، ولا حتى أن يحضر دفنها كما أخرج البخارى فى الصحيح: (... فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر، فلم تزل مهاجرته حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستة أشهر...فلما توفيت، دفنها زوجها على ليلا، ولم يؤذن بها أبا بكر، وصلى عليها) [۲۷۱] . ونحن بهذا المثال أمام احتمالين لا ثالث لهما: فإما أن يكون أبو بكر هو الخليفة الواجب الطاعة، فتكون فاطمة قد ماتت ميتة جاهلية. وإما أن فاطمة لم تمت ميتة جاهلية، فيكون أبو بكر ليس بخليفة واجب الطاعة. فبالنظر إلى الاحتمال الأول، نجد أن الزهراء عليه السلام من بين الذين لم يتطرق إلى مسألة بشارتهم بالجنة أدنى شك، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة الإنسان بكاملها فى هذا الصدد، وهى التى أخبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم:(فاطمة سيدة نساء أهل الجنة) [۲۷۲] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم كذلك: (يا فاطمة، ألا ترضين أن تكونى سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة) [۲۷۳] وهى التى يغضب [صفحه ۱۴۷] النبى صلى الله عليه وآله وسلم لغضبها، وبالتأكيد على كل من يغضبها لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فاطمةبضعة منى، فمن أغضبها أغضبنى) [۲۷۴] ، وليس مهما هنا النظر فيمن أغضب فاطمة بقدر ما هو مهم معرفة أن من يغضب الله ورسوله لغضبها، لا يمكن بأى حال من الأحوال أن تكون ميتتها جاهلية والعياذ بالله،

وهی من الـذین نزل بحقهم (إنما یریـد الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت ویطهرکم تطهیرا) [الأحزاب / ۳۳]. فلا یبقی أمامنا سوی الأخذ بالاحتمال الثانی.

خلافة علی

من المعلوم أن الأمـة قـدیمها وحـدیثها أجمعت علی صـحة خلافة علی، باسـتثناء فئة خالفته ورفضت مبایعته، بل حاربته وأحدثت فتنة وشکوکا بین مسلمی ذلک الوقت. ومن أبرز هؤلاء الخارجین عن طاعة الإمام هما عائشة فی موقعة الجمل، ومعاویة فی صفین کما مر تفصـیل هاتین الحادثتین فی قسم سابق من هـذا الکتاب. فأما عائشـة، فقد تنبأ النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم بخروجها عن طاعة إمام زمانهـا قائلا:(کأنی بإحـداکن قـد نبحها کلاب الحوأب وإیاک أن تکونیها یا حمیراء) [۲۷۵] . وفی روایـة أخری، قال النبی صـلی الله علیـه وآله وسـلم: (لیت شـعری، أیتکن صاحبـة الحمـل الأدیب تسـیر حـتی تنبحهـا کلاب الحـوأب، یقتـل عن یسارهـا، وعن یمینها خلقکثیر) [۲۷۶] وفی روایـة ثالثـة، قـال النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم: (یا حمیراء، کأنی بک تنبحک کلاب الحوأب، تقاتلین علی وأنت له ظالمة) [۲۷۷] وقال الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم لعلی علیه السـلام: (یا علی إن ولیت من أمرها – یقصد عائشة – فارفق بها) [۲۷۸] . [صفحه ۱۴۸] ذلک أنه وأثناء مسیر عائشة بجیشـها نحو البصرة لاستنهاض أهلها ضد الإمام علی علیه السلام، مروا ببقعة مـاء فی الصـحراء، فنادی مناد: ها قـد وصـلنا ماء الحوأب. فلما سـمعت عائشـة ذلک صاحت: ردونی، ردونی. ما أرانی إلا راجعـة. ثم أخبرت محمد بن طلحة ما کان من تنبؤ الرسول صلی الله علیه وآله وسلم وتحذیره لها، فقال لها ابن طلحة: تقدمی رحمک الله، ودعی هـذا القول. ثم جاءهـا عبـد الله بن الزبیر وحلف لهـا بـالله أن هـذا المکـان لیس بمـاء الحوأب، ثم جاء لها بخمسـین أعرابیا من الـذین رافقوهم أثنـاء سـیرهم وشـهدوا لها زورا بأنهـذا المکان لیس بماء الحوأب کما أمرهم ابن الزبیر [۲۷۹] . ومن تنبوءات النبی صـلی الله علیه وآله وسـلم بشأن الفتنة التی أحدثتها عائشة ما أخرجه البخاری فی صـحیحه، عن عبد الله قال: (قام النبی صلی الله علیه وآله وسلم خطیبا،فأشار نحو مسـکن عائشـة فقال: هاهنا الفتنـة، ثلاثا، من حیث یطلع قرن الشـیطان) [۲۸۰] . وقـد اعتبر الصـحابی الجلیل عمار بن یاسـر أن من أطاع عائشة فی خروجها، کان عمله هذا مقابل طاعة الله حیث قال: (... ولکن الله تبارکوتعالی إیاه تطیعون أم هی) [۲۸۱] . وقیل إن الدافع الحقیقی لخروجها ضد الإمام هو کراهیتها الدفینة له منذ أن سـمعته یقول للنبی صـلی الله علیه وآله وسـلم عندما دعاه لیستشـیره فی فراقهـا بشأن ما أفتری علیها به، وقـد رآه مغموما: (یا رسول الله، لم یضـیق الله علیک، والنساء سواها کثیر). وبسـبب هـذه الضـغینة، فإنهـا کانت کما فی إحـدی الحوادث التی رواها البخاری لا تطیق أن تـذکر اسم الإمام علی لسانها. ولکنها نـدمت علی کل حال علی خروجها ضده، ولا ندری إن کانت قد بایعته بعد ذلک. [صفحه ۱۴۹] وأما معاویة، فقد کان تنبأ الرسول صلی الله علیه وآله وسـلم ببغیه وعدوانه علی إمام زمانه من المسلمات التاریخیة. فعن خالد العرنی قال: دخلت أنا وأبو سعید الخدری علی حذیفة فقلنا: یا أبا عبـد الله حدثنا ما سـمعت من رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم فی الفتنة. قال حذیفة: قال رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: دوروا مع الکتاب الله حیث ما دار. فقلنا: فإذا اختلف الناس، فمع من نکون؟ فقال: أنظروا الفئة التی فیها ابن سمیة [یعنی عمار بن یاسر] فالزموها، فإنه یـدور مع کتاب الله... ثم قال حذیفة: سـمعت رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم: یقول لعمار: یا أبا الیقظان لن تموت حتی تقتلک الفئة الباغیة، عن الطریق [۲۸۲] وفی صـحیح البخاری، کان قوله صـلی الله علیه وآله وسلم: (ویح عمار، تقتله الفئة الباغیة عمار یـدعوهم إلی الله، ویدعونهإلی النار) [۲۸۳] . وقد صدقت نبوءة الرسول صـلی الله علیه وآله وسـلم هذه عندما استشـهد عمار فی موقعة صـفین وهو یقاتل الأمویین تحت رایة الإمام علی علیه السـلام فهل بعد هذا القول من ریب حول معاویة ومصیره، فکلمات النبی صلی الله علیه وآله وسـلم لا تحتمل أی معان أخر، فعمار ومن معه طریقهم إلی الله، وأعـداؤهم البغاة الخارجین عن طاعـة إمام زمانهم طریقهم إلی النـار. ولم یکتف معاویـة بـالتمرد علی الإمـام، بل نصب نفسه خلیفـة خلال عهـد خلافة علی، وقـد بایعه أهل الشام علی ذلک، ثم هاجم مصـر واقتطعها من خلافة الإمام، کما هاجم مناطق أخری عدیدة فی الجزیرة العربیة وغرب العراق، ویقول النبی صلی

الله علیه وآله وسلم فی هذا النوع من التجرؤ: (إذا بویع لخلیفتینفاقتلوا الآخر منهما) [۲۸۴] . [صفحه ۱۵۰] وفی روایهٔ أخری عن عبد الرحمن بن عبد قال: دخلت المسجد، فإذا عبد الله بن العاص جالس فی ظل الکعبهٔ، والناس مجتمعون علیه، فقال: قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (... ومن بایع إماما فأعطاه صفقهٔ یده، وثمرهٔ قلبه، فلیطعه إن استطاع، فإذا جاء آخر ینازعه، فاضربوا عنق الآخر). قال الراوی: فدنوت من عبد الله وقلت له: أنشدک الله، أنت سمعت هذا من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم؟ فأهوی إلی أذنیه وقلبه بیدیه، وقال: سمعته أذنای ووعاه قلبی. فقلت له: هذا ابن عمک معاویهٔ یأمرنا أن نأکل أموالنا بالباطل ونقتل أنفسنا... قال: فسکت ابن العاص ساعهٔ، ثم قال: أطعه فی طاعهٔ اللهواعصه فی معصیهٔ الله [۲۸۵] . وقال النووی فی سیاق شرحه لهذه الحادثهٔ أن الراوی اعتبر (هذا الوصف فی معاویهٔ لمنازعته علیا، وکانت قد سبقت بیعهٔ علی، فرأی هذا أن نفقهٔ معاویهٔ علی أجناده وأتباعه فی حرب علی ومنازعته ومقاتلته إیاه [تعتبر] من أکل المالبالباطل، ومن قتل النفس لأنه قتال بغیر حق فلا یستحق أحد مالا فی مقاتلته) [۲۸۶] . ومما قاله النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی معاویهٔ عندما بعث إلیه یوما بن عباس یدعوه، فوجده یأکل، فأعاد النبی صلی الله علیه وآله وسلم ابن عباس إلیه یطلبهفوجده یأکل - إلی ثلاث مرات - فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: لا أشبع الله بطنه) [۲۸۷] . وقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم أیضا: (... أما معاویهٔ فصعلوک لا مال له) [۲۸۸] وفی موتته الجاهلیهٔ قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیه: (یطلع من هذا الفج رجل من أمتی یحشرعلی غیر ملتی) فطلع معاویهٔ [۲۸۹] ، وقوله صلی الله علیه وآله وسلم فی معاویهٔ وشریکه عمرو بن [صفحه ۱۵۱] العاص: (اللهم أرکسهما فی الفتنهٔ رکسا ودعهما إلی النار دعا) [۲۹۰] وما ینطبق علی معاویهٔ أیضا قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (من قتل تحت رایهٔ عمیهٔ یدعوعصبیهٔ، أو ینصر عصبیهٔ، فقتله جاهلیهٔ) [۲۹۱] . إن هذین المثالین کافیان لإثبات صحهٔ خلافهٔ الإمام علی علیه السلام، وأولویتها مقارنهٔ بخلافهٔ أبی بکر. فالخروج عن طاعهٔ أبی بکر لم یستلزم التهدید بسوء المصیر، بینما لزم ذلک بحق الخارجین عن طاعهٔ علی. وقد کان الأولی إثبات هذه الحقیقهٔ مما قاله النبی صلی الله علیه وآله وسلم بحق الإمام نفسه ولیس بحق مخالفیه. أفلا یکفی أن یکون علی من أهل البیت علیه السلام الذین جعل الله جل وعلا التمسک بهم مع کتاب الله بعد نبیه هدایهٔ وأمانا للناس من الضلال؟ وهو الذی قال فیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم: من کنت مولاه فعلی هذا مولاه، اللهم وآل من والاه، وعاد من عاداه).

السنهٔ النبویهٔ بین طریقین!

إن أکثر ما یتمسک به أهل السنهٔ فی الرد علی إمامهٔ أهل البیت علیه السلام هو قولهم أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم أمر بالتمسک بعده بالکتاب والسنهٔ النبویهٔ، بمعنی التمسک بالکتاب والحدیث المروی عن أی من الصحابهٔ عملا بالحدیث المزعوم: (أصحابی کالنجوم بأیهم اقتدیتم اهتدیتم) والذین یکون التمسک بهم عند أهل السنهٔ بدیلا عن التمسک بأهل البیت عند الشیعهٔ. وإذا علمنا أن مهمهٔ تحقیق السنهٔ النبویهٔ صحیحها من ضعیفها قد أوکلت للبخاری ومسلم، واعتماد کتابیهما المعروفین بالصحیحین کأصح الکتب بعد کتاب الله، وبل واعتبار صحهٔ کل ما جاء فیهما عند الغالبیهٔ العظمی من فقهاء أهل السنهٔ وعلمائها ومفکریها، فإن التمسک بکتاب الله وسنتی، یعنی التمسک [صفحه ۱۵۲] بالبخاری وسلم أکثر من التمسک بأی شخص کان. فهذان الشیخان جعلا باجتهاد هما فقط من مرویات أبی هریرهٔ أو غیره من الصحابهٔ والتابعین ممن نقلوا الروایات جیلا- بعد جیل تسمع وتعتمد عند أهل السنهٔ علی مر العصفور، وهما أیضا باجتهادهما فقط جعلا من مرویات علی أو غیره من أئمهٔ أهل البیت علیه السلام الذین تحدثوا بالسنهٔ ونقلوا الروایهٔ جیلا بعد جیل تغفل وتصبح بلا قیمهٔ عند أهل السنهٔ علی مر العصفورا. وإذا علمنا أن أهل السنهٔ اعتمدوا صحهٔ کل اجتهادات الخلیفهٔ عمر العدیدهٔ، والتی خالف فی بعضها النبی صلی الله علیه وآله وسلم صراحهٔ کما بینا من ذلک أمثلهٔ، بل ومنعه تدوین السنهٔ النبویهٔ فإن التمسک (بکتاب الله وسنتی) یعنی: التمسک بعمر أکثر من صاحب السنهٔ نفسها!، وسنری فی هذه المسألهٔ تفصیلا فی القسم الأخیر من هذا الکتاب. وإذا علمنا أیضا أن الدور الخطیر الذی لعبه معاویهٔ فی حرف مسار الخلافهٔ بصورهٔ مأساویهٔ، والتأثیر علی

أبی هریرة وغیره من الرواة کما سترى لاحقا، قد لاقى قبول غالبیة أهل السنة وموافقتهم، واعتبروه خلیفة شرعیا لرسول الله صلى الله علیه وآله وسلم، فإن التمسک بکتاب الله وسنتی یعنی التمسک بمعاویة أکثر من التمسک بخصمه على أو حتى عمر وأبی بکر الذین خالفهم جمیعا بمنهجه القبلی والجاهلی فی الخلافة والحکم. وإذا علمنا أخیرا، أن تفسیر آیات الکتاب قد اعتمد أغلبها على الأحادیث المرویة فإن التمسک (بکتاب الله وسنتی) بعد رحیل النبی صلى الله علیه وآله وسلم یعنی بصورة عملیة وواقع الحال التمسک بترکیبة من أشخاص أبرزهم: عمر - عائشة - معاویة - أبو هریرة - البخاری. بینما التمسک (بکتاب الله وعترتی أهل بیتی) بعد رحیل النبی صلى الله علیه وآله وسلم یعنی بواقع الحال التمسک بترکیبة من أشخاص هم: على - فاطمة - الحسن والحسین... إلى آخر الأئمة الاثنی عشر علیه السلام. [صفحه ۱۵۳] ومن ناحیة أخرى، وکما بینا فی موضع سابق، فإن علماء الحدیث ومحققیه عند أهل السنة وغیرهم قالوا بضعف روایة (کتاب الله وسنتی)، وصحة روایة (کتاب الله وعترتی أهل بیتی). یضاف إلى هذه الحقیقة أن السنة المرویة عن الصحابة لا- تفید علما واضحا أو ترشد إلى طریق هاد. فالصحابة اختلفوا مع بعضهم إلى حد السب، وإراقة الدماء، وإعلان الحروب، فیکونوا فی واقع الحال قد اتخذوا تبعا لذلک طرقا متعددة وفی غایة التناقض، فأی من هذه الطرق أو السنن نتبع؟ فمعاویة صحابی وعلی صحابی، فأی منهما أولى بالاتباع؟ وعلى سبیل المثال، فإنه عندما وقع المسلمون فی حیرة أمام قضیة مبایعة یزید بن معاویة، کان التمسک بأهل البیت علیه السلام یعنی رفض هذه البیعة وتأیید الحسین علیه السلام وأتباعه فی خروجه وثورته. وأما التمسک (بسنتی بمعنی نهج أصحابی) سیعنی مبایعة یزید، لأن عبد الله بن عمر، وهو أحد الصحابة القلائل الباقین فی ذلک الحین قام بمبایعة یزید على الفور تجنبا للفتنة وتفرق الأمة!. وما یلفت الانتباه فی هذا المثال أن عبد الله بن عمر کان أیضا من الصحابة القلائل الذین لم یبایعوا الإمام علیا علیه السلام فی الوقت الذی سعى إلیه الناس لمبایعته، وکان أیضا من الذین وقفوا (محایدین!) یوم صفین تجنبا للفتنة أیضا. فعبد الله بن عمر، وکل من لم یبایع الإمام سواء وقف محایدا أو محاربا، وکذلک کل من لم یؤید الحسین فی خروجه وثورته ضد الطاغیة یزید، لا یمکن أن یکون متمسکا بأهل البیت علیه السلام، فأین هم من قوله صلى الله علیه وآله وسلم: (ما إن تمسکتم بهما لا تضلوا بعدی أبدا)؟!.

الشورى بین النظریة والتطبیق

ومما یتمسک به أهل السنة أیضا فی ردهم على إمامة أهل البیت علیه السلام، هو قولهم أن النبی صلى الله علیه وآله وسلم جعل الخلافة بعده شورى مستدلین بقوله تعالى: (وأمرهم شورى بینهم). ولکن تفسیر هذه الآیة بهذه الطریقة ینقصه الدقة [صفحه ۱۵۴] والکثیر من التفاصیل، فلو أن النبی صلى الله علیه وآله وسلم أراد أن یکون الأمر بعده کذلک لعلمهم إیاه، أو على أقل تقدیر کان لیبین لهم المبادئ الإسلامیة لعملیة الشورى هذه. والآیة الکریمة لیس فیها ما یدل على أن المسلمین یجب علیهم التشاور فی جمیع شؤونهم، وإنما لا بد وأن یکون ذلک محصورا بالشؤون التی لم یرد فیها نص من الکتاب والسنة کما هو متفق علیه عند الجمیع. فکما أنه لا- یجوز التشاور فی عدد رکعات الصلاة، فإنه لا یجوز التشاور أیضا فی تعیین خلفاء النبی صلى الله علیه وآله وسلم ما دام قد وجدت هناک نصوص قطعیة تعین هویتهم. وأما فی عصرنا هذا الذی یشهد استمرار غیبة الإمام الثانی عشر، فإن الشورى ینبغی الأخذ بها فی تعیین من ینوب عن الإمام، فالنص محصور باثنی عشر إماما. وبتقدیر أن الشورى هی المبدأ الأساس فی تعیین خلفاء النبی صلى الله علیه وآله وسلم، فأین کان موقع هذه الشورى من صراع السقیفة وتنصیب أبی بکر؟ وأین کانت هذه الشورى عندما ورث أبو بکر الخلافة لعمر بنص أجبر المسلمین على التسلیم والرضا به، ودون أن یکون لأی أحد الفرصة لمناقشته؟ وأین کانت هذه الشورى فی تنصیب عثمان والذی لم تؤل الخلافة إلیه إلا بتعهده بالسیر على سنة الشیخین أبی بکر وعمر بعد أن رفض على التعهد بالعمل بها؟ وهل کان تنصیب معاویة بشورى، والذی تسبب فی إراقة دماء عشرات الآلاف من المسلمین فی صفین وغیرها من الغارات التی شنها على الولایات الإسلامیة أثناء خلافة على؟ وماذا بالنسبة لموقع الشورى من بیعة یزید؟ أولیس هو الذی نصبه معاویة

قبل موته جاعلا التوريث وإراقة دماء المعارضين مبدءا دستوريا سار عليه أئمة المسلمين منذ خلافته ولغاية القضاء على خلافة الإمبراطورية العثمانية فى مطلع القرن الميلادى الحالى؟ فكيف يعتبر أهل السنة شرعية كل أولئك الخلفاء بالرغم من أن فى طريقة تنصيبهم مخالفة صريحة لمبدأ الشورى؟ [صفحه ۱۵۵] والناظر بإنصاف إلى واقع دولة الخلافة الإسلامية على طول تاريخها، فإنه يجد أن الشورى لم تتوفر إلا فى خلافة على حيث سعى إليه غالبية الناس بعد مقتل عثمان، وألحوا عليه بقبولها.

الخلفاء بعد أبى بكر وعلى

لم تكن مناقشة هذا الفصل لمجرد المفاضلة بين خلافتى أبى بكر وعلى، وإنما للتثبت من المنهج المتكامل فى نظرية الخلافة والإمامة حسب تشريعها الإلهى، وهذا يعنى استمرار البحث للإثبات والتحقق من هوية الخلفاء الذين يفترض أن يلوا أمر المسلمين. ولم نجد فى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ما يشير إلى هوية هؤلاء أكثر قوة من تلك الروايات المخبرة بإثنى عشر منهم.

الاثنا عشر خليفة فى الكتاب والسنة

ونذكر أولا الأحاديث التى أخرجها أصحاب الصحاح، والتى تشير إلى وجود اثنى عشر خليفة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: ففى صحيح مسلم، نجد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا يزال الدين قائما حتى تقومالساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة) [۲۹۲] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم أيضا: (لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا) [۲۹۳] . وفى صحيح البخارى بالرواية عن جابر، نجد قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن هذا الأمر لا يقتضى حتى يمضى فيهم عشر خليفة - قال: تكلم بكلام خفى على،قال فقلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قريش) [۲۹۴] . [صفحه ۱۵۶] وفى مسند أحمد بالرواية عن عبد الله بن مسعود قال: (سئل النبى صلى الله عليه وآله وسلمبشأن الخلفاء، فقال: اثنا عشر كعدة نقباء بنى إسرائيل) [۲۹۵] . وقد أشار الله (سبحانه وتعالى) إلى نقباء بنى إسرائيل فى كتابه العزيز: (ولقد أخذ الله ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا) [المائدة / ۱۲]، والنقيب لغة هو الباحث عن القوم وعن أحوالهم، وجمعها نقباء. وحسب هذه الآية، فهم أسباط بنى إسرائيل الاثنى عشر، والذين كانوا كالولاة على قومهم،يتولون أمورهم، ويذكرونهم بما ينبغى عليهم الوفاء به كما ذكر المفسرون [۲۹۶] . ومن ذلك، فإن نقباء أمة محمد الاثنى عشر ينبغى حسب مقتضى الحديث الأخير، وما يفهم من هذه الآية أن يكونوا أيضا حملة (الميثاق) أو عهد الله الذى جعل فيهم كما يستدل عليه أيضا من مخاطبة الله (سبحانه وتعالى) للنبى إبراهيم عليه السلام: (وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إنى جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين) [البقرة / ۱۴۲]. ومن المعلوم - بإجماع المسلمين - أن الله (سبحانه وتعالى) جعل عهده النهائى فى ذرية إبراهيم من نسل ابنه إسماعيل عليه السلام، وليس فى نسل إسحاق عليه السلام كما يدعى أهل الكتاب، وقد توجه إبراهيم عليه السلام إلى الله جل وعلا داعيا: (ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون) [إبراهيم / ۳۷] والمقصود ب (من ذريتى) هم إسماعيل ومن انحدر من صلبه، وقد دعا إبراهيم عليه السلام أن يجعل الله لهم وفيهم الرحمة، وميل قلوب الناس إليهم تعنى زيارة الناس للبيت الحرام وحجهم إليه، وهذا الميل أو الزيارة كناية عن هداية الناس بهم. [صفحه ۱۵۷] وتؤكد توراة أهل الكتاب أيضا استجابة هذا الدعاء لقوله تعالى لإبراهيم عليه السلام (لقد سمعت دعاءك بشأن إسماعيل، إننى سأبارك فيه وأنميه واجعله مثمرا، وسيكون أبا لاثنى عشر أميرا [إماما كما فى النسخة العبرية]وسأجعل منه أمة عظيمة) [۲۹۷] . ومن الواضح من هذا النص التوراتى الموافق لما جاء فى الكتاب والسنة أن الأمة العظيمة هم الأتباع الحقيقيون لرسالة الإسلام كما يظهر جليا من قوله تعالى: (إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين) [آل عمران / ۶۸]. ولكن من هم هؤلاء الأئمة أو الأمراء الاثنا عشر الذين حسب النص السابق ستكون الأمة بهم عظيمة؟ فمن الأحاديث التى تصرح بهوية الخلفاء الاثنى عشر ما أخرجه الجوينى بسنده عن عبد الله بن

عباس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أوصيائى بعدى اثناعشر أولهم على بن أبى طالب، وآخرهم المهدى) [۲۹۸] . وفى رواية أخرى، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (إن خلفائى وأوصيائى وحجج الله على الخلق بعدى اثنا عشر أولهم أخى وآخرهم ولدى. قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟ قال: على بن أبى طالب. قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدى الذى يملأها [الأرض] قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا. والذى بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج فيه ولدى المهدى، فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلى خلفه وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرقوالمغرب) [۲۹۹] . [صفحه ۱۵۸] وفى رواية ثالثة، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (... أنا وعلى والحسن والحسين،وتسعة من ولد الحسين) [۳۰۰] . وعلى ما يبدو أن أصحاب الصحاح والمسانيد المشهورة عند أهل السنة لم تعجبهم هذه الروايات الثلاث الأخيرة فلم يخرجوها فى كتبهم، وقد قال الذهبى فى ترجمة شيوخه بتذكرة الخواص أن الإمام المحدث صدر الدين إبراهيم الجوينى وهو شافعى الذى أخرج هذه الأحاديث بكتابه (فرائد السمطين)، كان من المحدثين الثقة، وشديد الاعتناء بالرواية وتحصيلالأجزاء [۳۰۱] .

الاثنا عشر عند أهل السنة

عند النظر فى تفسير علماء أهل السنة للأحاديث الصحيحة الدالة على وجود اثنى عشر خليفة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، تجدهم متحيرين كثيرا فيها، حيث إنهم لم يقدموا لغاية اليوم تفسيرا واضحا من الممكن أن يجمعوا عليه، حتى أصبح الرقم (۱۲) هذا وكأنه من الرموز والطلاسم الغامضة، أو شبيها ۲ ب (ألم وكهيعص) الواردة فى القرآن ولكن لا أحد يعرف لها تفسيرا. وللقارئ أن يتسأل: لماذا أصبحت مسألة الاثنى عشر خليفة هذه عند بعض المسلمين من الأمور الغيبية أو المجهولة على هذا النحو؟ ونقدم فيما يلى نخبة من هذه التفسيرات لترى مدى غموض هذه المسألة عندهم، فهذا السيوطى يقول: (وقد وجد من الاثنى عشر، الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدى العباسى لأنه فى العباسيين كعمر بن عبد العزيز فى [صفحه ۱۵۹] الأمويين، والطاهر العباسى أيضا لما أوتيه من العدل، ويبقى الاثنانالمنتظران أحدهما المهدى لأنه من أهل البيت) [۳۰۲] . وأما ابن حجر العسقلانى فيقول: (إن جميع من ولى الخلافة من أبى بكر إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفسا، منهم اثنان لم تصح ولايتهما، ولم تطل مدتهما وهما معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، والباقون اثنا عشرنفسا على الولاء كما أخبر النبى) [۳۰۳] . وقال القاضى عياض: (لعل المراد بالاثنى عشر فى هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونوا فى مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ومعاوية، ويزيد، وعبد الملك، وأولاده الأربعة: الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وعمر بن عبد العزيز من سليمان ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاءالراشدين، والثانى عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك) [۳۰۴] . ثم يقدم القاضى عياض رأيا آخر: (ويحتمل أن يكون المراد مستحق الخلافة العادلين، وقد مضى منهم من علم، ولا بد من تمام هذا العدد قبلقيام الساعة... إلى قوله: والله أعلم بمراد نبيه) [۳۰۵] . وأما ابن العربى فى شرح سنن الترمذى، فإنه بعد أن أخذ تلك الأحاديثعلى مآخذ وتفسيرات مختلفة، قال: (... ولم أعلم للحديث معنى) [۳۰۶] . فما الذى تعنيه هذه التفسيرات، وخصوصا المنتهية بعبارة (والله أعلم!)؟ فهل يغلق ملف هذه القضية، ويحرم الناس من معرفة خلفاء نبيهم؟ [صفحه ۱۶۰] ولا أرى فى فهمى لهذه الأحاديث سوى هؤلاء الخلفاء الاثنى عشر هم الأئمة من أهل البيت عليه السلام وهم: على، والحسن بن على، والحسين بن على، وعلى بن الحسين، ومحمد بن على، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلى بن موسى، ومحمد بن على، وعلى بن محمد، والحسن بن على، وأخيرا محمد بن الحسن وهو المهدى المنتظر الذى يعتقد الشيعة بغيبته منذ عام ۲۶۰ ه. ويقول الإمام الخامس، محمد بن على، والملقب بالباقر:(نحن بقية تلك العترة، وكانت دعوة إبراهيم لنا) [۳۰۷] ونقدم فى الفصل التالى لمحات من سيرة هؤلاء الأئمة الأطهار. [صفحه ۱۶۱]

لمحات من سيرة الخلفاء الاثنى عشر

١ - الإمام على بن أبى طالب عليه السلام ولد فى الثالث عشر من رجب فى الكعبة المكرمة بعد مولد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بثلاثين عاما، وقيل سبعة وعشرين عاما، ونشأ وترعرع فى حجر النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وأمضى فترة صباه فى بيته. وهو أول من أسلم، وقد اختلف فى عمره حين إسلامه بين عشرة إلى ثلاثة عشر عاما. وهو على كل حال لم يسجد لصنم قط، ولم يتجه بأى عبادة لغير الله عز وجل. وكان أهم ما تميز به الإمام على عن غيره هو مصاحبته الفريدة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقربه منه، ومؤاخاته له، وتلقيه التربية على يديه. وقد عبر الإمام عن ذلك بقوله: (ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل إثر أمه) فأخذ من أخلاقه وعلمه حتى أصبح بحق باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحكمته، وما أهله ليكون وزيره ووصيه وخليفته على المسلمين بعده بل وأصبح عديلا للقرآنيعرف المؤمنون حقا بحبه والمنافقون بكرهه [٣٠٨] . وهو بذلك الوحيد الذى استحق عند الشيعة لقب (أمير المؤمنين) من بين جميع الخلفاء الذين تسنموا إمرة المسلمين على مر التاريخ، بل وحتى من بين جميع الأئمة الاثنى عشر عليه السلام. وأما عن زهده، فلم تعرف الدنيا حاكما خضعت له البلاد، ودانت له الدول وهو يلبس ثوبا بثلاثة دراهم. وأما فى مجال لقتال والحرب، فقد تميز بشجاعة وبطولة خارقة، حيث كان أول فدائى فى الإسلام عندما نام فى فراش [صفحه ١٦٢] النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقت هجرته إلى المدينة وفى موقعة بدر، قتل بسيفه (ذى الفقار) ما لا يقل عن ثلاثين مقاتلا من صناديد قريش، وقد ذكر المؤرخون نداءالملك جبريل يوم بدر: (لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا على) [٣٠٩] وأما فى موقعتى أحد وحنين، فقد وقف تلك المواقف التاريخية مدافعا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بعد فرار المسلمين الجماعى حينذاك. وفى الخندق، تصدى لمبارزة فارس المشركين الأول عمرو بن ود العامرى، بعد أن لم يتجرأ أى من الصحابة على التصدى له بالرغم من تكرار حث النبى صلى الله عليه وآله وسلم لهم بذلك، وقد وصف الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضربة على عليه السلام التى قضت على ذلك العملاق بأنها تعدل عبادة الثقلين. وفى خيبر، فإنه وبعد أن تعاقب على حمل الراية عدد من المهاجرين وسرعان ما كان كل واحد منهم يعود بالفرار والهزيمة، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (لأعطين الراية غدا لرجل يحب الله ورسوله، كرار غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه)، فكان الفتح على يديه على. وكما يذكر المؤرخون أن باب الحصن الذى حمله الإمام بعد فتحه وجعله درعا يحميه من ضربات يهود خيبر، قد عجز عن حمله أربعين صحابيا مجتمعين. فلا غرابة فى استحقاقه نيل شرف الزواج من بضعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الزهراء سيدة نساء أهل الجنة، وقد كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم رافضا تزويجها للعديد ممن تقدم لخطبتها من وجوه القوم، وكان قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلى: (إن الله) (سبحانه وتعالى) أمر بتزويج فاطمة منك)، وقد صدق القائل: (لو لم يخلق على، ما كانلفاطمة كفؤ) [٣١٠] ، وقال أحمد بن حنبل: (ما جاء لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الفضائل ما جاء لعلى بن أبى طالب) [٣١١] . [صفحه ١٦٣] وبعد موت النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فإن الإمام وبالرغم أنه كان يرى نفسه الأولى بالخلافة، كما كانت قد وصى بها النبى صلى الله عليه وآله وسلم إليه فعلا، فإنه لم يدخر جهدا فى سبيل النصح والإرشاد والتعليم فى ظل الثلاثة الخلفاء الأوائل، وعندما بايعه الناس للخلافة، فإنه لم يرق لبعض الناس ذلك، فأعلنوا التمرد عليه، فاضطر لمقاتلتهم فى مواقع ثلاثة مشهورة هى: الجمل، وصفين، والنهروان. واستشهد الإمام فى الحادى والعشرين من شهر رمضان عام ۴۰ هجرية بعد يومين من طعنة أشقى الآخرين عبد الرحمن بن ملجم له أثناء سجوده وقت الفجر فى مسجد الكوفة بالعراق. ٢ - الإمام الحسن بن على عليه السلام ولد الإمام الحسن عليه السلام فى ليلة الخامس عشر من شهر رمضان السنة الثالثة من الهجرة فى المدينة المنورة. وروى أنس بن مالك أنه لم يكن أحدأشبه برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الحسن بن على عليه السلام [٣١٢] ، وكان يكنى بالمجتبى، والزكى، والسبط، والنقى. وكانت سيرته كسيرة جده وأبيه، فكان ذا ميزات وأخلاق وفضائل إنسانية سامية من حيث التواضع، والصبر، والوقار، والعفو عند المقدرة، والكرم، وغير ذلك من المزايا الحميدة التى جعلته محبوبا فى قلوب الناس. وذكر المؤرخون أن الإمام الحسن عليه السلام أخذ الماء إلى عثمان أثناء حصاره بأمر من أبيه، وشارك برفقة أخيه الحسين وعدد من

أبناء كبار الصحابة فى حماية عثمان والوقوف أمام داره لمنع الثائرين ضد الخليفة من اقتحامها. وفى زهده وعبادته، فقد ذكر الحافظ أبو نعيم قوله: (إنى لأستحى من ربى أن ألقاه ولم أمش إلى بيته)، فمشى عشرين مرة من المدينة إلى مكة على قدميه. وروى عنه أيضا أنه تصدق بماله كله ثلاث مرات. [صفحه ۱۶۴] وفى السياسة والحرب، فقد كان له دور فعال عندما شارك فى حرب الناكثين التى عرفت بموقعة الجمل، حيث أرسله والده إلى الكوفة ليخبر الناس بخروج الناكثين، وعبأ منهم عشرة آلاف للمشاركة فى الحرب، وكذلك كان له الدور نفسه فى المشاركة بالحرب ضد المتمردين فى صفين، وقد قاتل مع الإمام على عليه السلام فى الخطوط الأمامية. وبعد استشهاد والده أمير المؤمنين، اعتلى منبر الكوفة وخطب بأهلها، فنهض الناس جماعات وبايعوه خليفة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وإماما للأمة، وبقى كذلك لستة شهور حيث اضطر إلى عقد معاهدة الصلح مع معاوية ولا سيما بعد تيقنه بتأهب الرومان لمهاجمة المسلمين مستغلين فى ذلك المواجهة المحتملة بين جيشى الحسن ومعاوية. والإمام الحسن عليه السلام بصلحه مع معاوية آثر مصلحة الإسلام على ما عداها، ولكنه بقى رغم هذا التنازل الإمام الحافظ لدين الله والهادى لشيعته ومحبيه ومصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا). ويقول اليعقوبى فى تاريخه: (عاد معاوية إلى الشام بعد عقد معاهدة الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، وهناك وصلته الأنباء بأن إمبراطور الروم تحرك من روما بجيش كبير للهجوم على الدولة الإسلامية والتى لم يكن لها آنذاك القوة اللازمة لدرء الهجوم الرومانى، فاضطر معاوية أن يدفع سنويا للروم الشرقية مائة ألف دينار سنويا) [۳۱۳] . وكان من ضمن بنود الصلح أن تسلم الخلافة بعد موت معاوية إلى الإمام الحسن، وإن مات قبل معاوية تصبح الخلافة حقا لأخيه الحسين. فكانت وفاته عليه السلام فى السابع من شهر صفر سنة ۵۰ للهجرة فى المدينة المنورة متأثرا بالسم الذى دسته له زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بالتآمر مع [صفحه ۱۶۵] معاوية كما يذكر معظم المؤرخين كالطبرى مثلا الذى يروى. أن الإمام الحسن عليه السلام سقى السم عدة مرات، وكان ينجو منه فى كل مرة إلى أن مات فى المرة الأخيرة. ۳ - الإمام الحسين بن على عليه السلام ولد فى الثالث من شهر شعبان السنة الرابعة للهجرة فى المدينة المنورة. وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه وبأخيه الحسن عليه السلام: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)، واشتهر بلقب سيد الشهداء. وكانت حياته حافلة بالحوادث الهامة والمواقف الرسالية. كما ويشهد له محبوه وأعداؤه بالزهد، والتقوى، والعلم، والفصاحة، وفضائل الأخلاق، والرأفة بالفقراء والمساكين. وشارك أباه فى مواقع الجمل، وصفين، والنهروان، إلا أن المحطة اللامعة فى حياته ذات الأهمية القصوى التى شارك فيها كانت فى كربلاء. فبعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، بدأت الشيعة فى العراق بمراسلة الحسين طالبة منه الثورة ضد معاوية، إلا أنه ذكر فى جوابه إليهم أن له ولأخيه عهدا مع معاوية لا يستطيع نقضه. وأما معاوية فقد كان طوال فترة خلافته التى دامت عشرين عاما يقوم بتهيئة الإمارة بعده لابنه الفاجر يزيد، والذى تربع فعلا على سدة الحكم سنة ۶۰ للهجرة بعد موت معاوية. وكان من البديهى أن يرفض الحسين إعطاء البيعة ليزيد ليس فقط لخرق بنى أمية معاهدة الصلح، وإنما أيضا لإحياء الإسلام والسنن الدينية التى أصبحت مضيعة ومهددة بالتحريف والزوال ولم يكن يهدف الحسين [صفحه ۱۶۶] بتراجع أهل العراق ورهبتهم من الأمويين، وهو يقول فى إحدى خطبه قرب كربلاء عن أسباب انتفاضته: (أيها الناس من رأى إماما جائرا يحلل حرمات الله وينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويخالف سنة نبيه، ويحكم بين عباد الله بالإثم والجور ولم ينكره بلسانه وعمله كان حقا على الله أن يكبه معه... إلى قوله: أيها الناس، إنهم أطاعوا الشيطان، وعصوا الرحمان، وأفسدوا فى الأرض، وعطلوا السنن، وأستأثروا ببيت أموال المسلمين، وحللوا حرمات الله، وحرموا ما أحله، وأنا أحق الناس بالإنكار عليهم. ولهذه الأسباب، فقد أصر الحسين عليه السلام على المواجهة بالرغم من علمه بنكوص أهل الكوفة وارتدادهم عن نصرته وبقائه بإثنين وسبعين رجلا فقط من أهل بيته وأصحابه الذين جاءوا معه من مكة والمدينة، حيث كان لسان حال الحسين كما وصف أحد الشعراء: إن كان دين محمد لا يستقيم++ إلا بقتلى فيا سيوف خذونى. وهكذا كان، فقد استشهد الحسين فى العاشر من محرم عام ۶۰ للهجرة وجميع من بقى معه من الرجال واستشهد وعشرون ممن تحول إلى نصرته من المعسكر الأموى على رأسهم الحر بن يزيد الرياحى، ثم حملت رؤوسالشهداء إلى يزيد فى الشام [۳۱۴] . ۴ - الإمام على بن

الحسين عليه السلام ولد فى الخامس من شهر شعبان سنة ٣٨ للهجرة بالمدينة المنورة، وكان يلقب بزين العابدين والسجاد. وعاصر فترات حكم كل من يزيد بن معاوية، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك. [صفحه ١۶٧] وقد حفظته العناية الإلهية من القتل فى كربلاء حيث كان مريضا ولم يشارك فى القتال، وأخذ مع بقية الأسرى إلى الكوفة ثم إلى الشام. وعندما هدده والى يزيد على الكوفة عبيد الله بن زياد بالقتل لاستنكاره علنا ما اقترفته أيادى الأمويين أجابه: (أبالموت تهددنى يا ابن مرجانة؟ نحن آل البيتالشهادة، والشهادة كرم لنا من الله) [٣١۵] . وهكذا فقد كان الإمام أثناء المدة القصيرة التى قضاها فى الشام دائم الاستنكار لأعمال يزيد وتذكير الناس بما حصل فى كربلاء، حتى أعيد مع النساء الهاشميات السبايا إلى المدينة حيث قضى بقية عمره الشريف هناك. ولكنه لم يكن بمنأى من المضايقات المستمرة هناك من رجال بنى أمية، فاختار طريق السرية فى تربية نخبة من التلاميذ وإعدادهم، حتى وصل عددهم إلى مئة وسبعين تلميذا، وأصبح كل واحد منهم عالما نبراسا فى المجتمع الإسلامى. منهم: سعيد بن المسيب، سعيد بن جبير، محمد بن جبير، أبان بن تغلب، جابر بن محمد بن أبى بكر، القاسم بن محمد بن أبى بكر، جابر بن عبد الله الأنصارى، وأبو حمزة الثمالى. ومن أشهر آثاره العلمية التى خلفها (الصحيفة السجادية)، وهى مجموعة من الأدعية والمناجاة التى كتبها وأورثها لشيعته، وهذه الصحيفة عبارة عن موسوعة كبيرة لمبادئ الإسلام ومعرفة الله ومعرفة الإنسان. وقد لجأ الإمام ليعبر عن أفكاره ومبادئه عبر هذه الأدعية لأنه لم يكن يسمح له عبر غيرها كاعتلاء المنبر أو المجالس العامة، حيث كانت أدعيته ذات وجهين: عبادى واجتماعى. ومن آثاره أيضا (رسالة الحقوق) والتى تعد من أسمى الرسائل فى أنواع الحقوق، يذكر فيها حقوق الله سبحانه وتعالى على الإنسان، وحقوق نفسه عليه، وحقوق أعضائه من اللسان، والسمع، والبصر، والرجلين، واليدين، [صفحه ١۶٨] والبطن، والفرج، ثم يذكر حقوق الأفعال من الصلاة، والصوم، والحج، والصدقة، وغيرها، حيث تبلغ خمسين حقا. وأما عن زهده وعبادته ومواساته للفقراء، وخوفه من الله فغنى عن البيان، فقد كان الإمام إذا توضأ اصفر وجهه، فيقال له: ما هذا الذى يعتادكعند الوضوء؟ فيقول: أتدرون بين يدى من أريد أن أقف [٣١۶] . وبقى تحرك الإمام مرصودا من قبل السلطات الأموية حتى قرر الخليفة عبد الملك بن مروان اعتقاله، فأرسل إلى الشام مثقلا- بالحديد لإرهابه وإجباره على التوقف عن استنكار الأمويين، ولكنه لم يأبه بذلك ثم أعيد إلى المدينة، حيث استمر فيها على النهج نفس، حتى دس إليه سليمان بن عبد الملك السم أخيرا فى عهد أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك. وأسدل بذلك الستار على حياة نجم آخر من نجوم الهداية فى الخامس والعشرين من محرم سنة ٩۵ للهجرة، ودفن فى البقيع بجانب ضريح عمهالحسن بن على عليه السلام. ومما يجدر ذكره أن الوهابيين [٣١٧] قاموا بهدم قبره، وقبور بقية الأئمة فى البقيع فى الثامن من شوال سنة ١٣۴۴ ه / ١٩٢۵ م. ۵ - الإمام محمد بن على عليه السلام ولد فى الأول من شهر رجب عام ۵٧ للهجرة بالمدينة المنورة، وقد عرف بلقب الباقر لبقره العلم وتفجيره له وتوسعه فيه، وعاصر طوال فترة إمامته التى دامت ١٨ عاما حكم كل من الوليد بن عبد الملك، سليمان بن عبد الملك، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك. وقد استمر هؤلاء الخلفاء باستثناء عمر بن عبد العزيز بمضايقة أئمة أهل البيت عليه السلام وتصفية أنصارهم ومحبيهم كما فعل من سبقهم من الخلفاء [صفحه ١۶٩] الأمويين. وكان أحد أدوات السلطة فى القمع والإرهاب هذه المرة رجلا يتلذذ بسفك الدماء البريئة اسمه الحجاج بن يوسف والذى ولاه الوليد بن عبد الملك العراق، حيث حولها إلى ساحة لتعذيب الأبرياء، وخصوصا شيعة أهل البيت عليه السلام. وعندما استلم عمر بن عبد العزيز الخلافة، أصدر أمرا بوقف (سنة!) سب الإمام على بن أبى طالب عليه السلام على المنابر فى الجمع والأعياد. وهى السنة التى استنها معاوية منذ أول خلافته وورثها لمن بعده، ولكن أيام الخليفة عمر بن عبد العزيز لم تطل، وهو نفسه كما يذكر المؤرخون قد تمت تصفيته على يد المعارضين لنهجه العادل من الأسرة الأموية الحاكمة. وواصل الإمام محمد الباقر عليه السلام النهج السرى لسلفه الإمام زين العابدين بتنشيط الحركة التربوية والتعليمية الشاملة، والتى مهدت لإنشاء أول مدرسة إسلامية على منهج تعاليم أهل البيت عليه السلام ولكنه وبسبب ضغوط السلطات ومراقبتهم، فإن نشاطات هذه المدرسة بقيت محدودة، ولم تعط ثمارها الحقيقية إلا فى عصر الإمام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام. وقد قام الإمام الباقر عليه السلام

بنشر الأحاديث والأحكام الإسلامية بشكل ملحوظ حتى أصبح الناس فى عصره يتناقلون علومه وأخباره. ثم لاقى الإمام عليه السلام نفس مصير آبائه وأجداده، عندما دس إليه السم عن طريق الأيدى الآثمة للسلطة الأموية الحاكمة وكان ذلك فى السابع من ذى الحجة عام ۱۱۴ للهجرة فى المدينة المنورة، وهناك دفن، فيما يعرف ب (البقيع). ۶ - الإمام جعفر بن محمد عليه السلام ولد فى السابع عشر من شهر ربيع الأول سنة ۸۳ للهجرة بالمدينة المنورة وأمه فاطمة بنت القاسم بن محمد بن أبى بكر. وعاصر خلال فترة إمامته من الخلفاء الأمويين كلا من هشام بن عبد الملك، يزيد بن عبد الملك، إبراهيم بن الوليد، ومروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين والملقب بالحمار. ومن العباسيين، فقد عاصر عبد الله السفاح وأبا جعفر المنصور الدوانيقى. وكان أشهر ألقابه الصادق. [صفحه ۱۷۰] وقد صادف عصره أواخر الدولة الأموية حيث دب فيها الضعف، وبداية الدولة العباسية حيث التظاهر بحب أهل البيت، مما أتاح الإمام الصادق عليه السلام من استكمال المدرسة التى بدأها سلفه الإمام محمد الباقر عليه السلام وتوسيعها إلى أن أصبحت جامعة كبرى لتربية التلاميذ ونشر العلوم والمعارف الإسلامية، حتى قيل إنه خلال فترة إمامته التى امتدت لأربع وثلاثين عاما تمكن من تربية ۴ آلاف تلميذ فى مختلف العلوم. وقد دار نشاط الإمام الصادق عليه السلام العلمى حول محورين أساسيين، هما: حماية العقيدة الإسلامية من التيارات العقيدية والفلسفية والإلحادية التى قويت فى عصره، ونشر الإسلام وتوسيع دائرة الفقه والتشريع وتثبيت معالمهما وحفظ أصالتهما. ويقول أبو حنيفة النعمان وهو أحد أئمة المذاهب الفقهية الأربعة عند أهل السنة: (عندما استدعى أبو جعفر المنصور الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام إلى العراق دعانى إليه لمناظرته، فكتب أربعين مسألة لطرحها على الإمام. وحين دخلت على المنصور وجدت الإمام الصادق جالسا إلى يمينه فسلمت وجلست، وقدمنى المنصور إليه، ثم أمر بطرح المسائل عليه، فكنت أسأله واحدا واحدا، وهو يجيب عنها واحدة واحدة، ومبديا فى كل مسألة آراء أهل المدينة وآراء أهل العراق وأخيرا رأيه الخاص به. وكان رأيه موافقا لآرائهمحينا ومخالفا حينا. فعرفت أنه أعلم الناس وأعرفهم بعقائد أهل زمانه) [۳۱۸] . ويقول مالك بن أنس، وهو إمام آخر من أئمة المذاهب الأربعة وأحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (كنت غالبا أدخل على الإمام الصادق عليه السلام، فكان إما مصليا أو قارئا القرآن الكريم. ولم تر عين مثله، ولم تسمع أذن بمثله،ولم يخطر على بال أحد أن يكون هناك أوسع علما وأكثر عبادة وزهدا منه) [۳۱۹] . [صفحه ۱۷۱] وعلى كل حال، فخدمات الإمام الصادق العلمية فى مجال التفسير والحديث والفقه لا يمكن حصرها، وتمكن من علماء كبار وتنشئتهم فى علوم الكلام والفلسفة والمناظرة والذين كان من بينهم: هشام بن الحكم الذى ترك وراءه خمسة وعشرين كتابا. ومن المفارقات العجيبة وما أكثرها فى تاريخنا الإسلامى أن تجد الشيخ البخارى مثلا لم يرو فى صحيحه ولو حديثا واحدا عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فى الوقت الذى تجده يروى عن مروان بن الحكم الملعون هو وأبوه على لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وعن عمران بنحطان الخارجى الذى ألف قصيدة فى مدح قاتل على بن أبى طالب! [۳۲۰] . وفى جانب العلوم الطبيعية، فقد تمكن الإمام من كشف أسرار نالت إعجاب العلماء الاختصاصيين فى العصر الحديث، لا سيما ما جاء منها فى كتابه (توحيد المفضل) الذى أملاه على تلميذه المفضل بن عمرو الكوفى فى أربعة أيام، وكذلك تربيته للعالم الفذ جابر بن حيان الذى يعد اليوم أبو الكيمياء، حيث أخذ علمه عن الإمام الصادق عليه السلام وألف كتبا ورسائل عديدة فى هذا المضمار. وقال الدكتور يحيى الهاشمى: (إن هناك عدة كتب مخطوطة لجابر بن حيان لا يزال علماء الألمان يعكفون على حلرموزها) [۳۲۱] وقال الحومانى: (واستخراج المعلوم من المجهول له علم خاص سماه علماء الغرب (علم الجبر) اشتقوه من اسم جابر بن حيان، لأنهأول من وضع هذا العلم نقلا عن معلمه جعفر الصادق) [۳۲۲] . وانتقل الإمام إلى جوار ربه فى الخامس والعشرين من شوال عام ۱۴۸ هجرية بالمدينة المنورة، ودفن فى مقبرة البقيع بجوار آبائه الباقر، وزين العابدين، والحسن عليهم السلام. [صفحه ۱۷۲] ۷ - الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ولد فى السابع من شهر صفر سنة ۱۲۸ للهجرة بالأبواء - بين مكة المكرمة والمدينة المنورة - وكان أشهر ألقابه الكاظم، وعاصر كلا من أبى جعفر المنصور، محمد المهدى بن المنصور، موسى الهادى ابن المهدى، وهارون الرشيد الابن الآخر للمهدى. وشهدت فترة أبى جعفر المنصور عودة القمع والاضطهاد لأهل البيت عليه السلام، وأشياعهم، فاختار الإمام الكاظم أن يركز

جهوده فى المضمار العلمى، فواصلت مدرسة أهل البيت العلمية فى عهده بالازدهار، وتخرج منها العديد من العلماء والمفسرين الأفذاذ منهم: على بن يقطين، محمد بن أبى عمر، وهشام بن الحكم وغيرهم. وقد قيل فيه إنه كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم، ودامت فترة إمامته ۳۵ عاما. وعاش الإمام الكاظم عليه السلام فترات طويلة من عمره الشريف فى ظلمات سجون العباسيين، حيث سجنه الخليفة المهدى ثم أطلقه وسجنه بعد ذلك هارون الرشيد فى البصرة ثم نقله إلى سجن بغداد لمدة طويلة أقل ما قيل فيها إنها كانت أربع سنوات، ومات متأثرا بسم يعتقد أن الرشيد كان وراء الأيدى التى اقترفت هذا الإثم الكبير، وكان ذلك فى الخامس والعشرين من رجب سنة ۱۸۳ للهجرة. ودفن بالقرب من بغداد فى مقابر قريش المعروفة فى أيامنا هذه باسم (الكاظمية) نسبة إلى الإمام الكاظم عليه السلام. ۸ - الإمام على بن موسى عليه السلام ولد فى الحادى عشر من شهر ذى القعدة سنة ۱۴۸ للهجرة بالمدينة المنورة، واشتهر بلقب الرضا، وعاصر خلافة كل من هارون الرشيد، محمد الأمين، وعبد الله المأمون، ودامت فترة إمامته عشرين عاما. وقد كثرت الثورات العلوية خلال عهد المأمون، والتى كانت تنادى بالرضا من آل محمد، ومن ذلك أطلق المأمون على الإمام على بن موسى [صفحه ۱۷۳] لقب (الرضا). وقد امتدت هذه الثورات لتشمل مناطق عديدة كالبصرة، وخراسان، واليمن، حتى أصبحت تهدد عرش الخليفة مما حدى به إلى استدعاء الإمام من المدينة المنورة إلى (مرو) فى خراسان وهى عاصمة الدولة العباسية آنذاك، وعرض عليه منصب ولاية العهد، الأمر الذى عد مناورة سياسية يهدف المأمون من ورائها إخماد ثورات العلويين، وإضفاء صفة الشرعية على خلافته، ومما يؤكد عدم حسن نية الخليفة فى هذه الخطوة أنه أجبر الإمام على قبول هذا المنصب بتهديده إياه بالقتل فى حالة رفضه. وعند موافقة الإمام على قبول ولاية العهد كان قوله للمأمون: (قد نهانى الله عز وجل أن ألقى بيدى إلى التهلكة، فإن كان الأمر على هذا فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل ذلك على أن لا أولى أحدا ولا أنقض رسما ولا سنة، وأكونفى الأمر بعيدا مشيرا) [۳۲۳] . ومما يؤكد قلق المأمون تجاه سياسته بالتعامل مع الإمام أنه وبعد أن ألح عليه مرة بإقامة صلاة العيد، تراجع عن ذلك ومنعه من إقامتها، وخصوصا ملاحظته تعاظم مكانة الإمام فى عيون الناس يوما بعد يوم، وخشيته من انتشار علمه وسيرته فى ربوع العالم الإسلامى، فقرر إنهاء حياة الإمام عليه السلام وقام بدس السم إليه، مما أدى إلى مفارقته لهذه الدنيا. وكان ذلك فى السابع عشر من صفر سنة ۲۰۳ للهجرة، ودفن جثمانه الطاهر فى (خراسان) بالمدينة التى تعرف اليوم باسم (مشهد) فى الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وبالرغم من أن المأمون تظاهر بالحزن الشديد عندما أخبر بوفاة الإمام وقام بتمزيق قميصه وبكى بصوت عال، إلا أن معظم الباحثين والمؤرخين على يقين باقترافه لهذا الجرم الشائن. [صفحه ۱۷۴] ۹ - الإمام محمد بن على عليه السلام ولد فى ليلة التاسع عشر من رمضان سنة ۱۹۵ للهجرة فى بغداد، وعاصر خلافتى المأمون والمعتصم. وأشهر ألقابه الجواد والتقى ودامت إمامته لسبعة عشر عاما. وقد أثارت مسألة انتقال الإمامة إلى الإمام محمد الجواد جدلا كثيرا بسبب صغر سنه حين تسلمه الإمامة، حيث كان عمره عند وفاة والده الإمام على الرضا عليه السلام ثمانى سنوات أو عشر حسب اختلاف الروايات. ويذكر بعض المؤرخين أن الشيعة حاروا واضطربوا ووقع بينهم الخلاف والانقسامبسبب هذا الحدث [۳۲۴] وبالرغم من ذلك، فإن أغلب الشيعة قبلوا إمامته واحتجوا كما يذكر الشيخ المفيد وهو من أعظم علماء الشيعة الكبار فى القرن الرابع الهجرى بأن كمال العقل لا يستنكر لحجج الله تعالى مع صغر السن لقوله تعالى بشأن عيسى عليه السلام: (قالوا كيف نكلم من كان فى المهدى صبيا، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) [مريم / ۲۹ - ۳۰]. وبقوله تعالى بشأن يحيى عليه السلام: (وآتيناه الحكم صبيا) [مريم / ۱۲]، إلى قوله: وإذا كان الأمر على ما ذكرناه من تخصيص الله تعالى حججه، بطل ما تعلق به هؤلاء القوم، على أنهم إن أقروا بظهور المعجزات على الأئمة وخرق العادة لهم، وفيهم بطل أصلهم الذياعتمدوا عليه فى إنكار إمامة الجواد عليه السلام [۳۲۵] وتكررت هذه الحالة بشأن الإمام على الهادى وهو عاشر الأئمة، وآخرهم الإمام محمد المهدى عليه السلام. وقد اقتضت الضرورة عند الموالين للمزيد من البحث والتحرى بما يخص إمامة الجواد عليه السلام، فاقدموا على اختباره فى مواقف وحالات متعددة حتى تحقق لهم الاطمئنان بغزارة علمه وأهليته، ولم يرفض إمامته [صفحه ۱۷۵] منهم. فالشيعة ينظرون إلى الإمامة باعتبارها قضية إلهية، فتكون مسألة صغر عمر الإمام - كمسألة صغر عمر النبى -

ليست هى القضية المهمة بالنسبة إليهم، وإنما الأمر المهم فى ذلك هو الجانب الإلهى فى علمهم وعملهم. ومن المعلوم أن الأئمة عليه السلام كانوا يجيبون على جميع الأسئلة التى تعرض عليهم، وكان الأتباع والموالون يقبلون إمامتهم تبعا لذلك بالرغم منوجود النص المسبق على إمامتهم [۳۲۶] . ويقول العلامة السبحانى: (وليس عجيبا تحمل أعباء الزعامة فى أيدلوجية الرجل الإلهى، فالأئمة الإلهيون كانوا متحلين منذ البداية ومن أجل أهداف معنوية بتربية خاصة، ويخطون بكمالات (معنوية) لا توجد إطلاقا فى الأفراد العاديين. ولقد تجلت لكل الناس هذه الكمالات فى الإمام محمد الجواد عليه السلام من خلال مناقشاته ومناظراته عندما كان يلتقى بعلماء بغداد بحضور الخليفة المأمون، والذى بلغ إعجابه به يوما أن زوجه ابنته أم الفضل لما رآه فيه من الفضيلة، وبلوغ العلم، والحكمة، والأدب،وكمال العقل مع صغر سنه وما لم يساوه فيه أحد من مشايخ أهل زمانه [۳۲۷] . ثم انتقل الإمام بعد زواجه إلى المدينة المنورة حيث ربى خلال فترة إقامته فيها شخصيات علمية كثيرة، وعندما استلم المعتصم مقاليد الحكم سنة ۲۱۸ للهجرة، استدعى الإمام إلى بغداد ليكون تحت مراقبته، وخوفا من شدة التفاف الناس حوله. وقد انتقل الإمام إلى جوار ربه فى التاسع والعشرين من ذى القعدة سنة ۲۲۰ للهجرة وكان عمره ۲۵ عاما، حيث يعتقد بعض المؤرخين أن المعتصم قد دس إليه السم عن طريق زوجته أم الفضل. ودفن بجوار جده الإمام موسى الكاظم عليه السلام بالقرب من بغداد. [صفحه ۱۷۶] ۱۰ – الإمام على بن محمد عليه السلام ولد فى الخامس عشر من ذى الحجة سنة ۲۱۲ للهجرة بقرية من نواحى المدينة المنورة تدعى صربا، ودامت إمامته لمدة ۳۴ عاما، وكان أشهر ألقابه: الهادى والنقى. وقد عاصر كلا من المعتصم، الواثق، المتوكل، المنتصر، المستعين، والمعتز. وكما يصفه المؤرخون فإنه كان فقيها وإماما متعبدا، وأطيب الناس مهجة وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب وأكملهم من بعيد، إذا صمت علته هيبةالوقار، وإذا تكلم سماه البهاء [۳۲۸] . وكانت سياسة الخلافة العباسية منذ عهد المأمون إلى ما قبل مجئ المتوكل إلى الحكم تقوم على أساس التمسك بمذهب المعتزلة والدفاع عنهم مما فسح المجال تلقائيا بشئ من الحرية للشيعة، ولكن بمجئ المتوكل إليالحكم، وانتهاجه سياسة الدفاع عن مذهب أهل الحديث [۳۲۹] المناقض للمعتزلة، ابتدأ التشدد والضغط من جديد على مذهبى الشيعة والمعتزلة، واضطهاد أتباعهما. وكانت فترة الأربعة عشر عاما التى عاشها الإمام من حكم المتوكل بعد أن استقدمه إلى سامراء وأجبره على العيش فيها من أشد السنين التى مرت عليه، وأذاقه الخليفة فيها أشد صنوف العذاب والمحن. ويروى المسعودى أنه: (سعى إلى المتوكل بالإمام محمد الجواد أن فى منزله كتبا وسلاحا من شيعته، وأنه عازم على الوثوب بالدولة، فبعث إليه جماعة من الجند الأتراك، وهجموا على داره ليلا، فلم يجدوا فيها شيئا، ووجدوه فى بيت مغلق عليه، وعليه مدرعة من صوف وهو جالس على الرمل والحصى، ومتوجه إلى الله [صفحه ۱۷۷] تعالى يتلو آيات من القرآن، فحمل على حاله تلك إلى المتوكل وقالوا له: لم نجد فى بيته شيئا، ووجدناه يقرأ القرآن مستقبل القبلة. وكان المتوكل حينها جالسا فى مجلس الشراب وبيده الكأس، فلما رأى الإمام هابه وعظمه وأجلسه إلى جانبه، وقال له: أنشدنى شعرا، فقال الإمام: إنى قليل الرواية للشعر، فقال المتوكل: لا بد، فأنشده الإمام وهو جالس عنده: باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ++ غلب الرجال فما أغنتهم القلل واستنزلوا بعد عز من معاقلهم ++ فأودعوا حفرا يا بئس ما نزلوا ناداهم صارخ من بعد ما قبروا ++ أين الأسرة والتيجان والحلل أين الوجوه التى كانت منعمة ++ من دونها تضرب الأستار والكلل فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ++ تلك الوجوه عليها الدود تنتقل قد طالما عمروا دورا لتحصنهم ++ ففارقوا الدور والأهلين وانتقلوا وطالما كنزوا الأموال وادخروا ++ فخلفوها على الأعداء وارتحلوا أضحت منازلهم قفرا معطلة ++ وساكنوها على الأحداث قد رحلوا فبكى المتوكل حتى بلت دموعه لحيته وبكى الحاضرون، ثم أمر المتوكلبرفع مائدة الشرب، ثم رد الإمام إلى منزله مكرما) [۳۳۰] . وقد توفى الإمام فى الثالث من شهر رجب سنة ۲۵۴ للهجرة متأثرا بسم الخليفة المعتز، ودفن فى سامراء شمال مدينة بغداد فى العراق. ۱۱ – الإمام الحسن بن على عليه السلام ولد فى الثامن من ربيع الثانى سنة ۲۳۲ للهجرة فى المدينة المنورة، وعاصر خلافة كل من المعتز، المهتدى، والمعتمد، ودامت فترة إمامته ست سنوات. واشتهر بلقب العسكرى نسبة إلى عسكر ويراد بها سر من رأى (أو [صفحه ۱۷۸] سامراء) التى بناها المعتصم وانتقل إليها بعسكره. وكانت نسبة الإمام إليها منذ أن أجبر الخليفة المتوكل الإمام وأباه الهادى عليه السلام الإقامة

فيها،فنسبا إليها، فأحيانا يوصفا (بالعسكريين) [۳۳۱] . واشتدت رقابة العباسيين للإمام الحسن العسكرى أكثر مما كانت على أبيه وذلك لتعاظم قوة الشيعة فى العراق، ولعلم الخلفاء العباسيين من خلال أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تناقلته الأجيال من معتقدات الشيعة أنه سيولد للإمام ولد يقضى على كل الحكومات المستبدة. ولذلك فإنه عندما ولد للإمام الحسن ابنه محمد، فقد أخفى خبر ولادته عن عموم الناس، فضلا عن العناية الإلهية التى أحاطت المولود بالحفظ والستر حتى فشلت السلطة فى استقصاء الأمر. وتوفى الإمام فى الثامن من ربيع الأول سنة ۲۶۰ للهجرة وعمره ۲۸ عاما بعد أن اشتد به المرض فى عهد الخليفة المعتمد. ولم يستبعد أن اشتداد المرض عليه كان بتأثير سم قد دس إليه عن طريق أيدى السلطة الآثمة، وذلك نظرا لصغر عمره عند وفاته وتخوف العباسيين منه لا سيما أنه كان قد سجن عدة مرات مع أنصاره وخطط لقتله. ودفن بجانب ضريح والده الإمام على الهادى عليه السلام فى سامراء شمال العاصمة العراقية بغداد. ۱۲ - الإمام محمد بن الحسن (المهدى) ولد فى الخامس عشر من شعبان سنة ۲۵۵ للهجرة بمدينة سامراء فى عهد الخليفة المهتدى العباسى، وأشهر ألقابه: المهدى، القائم، المنتظر، الحجة، صاحب الزمان. وقد امتدت فترة إمامته منذ تسلمه مقاليدها سنة ۲۶۰ للهجرة ولغاية أيامنا هذه وإلى أن يشاء الله جل وعلا. [صفحه ۱۷۹] ذلك أنه وعند وفاة والده الإمام الحسن العسكرى عليه السلام، فقد اقتضت الحكمة الإلهية تغييبه عن العيون وحفظه لحين ظهوره على الملأ فى موعد مستقبلى يختاره الله سبحانه وتعالى، تكون الظروف فيه مؤاتية لإعلان دعوته وقيادة الأمة نحو النصر النهائى لرسالة الإسلام مصداقا للوعد الإلهى: (ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) [الأنبياء / ۱۰۵] وقوله تعالى: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) [التوبة / ۳۲ - ۳۳]، وقوله تعالى: (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) [القصص / ۵]. وقد انتقلت الإمامة إليه عند وفاة والده وكان له من العمر خمس سنوات شأنه فى ذلك شأن النبى يحيى عليه السلام الذى تسلم مقاليد النبوة والحكم وهو صبى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا) [مريم / ۱۲]، وهذا أقل إعجازا من تسلم نبى الله عيسى عليه السلام النبوة وهو لا يزال رضيعا: (فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا، قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا) [مريم / ۲۹ - ۳۰]. وما يثبت هوية الإمام محمد المهدى من السنة النبوية قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتى يواطئاسمه اسمى) [۳۳۲] . ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضا ما يوضح مهمته: (تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلما وجورا وعدوانا ثم يخرج من أهل بيتى من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وعدوانا [۳۳۳] ، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (لو لم يبق من الدنيا إلا [صفحه ۱۸۰] يوم لطوله الله عز وجل حتى يملك رجل من أهل بيتى، يملك الديلموالقسطنطينية) [۳۳۴] . ومن قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أيضا ما يثبت إنه يظهر قبل نزولعيسى عليه السلام: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) [۳۳۵] وقال الحافظ فى شرحه لهذا الحديث: (تواترت الأخبار بأن المهدى من هذه الأمة وأنعيسى بن مريم سينزل ويصلى خلفه) [۳۳۶] . ولذلك فإن الاعتقاد بالإمام المهدى المنتظر ليس خاصا بالشيعة، فأهل السنة مجمعون على الإيمان به وإن خالف غالبيتهم ما يعتقده الشيعة بما يتعلق بمولده سنة ۲۵۵ للهجرة وقالوا بأنه سيولد فى آخر الزمان، والفتوى التى أصدرها المجمع الفقهى فى رابطة العالم الإسلامى بمكة المكرمة والمؤرخة فى ۳۱ آيار ۱۹۷۶ تمثل موقف أهل السنة فى عصرنا حول هذه المسألة وهذا نصها (المهدى عليه السلام هو محمد بن عبد الله الحسنى، العلوى، الفاطمى، المهدى، الموعود، المنتظر، موعد خروجه فى آخر الزمان، وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من المغرب ويبايع له فى الحجاز فى مكة المكرمة، بين الركن والمقام، بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود الملتزم. ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالإقناع تارة وبالحرب تارة أخرى وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده، فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب لد بأرض فلسطين. وهو آخر الخلفاء الراشدين الاثنى عشر الذين أخبر [صفحه ۱۸۱] النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنهم فى الصحاح... وأن الاعتقاد بخروج المهدى واجب لأنه من عقائد أهل السنة

والجماعة، ولا ينكره إلا جاهل بالسنة ومبتدع فى العقيدة). ومن علماء أهل السنة الذين وافقوا معتقد الشيعة بولادة الإمام المهدى لأبيه الإمام الحسن العسكرى سنة ۲۵۵ للهجرة وأنه لا يزال حيا يرزق منذ ولادته: ۱ - كمال الدين بن طلحة فى كتابه: (مناقب السؤول فى مناقب آل الرسول. ۲ - محمد بن يوسف الكنجى فى كتابه: (البيان فى أخبار صاحب الزمان). ۳ - نور الدين بن الصباغ فى كتابه: (الفصول المهمة). ۴ - سليمان القندوزى فى كتابه: (ينابيع المودة). ۵ - شمس الدين سبط بن الجوزى فى كتابه: (تذكرة الخواص)، وغيرهم. وقد كانت غيبة الإمام المهدى عليه السلام عن الأنظار على مرحلتين: المرحلة الأولى: وتسمى الغيبة الصغرى والتى بدأت منذ وفاة والده وتسلمه الإمامة سنة ۲۶۰ للهجرة، وكان يمكن للناس خلال هذه المرحلة الاتصال به عن طريق نواب خواص عينهم الإمام ليكونوا حلقة الوصل بينه وبين أتباعه، ولينقلوا لهم إجاباته وتوجيهاته. ودامت الغيبة الصغرى ۶۹ عاما تخللها أربعة، نواب خواص وهم على التوالى: عثمان بن سعيد العمرى، محمد بن عثمان العمرى، حسين بن روح النوبختى، وعلى بن محمد السمرى. المرحلة الثانية: وتسمى الغيبة الكبرى والتى بدأت سنة ۳۲۹ للهجرة ولا زلنا نعيشها فى أيامنا وإلى أن يشاء الله. وتحولت عند بداية هذه المرحلة النيابة الخاص إلى النيابة العامة المتمثلة بفقهاء الشيعة ومجتهديهم المؤهلين من نواحى العدالة والأعلمية والخبرة ويطلق عليهم اسم مراجع الدين ومفردها المرجع الدينى لرجوع الناس إليهم فى أخذ الفتوى والإرشاد. ويتم وصول [صفحه ۱۸۲] المجتهد المؤهل إلى مرتبة المرجعية من خلال تأييد الناس والمؤسسات الدينية له، ويمكن تواجد أكثر من مرجع واحد فى نفس الوقت. وأما على صعيد السياسة والحكم فى ظل الغيبة الكبرى، يجوز لأى من الفقهاء المؤهلين إقامة الحكومة الإسلامية أو قيادتها وعلى بقية الفقهاء أو المراجع التأييد والمناصرة. وأما شكل هذه الحكومة وصلاحياتها وحدود سيادتها، فإنها من الأمور الواقعة تحت اجتهاد الفقهاء فى كل عصر، وليس لها صيغة ثابتة. وتعتبر شرعية الجمهورية الإسلامية فى إيران مستمدة من هذا الأصل الفقهى عند الشيعة، وإن كان الفقهاء يختلفون حول بعض المسائل الفرعية أو التفصيلية المتعلقة بهذا الأمر. وبالإضافة لكل ما سبق، فإنه يثار أيضا حول الإمام المهدى عليه السلام وغيبته تساؤلات عديدة لا بد من التطرق إليها، وأهمها ما يلى: أولا: لماذا يغيب الإمام وقد نصب لحفظ الدين وهداية الناس؟ ثانيا: كيف يمكن له أن يعش هذا العمر الطويل؟ ثالثا: ما هى علامات ظهوره؟ ونحاول فيما يلى الإجابة عن هذه التساؤلات الثلاثة بإيجاز: أولا: أسباب الغيبة إن من أوضح الأسباب التى يمكن بها فهم الحكمة الإلهية التى اقتضت غيبة الإمام المهدى هو تخطيط السلطات العباسية لقتله، وكان هذا واضحا من خلال إصرارهم فى البحث عن أى مولود للإمام الحسن العسكرى عليه السلام أثناء مرضه، والاستقصاء حتى بشأن زوجاته وجواريه إن كان أى منهن فيها حمل. وإذا علمنا أن الإمام المهدى هو آخر الأئمة الاثنى عشر والذى وعد الله بأن يتم نوره وينشر عدله فى جميع أرجاء المعمورة بظهوره، فإنه سيزول جزء كبير من استغرابنا حول هذه المسألة [صفحه ۱۸۳] والنبى صلى الله عليه وآله وسلم يعقد المقارنة أمته وبنى إسرائيل بقوله: (لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا حجر ضبتبعتموهم، فسأله أحدهم: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟) [۳۳۷] . وقد نزل قوله سبحانه وتعالى بحق بنى إسرائيل: (قل فلم تقتلون أنبياء الله إن كنتم مؤمنين) [البقرة / ۹۱] وقوله تعالى: (ويقتلون النبيين بغير حق) [آل، عمران / ۲۱]، وما قيل فى ذلك أن بنى إسرائيل قتلوا أربعين نبيا. وأما حكام أمة محمد فإنهم قتلوا أحد عشر إماما كل واحد منهم كان أتقى أهل زمانه وأعلمهم، فضلا عن قتل الآلاف من أنصارهم كشهداء كربلاء وحجر بن عدى وأصحابه وسعيد بن جبير وغيرهم الكثير. وهكذا، فقد استمرت غيبة الإمام على مر العصور لاستمرار الظروف ذاتها المواتية لسفك دمه الطاهر على أيدى ملوك المسلمين وسلاطينهم، ولكان ذلك بمرأى ومسمع ورضا من سواد الأمة الأعظم كما حصل ذلك من قبل فى تعذيب المسيح عليه السلام وقتل الحسين وغيرهم من أولياء الله وحججه، فيكون الناس هم الذين حرموا أنفسهم من الانتفاع من الوجود الظاهرى للإمام المهدى بينهم كما حرمت الأمم السابقة نفسها من الانتفاع من الوجود الأنبياء والرسل الذين أرسلوا لهدايتهم. وهذه سنة ثابتة أودعها الله فى خلقه: (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون) [هود / ۲۸]. ثانيا: تفسير العمر الطويل يبلغ عمر الإمام المهدى فى اليوم عام (۱۴۱۸ ه ۱۹۹۷) ۱۱۶۲ عاما، الأمر الذى يستبعده المخالفون ويسخر منه

المنكرون. ولكن لو تصفحنا آيات القرآن الكريم لوجدنا شواهد عديدة على طول عمر أولياء الله وأنبيائه. فهذا [صفحه ۱۸۴] النبى نوح عليه السلام قيل إنه عاش ۲۵۰۰ سنة قضى منها فى الدعوة تسعمائة وخمسين: (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين) [العنكبوت / ۱۴]. وأما أهل الكهف النيام: (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) [الكهف / ۲۵]. وأمد الله كذلك فى عمر عيسى والخضر عليه السلام آلاف السنين ولا- يزالا- أحياء، وحتى أن إبليس قد أعطى مثل ذلك: (فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) [الحجر / ۳۷ - ۳۸]. وحسب بعض الروايات، فإن آدم وإدريس وهود عمروا ما يزيد عن ۹۰۰ سنة، بل إن معدل أعمار قوم هود كانت ۴۰۰ سنة. وأما من الناحية العلمية، فليس هناك أى دليل يقول باستحالة إطالة عمر الإنسان لمئات السنين، بل ثبت مخبريا أنه يمكن للإنسان تطويل عمره دون حد إذا كان مراعيا لقواعد التغذية المثالية، ومحصنا بالأدوية والمعالجات الصحيحة ضد العوارض والأمراض. وقد وجد فى زماننا أفراد عاشورا أكثر من ۱۷۰ عاما، وتجد دولا متقدمة علميا كاليابان يزيد معدل عمر سكانها عن الثمانين عاما فى الوقت الذى تجد فيه هذا المعدل لا يتجاوز الخمسين عاما فى بعض الدول الإفريقية. ثالثا: علامات الظهور: يفهم من الروايات الكثيرة المتعلقة بالإمام المهدى المنتظر بوجود علامات تنبى بظهوره، وهى على ثلاثة أنواع كما يلى: الأول: علامات كونية كالنداء أو الصيحة التى تنطلق من السماء، وخسف البيداء، والخسوف والكسوف فى غير أوقاتهما وغير ذلك من الآيات السماوية أو الطبيعية. الثانى: علامات متعلقة بشخصيات كخروج السفيانى، والدجال، واليمانى، والخراسانى، وقتل عبد الله والنفس الزكية وغيرهم. وهذان النوعان من العلامات قد كثر الوضع فى الروايات القائلة بهما، وما صح منها من الممكن أن يحمل تفسيرها على عدة وجوه. [صفحه ۱۸۵] الثالث: علامات اجتماعية كانتشار الظلم والجور، وتسلط الحياة الجاهلية وظهورها بعقائدها وحضارتها الساقطة، والتقدم العلمى الهائل، والحروب والفتن المدمرة وغياب الأمن والسلام، وكذلك الغلاء والتدهور الاقتصادى وانتشار المجاعات، وظهور الكذابين والدجالين المدعين للإصلاح، وبروز الحركات والقيادات والدعوات الإصلاحية التى تنادى بالتخلص من الجاهلية المدعومة بقوى المادة والعدوان. [صفحه ۱۸۷] القسم الرابع آثار أزمة الخلافة والإمامة على شريعة الإسلام وواقع المسلمين تقديم الفصل الأول: الآثار الأولية الفصل الثانى: أخطر الآثار الفصل الثالث: الآثار اللاحقة [صفحه ۱۸۹]

آثار أزمة الخلافة والإمامة على شريعة الإسلام و واقع المسلمين

تقديم

قد يتساءل بعض القراء عن جدوى الخوض فى أزمات وفتن عفى عليها الزمان، كأزمة الخلافة والإمامة بمنظورها التاريخى والتى لا تزيد تفرق المسلمين - فى تقديرهم - إلا تفرقا واختلافا، فى الوقت الذى ينبغى فيه أن يوجه الاهتمام أولا إلى الأزمات الكثيرة التى تعانيها الأمة فى هذا العصر. ومع ما لهذا الرأى من وزن واعتبار، إلا أن هذا النوع من البحوث لا ينبغى النظر إليه على أنه منافا لبحوث قضايا العصر ومشكلاته، بل إنه وباستقرائنا لالتباس فهم المسلمين لهذه المسألة فى واقعها التشريعى، والتخبط بتطبيقها فى واقعها التاريخى نجد أن لذلك الالتباس ولهذا التخبط آثارا وترسبات عانت الأمة الإسلامية على مر تاريخها ولا زالت من شرورهما، مما يجعل من قضية الخلافة والإمامة أهم قضايا العصور كلها. فالمسألة ليست مجرد أزمة تاريخية متعلقة بزعامة الناس فى عصر من العصور، كالخلاف فى الخيار بين شخصى على وأبى بكر واستحقاقهما للخلافة، ولا هى كانت بسبب ما جرى بشأن ميراث فاطمة ولا قميص عثمان أو خروج عائشة، ولا هى لإثبات أو نفى بغى معاوية أو كفر يزيد. فلو كانت أزمة الخلافة المزمنة هى مجرد الخلاف حول هذه المسائل وأمثالها، لكانت فعلا- مما عفى عليه الزمان وذلك لإمكانية حصر هذه المسائل الخلافية فى ظروفها الزمانية، المكانية، وفصلها عما يخص أى زمان أو مكان آخرين، ولكان الأجدر أن تبحث فى دائرتها التاريخية ليس إلا. وأما كون هذه الأزمة هى خلاف حول حقيقة التشريع الإسلامى فيما يخص قيادة المسلمين فى كل عصر من العصور قبل أن يكون خلافا حول [صفحه

۱۹۰] حوادثه وأشخاصه، فإن البحث حولها سيوضع فی دائرة البحوث الدينية ذات الأهمية القصوى لعصرنا هذا. وللتحقق من ذلک، نقدم فيما يلی ما رأيناه من تلک الترسبات والآثار لأزمة الخلافة والإمامة، وهی تسعة بيناها فی ثلاثة فصول: الأول: الآثار الأولية وهی: ۱ - انحراف الأمة وتعطيل المسيرة التغييرية والإصلاحية التی بدأها النبی صلی الله عليه وآله وسلم. ۲ - انتشار ظاهرة الوضع والدس فی الحديث. ۳ - تقديس الصحابة علی حساب مكانة النبی صلی الله عليه وآله وسلم الثانی: أخطر الآثار وهو ۴ - تفتت الأمة وانقسام إسلامها إلی فرق ومذاهب. الثالث: الآثار اللاحقة وهی: ۵ - التمويه علی حقائق الأحداث التاريخية وتحريفها. ۶ - تطرف بعض العاملين فی الميدان الإسلامی. وتخبطهم وجمودهم. ۷ - الخنوع والاستسلام لحكام الجور. ۹ - شيوع الجهل والتخلف. [صفحه ۱۹۱]

الآثار الأولية

انحراف الأمة و تعطيل المسيرة التغييرية والإصلاحية التی بدأها النبی

المنعطف الخطير!

فی اللحظات التی كان يفترض أن يتم فيها انتقال الرسالة الإسلامية من مرحلة النبوة إلی مرحلة الخلافة بطريقة تتناسب وعظمة هذه المناسبة، وبكل ما ينبغی أن يعنی وداع الأمة لنبيها وقد اشتد به المرض فی أيامه الأخيرة، فقد وجدنا بعضا من كبار الصحابة يصفون النبی صلی الله عليه وآله وسلم (بالهجران) وذلک عندما أمرهم بالتهيؤ حتی يكتب لهم لا يضلوا بعده أبدا. وقد كان من رد فعلالنبی لذلک الوصف أن طردهم من مجلسه وهو غاضب عليهم [۳۳۸] . وبعد هذه الحادثة بيومين يخرج النبی صلی الله عليه آله وسلم معصب الرأس وقد بدی الغضب فی وجهه، ولكن هذه المرة بسبب تأخر الصحابة عن المسير فی بعثةأسامة وطعنهم بإمارته بحجة لصغر سنه [۳۳۹] وقد كان واضحا أن السبب الحقيقی لتأخرهم وطعنهم هو حرصهم علی مصير الخلافة فی حال رحيل النبی المتوقع أثناء فترة غيابهم عن المدينة المنورة! وبعد ذلک بيومين أيضا، كان يوم الفراق الحزين وحيث كان الجسد الطاهر لا يزال ينتظر أن يوضع لراحته الأخيرة ظهر منهم ذلک التجاوز [صفحه ۱۹۲] المأساوی للنصوص الصريحة باستخلاف علی، وتنازعها بدلا من ذلک غالبية المهاجرين والأنصار علی أسس قبلية، وبكل ما أوتوا من أساليب المكر والتهديد معلنين بذلک البداية الرسمية لأزمة مريرة حول خلافة النبی صلی الله عليه وآله وسلم وإمامة الأمة بعده. فهذه ثلاث مخالفات مؤلمة حدثت فی الخمسة أيام الأخيرة للنبی والتی ما كانت لتحدث لولا حرص بعض الصحابة واجتهادهم حول مسألة الزعامة والإمارة، ومما ينذر بما ستؤول إليه أحوال الأمة بعد ذلک.

لماذا الحاجة إلی التغيير والإصلاح؟

إن الفترة القصيرة - نسبيا - التی قضاها النبی صلی الله عليه وآله وسلم مع الصحابة لم تكن كافية لإعدادهم الإعداد الكامل الذی يؤهلهم لحمل الرسالة بأصالتها ونقاوتها إلی الأجيال اللاحقة، وخصوصا إذا كان الأمر متعلقا بإعداد أمة ترسخت فيها القيم الجاهلية، فضلا عن أن غالبية الناس قد أعلنوا إسلامهم فی أواخر حياة النبی صلی الله عليه وآله وسلم، ولم يكن الإسلام ليتمكن فی قلوبهم، بل إن أكثرهم تلفظ بالشهادتين استسلاما لأمر أصبح واقعا، إن لم يكن خوفا وطمعا وربما نفاقا. وفی الحقيقة إن تلک المخالفات التی ودع بها الصحابة رسول الله صلی الله عليه وآله وسلم والتی تعد تتويجا للعديد من المواقف الأخری التی خالفوه بها قبل ذلک، إن دلت علی شئ فإنما تدل علی عدم تغلغل الوعی الإيمانی والرسالی، والفهم الفعال فی النفوس الذی كان من شأنه أن يستأصل جذور المفاهيم الجاهلية السابقة بصورة نهائية. وغالبية من يعترضون بحدة علی هذا المنطق إنما يرجع اعتراضهم إلی ما حملوه من أفكار

مبالغ فيها حول قدسية الصحابة فوق العادية. فهم بنظرهم ممن اصطفاهم الله ورسوله من بين خلقه اصطفاءا، فصيغوا أعظم صياغة، وأعدوا أرفع إعداد ليكونوا وزراء نبيه وحملة الرسالة من بعده، أو كما [صفحه ۱۹۳] وصفهم أحد الكتاب المعاصرين بقوله: (.. فإذا سمعت منهم [الصحابة]فكأنك تسمعه من فم النبى صلى الله عليه وآله وسلم) [۳۴۰] . وعلى كل حال، فإن ذكرنا لمخالفات الصحابة لا يعنى إنكار تضحيات الكثير من أجلائهم فى مجال الجهاد، وفى سبيل العقيدة، ولكن هذه الأنوار كما يوضح الشهيد السيد / محمد باقر الصدر لم تكن نتيجة وضع معمق تعيشه الأمة فى أبعادها الفكرية والنفسية، بل كانت نتيجة طاقة حرارية هائلة اكتسبتها هذه الأمة بإشعاع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكان طبيعيا أن تصبح طاقة الأمة بعده فى تناقص مستمر، حال الشخص الذى يتزود من الطاقة الحرارية للشمس والنار، ثم يبتعد عنهما، فإن هذه الحرارة تتناقص عنده باستمرار، بخلاف الوعى الذى يستأصلجذور ما قبله، ومن طبيعته الثبات والاستقرار بل التعمق على مر الزمن [۳۴۱] . وعلى كل، فمهما كان نوع هذا المحرك، الوعى أو الحماس والعاطفة، فقد استحق من أحسن عملا- من الصحابة الثناء من الله جل وعلا- بقوله: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) [التوبة / ۱۰۰]، وبقوله تعالى: (لقد رضى الله المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) [الفتح / ۱۸]. وينبغى الإشارة هنا على كل حال أن هاتين الآيتين وأمثالهما لا- تضمنان الجنة لكل من هاجر وناصر أو بايع تحت الشجرة ما لم يكن ذلك مقرونا بعدم الأحداث والتبديل، ومشروطا بحسن الخاتمة، والدليل على ذلك قوله تعالى: (إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) [الفتح / ۱۰] [صفحه ۱۹۴] وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى شهداء أحد: (هؤلاء أشهد عليهم. فقال بكر: ألسنا بإخوانهم، أسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ فقال لهالنبى صلى الله عليه وآله وسلم: بلى ولكن لا أدرى ما تحدثوا بعدى) [۳۴۲] . ومثل ذلك قوله: صلى الله عليه وآله وسلم (أنا فرطكم على الحوض من ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدا، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم. قال الراوى: لسمعته يزيد فيه، قال: إنهم منى (وفيروايه: إنهم أصحابى) [۳۴۳] فيقال: إنك لا تدرى ما بدلوا (وفى روايه: أحدثوا) [۳۴۴] بعدك. فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدى) [۳۴۵] . وفى الحديث الشريف أيضا عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وأن الرجلليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة) [۳۴۶] . وهكذا فإن تلك الطاقة الحرارية وذلك الوعى قد يتفاعلان ويتفقان فى كثير من الأحيان فى ظواهر مشتركة لدرجة يصعب التفريق بين ما تفعله الأمة انطلاقا من وعى أو مجرد طاقة حرارية مؤقتة. إلا أنه وفى لحظات الانفعال الشديد وعند المنعطفات الحاسمة والمواقف الحرجة من تلك الحقبة الزمنية، كان يتبين بوضوح الفرق بين الوعى والطاقة الحرارية، وكما يمكن أن يتضح من الأمثلة التالية: ۱ - تثاقلهم فى الخروج إلى (بدر) وتفضيلهم بدلا من ذلك أسر قافلة أبى سفيان وأخذ ما تحمله العير من بضائع، وقد أنزل الله سبحانه وتعالى بحقهم [صفحه ۱۹۵] قوله تعالى: (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم - لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) [الأنفال / ۶۷ - ۶۸]. ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد عوض تثاقل بعضهم وقلة عدد المقاتلين المخلصين بإنزال الملائكة ليقاتلوا نصرة للحق واستجابة لدعاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم عندما تضرع إلى البارى: (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم فى الأرض، اللهم انجزنى ما وعدتنى). ۲ - مخالفة غالبية الصحابة للنبى صلى الله عليه وآله وسلم فى موقعة أحد، حيث أمرهم بعدم مغادرة مواقعهم (الإستراتيجية) التى عينهم فيها مهما تغير الحال، إلا- أنهم تسرعوا بترك تلك المواقع طمعا وحرصا على جمع الغنائم. مما أدى إلى هزيمة المسلمين. ويروى البخارى فى صحيحه: (جعل النبى صلى الله عليه وآله وسلم على الرجالة يوم أحد عبد الله بن جبير، وأقبلوا منهزمين، فذاك إذ يدعوهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيأخراهم، ولم يبق مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم غير اثنى عشر رجلا) [۳۴۷] وفى رواية أخرى: (... فإنما كان يوم أحد وانكشف المسلمون. قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم:اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء،

یعنی أصحابه) [۳۴۸] . ۳ - فزعهم یوم الخندق وخوفهم من مبارزة عمرو: حیث ذعر المسلمون فی ذلک الیوم أیما ذعر حینما حوطوا بعشرة آلاف من المشرکین، أو کما یصفهم جل وعلا بقوله: (یا أیها الذین آمنوا اذکروا نعمة الله علیکم إذ جاءتکم جنود فأرسلنا علیهم ریحا وجنودا لم تروها وکان الله بما تعملون بصیرا - إذ جاؤکم من فوقکم ومن أسفل منکم وإذ زاغت الأبصار وبلغت [صفحه ۱۹۶] القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا - هنالک ابتلی المؤمنون وزلزلوا زلزالا شدیدا) [الأحزاب / ۹ - ۱۱]. وکان من أخطر المواقف التی امتحن بها جموع الصحابة فی ذلک الیوم عندما خرج لهم أقوی صنادید قریش عمرو بن ود العامری وتحداهم للمبارزة، وراح یصول ویجول ویتوعد المسلمین ویتفاخر علیهم ببطولته. فلم یجرأ للخروج إلیه سوی علی علیه السلام قائلا: أنا له یا رسول الله. ولکن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم أجلسه معطیا الفرصة لغیره. وعندما رأی عمرو خوف الصحابة أخذ یوبخ المسلمین ویسخر منهم قائلا: أین جنتکم التی تزعمون أن من قتل منکم یدخلها، أفلا تبرزون لی رجلا؟ وعندما لم یجبه أحد، کرر علی علیه السلام محاولته للخروج إلیه حتی سمح النبی صلی الله علیه وآله وسلم له بذلک: المرة الثالثة وتمکن منه وقتله. وقد استحق علی علیه السلام لذلک قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (لمبارزة علی بن أبی طالب لعمرو بن ود أفضل من عمل أمتی یوم القیامة). کما جاء ذلک فی: (المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری ج ۳ ص ۳۲). ۴ - وکان فرارهم یوم (حنین) أخزی وأمر، وقد نزل القرآن یؤنبهم: (ویوم حنین إذ أعجبتکم کثرتکم فلم تغن عنکم شیئا وضاقت علیکم الأرض بما رحبت ثم ولیتم مدبرین - ثم أنزل الله سکینته علی رسوله وعلی المؤمنین) [التوبة / ۲۵ - ۲۶]. ۵ - ترک حاضری المسجد من الصحابة - ما عدا اثنی عشر منهم - للرسول صلی الله علیه وآله وسلم وهو یخطب یوم الجمعة بعد سماعهم بوصول قافلة من الشام. ویروی البخاری الحادثة عن جابر بن عبد الله کما یلی: (أقبلت عیر یوم الجمعة ونحن مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم - وفی روایة: بینما نحن نصلی مع النبی إذأقبلت عیر تحمل طعاما [۳۴۹] فثار الناس، وفی روایة: فالتفتوا إلیها حتی ما [صفحه ۱۹۷] بقی مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم إلا اثنی عشر رجلا [۳۵۰] - فأنزل الله [یؤنبهم]: (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إلیها وترکوک قائما قل ما عند الله خیر من اللهو ومنالتجارة والله خیر الرازقین) [الجمعة / ۱۱] [۳۵۱] . ۶ - ظهور العصبیة والحمیة الجاهلیة من بعض الصحابة بحضور النبی صلی الله علی وآله وسلم، حیث یروی البخاری عن جابر بن عبد الله قال: (کنا فی غزاة فکسع رجل من المهاجرین رجلا من الأنصار. فقال الأنصار: یا للأنصار. وقال المهاجری: یا للمهاجرین. فسمع ذلک النبی صلی الله علیه وآله وسلم فقال: ما بالدعوی جاهلیة) [۳۵۲] وروت عائشة حادثة مشابهة بین الأوس والخزرج والرسول صلی الله علیه وآله وسلم یخطب علی المنبر: (... فقام سعد بن معاذ فقال: یا رسول الله، أنا والله أعذرک منه إن کان من الأوس ضربنا عنقه، وإن کان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فیه أمرک. فقام سعد بن عبادة وهو سید الخزرج، وکان قبل ذلک رجلا صالحا لکن احتملته الحمیة، فقال: کذبت لعمر الله، والله لنقتلنه، فإنک منافق تجادل عن المنافقین. فثار الحیان الأوس والخزرج حتیهموا، ورسول الله صلی الله علیه وآله وسلم علی المنبر، فنزل فخفضهم حتی سکتوا وسکت) [۳۵۳] . ۷ - استشراء ظاهرة النفاق: والمنافقون هم الذین کانوا یتظاهرون بالإیمان ویخفون الکفر، وقد نزلت سورة التوبة بکاملها لفضحهم. والمنافقون الذین عدهم المؤرخون کانوا أقل بکثیر من عددهم الواقعی نظرا لتخفیهم حسب ما یتطلبه نفاقهم بطبیعة الحال وکما فی قوله تعالی: (وممن حولکم من الأعراب منافقون ومن أهل المدینة مردوا علی النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتین ثم یردون إلی عذاب عظیم - وآخرون اعترفوا [صفحه ۱۹۸] بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سیئا عسی الله أن یتوب علیهم إن الله غفور رحیم) [التوبة / ۱۰۱ - ۱۰۲]. ۸ - فضح القرآن لنفاق الصحابی ثعلبة حیث کان یلح فی سؤال النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیدعو الله له برزقه بالمال الکثیر، فقال له النبی صلی الله علیه وآله وسلم: ویحک یا ثعلبة، قلیل تشکره خیر من کثیر لا تطیقه. فقال ثعلبة: والذی بعثک بالحق لئن دعوت الله فیرزقنی مالا لأعطین کل ذی حق حقه. فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: اللهم ارزق ثعلبة مالا. فرزقه الله ونماه له وعندما طلب منه الرسول صلی الله علیه وآله وسلم زکاة أمواله بخل ثعلبة وامتنع. فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: هلک ثعلبة. ونزل بحقه قوله تعالی: (ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنکونن من الصالحین - فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا

وهم معرضون - فأعقبهم نفاقا فی قلوبهم إلی یوم یلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه) [التوبهٔ / ۷۵ - ۷۷]. ۹ - فضح القرآن لفسق الصحابی الولید بن عقبهٔ، والذی ولاه عثمان بن عفان أیام خلافته ولایهٔ الکوفهٔ: (یا أیها الذین آمنوا إن جاءکم فاسق بنبأ فتبینوا أن تصیبوا قوما بجهالهٔ فتصبحوا علی ما فعلتهم نادمین) [الحجرات / ۶]. وهو من الذین أسلموا بعد فتح مکهٔ، وکلفه النبی صلی الله علیه وآله وسلم جبایهٔ صدقات بنی المصطلق، ولکنه عندما وصل أطلال هذه القبیلهٔ خاف لسبب من الأسباب، فرجع إلی المدینهٔ دون أن یواجه القوم، وقال للنبی صلی الله علیه وآله وسلم: إن بنی المصطلق رفضوا دفع الزکاهٔ وکادوا یقتلوننی. فغضب النبی صلی الله علیه وآله وسلم وأرسل لهم جیشا لقتالهم، وکادت أن تقع واقعهٔ کبری لولا أن بنی المصطلق علموا بمکیدهٔ ابن عقبهٔ فی الوقت المناسب فجاءوا إلی المدینهٔ وبرءوا ساحتهم أمام النبی صلی الله علیه وآله وسلم. فنزلت الآیهٔ تفضح أمر الولید. ۱۰ - وکان من الصحابهٔ أیضا رجلا یدعی حرقوص بن زهیر الملقب بذی الثدیهٔ، والذی کان یتظاهر بکثرهٔ التعبد والخشوع، فیعجب الصحابهٔ بتنسکه القشری، ولکن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم عندما رآه قال أن فی وجهه سعفهٔ من الشیطان [صفحه ۱۹۹] (وهذا الرجل أصبح فیما بعد رأس فرقهٔ الخوارج المارقین الذین حاربوا الإمام علی أیام خلافته) وکان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بما أعطاه الله جل وعلا من بصیرهٔ یعلم ما سیفعله هذا الرجل فأراد استئصال فساده من حینه، وأمر بقتله. فتطوع أبو بکر للمهمهٔ، إلا أنه عندما وجده یصلی رجع. ثم تطوع عمر لقتله، فلما وصله وجده ساجدا فرجع کسابقه حیث لم یهز علیهما قتل رجل یصلی: فأرسل النبی صلی الله علیه وآله وسلم علیا لیقتله، ولکنه عندماوصل مکان مصلاه لم یدرکه [۳۵۴] ومما یجدر ذکره أن هذا الرجل قد قتل فعلا فی موقعهٔ النهروان فی عهد خلافهٔ علی، ولکن بعد أن کان من فتنته وفساده ما کان. ۱۱ - ومن الصحابهٔ أیضا من کان یعترض علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم کاعتراض عمر بن الخطاب بشأن صلح الحدیبیهٔ کما یروی الحادثهٔ مسلم فی صحیحه: (قال عمر لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: ألسنا علی حق وهم علی الباطل؟ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: بلی. قال: ألیس قتلانا فی الجنهٔ وقتلاهم فی النار؟ قال الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: بلی. قال عمر: ففیم نعطی الدنیهٔ فی دیننا ونرجع، ولما یحکم الله بیننا وبینهم؟ فقال الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: یا ابن الخطاب، إنی رسول الله ولن یضیعنی الله أبدا - وفی روایهٔ البخاری کان قوله صلی الله علیه وآله وسلم: إنی رسول اللهولست أعصیه وهو ناصری [۳۵۵] - فانطلق عمر فلم یصبر متغیظا، فأتی أبا بکر فقال: یا أبا بکر، ألسنا علی حق وهم علی باطل؟ قال: بلی، قال: ألیس قتلانا فی الجنهٔ وقتلاهم فی النار؟ قال: بلی. قال عمر: ففیم نعطی الدنیهٔ فی دیننا ونرجع ولما یحکم الله بیننا وبینهم؟ فقال أبو بکر: یا ابن الخطاب إنهرسول الله ولن یضیعه الله أبدا) [۳۵۶] . [صفحه ۲۰۰] ۱۲ - ومن ذلک تبرؤ الرسول صلی الله علیه وآله وسلم من فعل خالد بن الولید عندما أرسله فی إحدی البعثات وتسرع بقتل العدید من الأبریاء، من أن بعض مرافقیه قد نبهوه للشبههٔ التی قتلهم بسببها. وقد حدی قتله لهم لغضب النبی صلی الله علیه وآله وسلم وتبرؤه من فعله عندما قال: (اللهم إنی أبرأ إلیک مما صنع خالد)مرتین [۳۵۷] . ۱۳ - ومن الصحابهٔ کان الطلقاء کأبی سفیان الذی لم یدخل الإسلام إلا استسلاما لأمر أصبح واقعا لیس له خیار فیه وقد عبر بنفسه عن مدی تغلغلالإیمان فی قلبه بقوله: (أدخل الله قلبی الإسلام وأنا کاره) [۳۵۸] ولکن أین هو من قوله تعالی: (أنلزمکموها وأنتم لها کارهون) [هود / ۲۸]!! وأما ابنه معاویهٔ فقد بعث إلیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم ابن عباس یدعوه لیکتب لهفوجده یأکل - إلی ثلاث مرات - فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (لا أشبع الله بطنه) [۳۵۹] وفی روایهٔ أخری فی صحیح مسلم: قال فیه النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (أما معاویهٔ فصعلوک لامال له) [۳۶۰] وفی مسند أحمد قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی معاویهٔ وعمرو بن العاص: (اللهم أرکسهما فی الفتنهٔ رکسا ودعهما إلی النار دعا) [۳۶۱] . فهذه الأمثلهٔ وغیرها هی التی جعلت النبی صلی الله علیه وآله وسلم یحذر أصحابه قائلا:(لا ترجعوا بعدی کفارا یضرب بعضکم رقاب بعض) [۳۶۲] وهی کافیهٔ لإثبات عدم تغلغل الوعی الإیمانی فی نفوس الصحابهٔ للدرجهٔ التی تؤهلهم للصمود أمام الامتحانات والفتن التالیهٔ، والتی لا بد وأن تکون أکثر شدهٔ وحرج بعد [صفحه ۲۰۱] مفارقتهم لرسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وهو مصدر تلک الطاقهٔ الحراریهٔ التی ظهرت آثارها فی کثیر من تضحیاتهم أثناء حیاته صلی الله علیه وآله وسلم وبعدها. وعلی کل، فهذه مسألهٔ قد تبدو طبیعیهٔ، ولا ینبغی تحمیل

أولئك أكثر مما يتحملوا، فالمسيرة التغييرية والإصلاحية التى بدأت بذلك الجيل القريب عهدا بالجاهلية - كما بينا سابقا - لا يمكن أن تتم فى تلك الفترة القصيرة التى قضاها النبى صلى الله عليه وآله وسلم بينهم، بل أنه يمكن القول أن الكثير من تصرفات ذلك الجيل والتى عرضنا أمثلة منها لم تكن مؤشرا على وجود انحراف بقدر ما كانت مؤشرا إلى عدم زوال ترسبات الجاهلية بكاملها وعدم اكتمال تربيتهم الإيمانية والرسالية. وقد نشأ اعتراض الكثيرين على هذا المنطق من افتراضهم أن الاعتراف بنقائص الصحابة ومخالفاتهم يعد اعترافا بفشل النبى صلى الله عليه وآله وسلم ونقصا فى رسالة الإسلام. والدليل الحاسم على الخطأ الفادح الذى وقع فيه أصحاب هذا الافتراض هو أن الله سبحانه وتعالى قد حدد نجاح مهمة النبى صلى الله عليه وآله وسلم بإتمام تبليغ الرسالة ليس إلا، وهذا يظهر بوضوح من قوله تعالى: (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ) [الشورى / ۴۸]، وقوله تعالى: (يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا) [الأحزاب / ۴۵]، وقوله تعالى: (فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) [المائدة / ۹۲]، وقوله تعالى: (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) [الرعد / ۷]. وهذا يفسر ضرورة توفر خلفاء النبى صلى الله عليه وآله وسلم على مواصفات خاصة تؤهلهم بحق لأن يكونوا (هداة) لتستمر على أيديهم عملية التغيير والإصلاح: (أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى) [يونس / ۳۵]. ولكن أنى يكون ذلك وقد أبعد هؤلاء الهداة عن مواقعهم التى عينهم الله سبحانه وتعالى لها، واستبدلوا بمن هم ليسوا أهلا لتحمل أعباء مسؤولية كهذه حتى وصل الأمر لأن يتسنم قيادة الأمة من وصفهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالطلقاء من المنافقين والقتلة الفجرة! [صفحه ۲۰۲]

شواهد على تدرج الانحراف بعد النبى

ومن الشواهد التى تشير إلى تضاؤل ذلك التوهج العاطفى الحار عند الصحابة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم، بل وانطفائه تماما فى مواقع عديدة حتى تحول فى بعضها إلى سواد وأداة تحاول إطفاء ما تبقى من نور الرسالة: ۱ - مجريات السقيفة وكل ما فيها من تبادل الشتائم والتهديد وظهور النعرات القبلية مجددا بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين قبائل كل منهما من جهة أخرى، علاوة على ظهور حب الجاه والزعامة فى بعض الصحابة ذوى المكانة والمرتبة. ولو كان تصرف أهل السقيفة إسلاميا وليس قبليا جاهليا لما تخلف على ومعه ستة عشر من أجلاء الصحابة عن البيعةلقائد الأمة الجديد [۳۶۳] . ۲ - ظهور الغطرسة من جديد فى خالد بن الوليد عندما أقدم على سلوك بعيد كل البعد عن تعاليم دين الإسلام وأخلاقه وإنسانيته، وذلك بقتله للمسلممالك بن نويرة وأصحابه وما فعله بزوجته [۳۶۴] ، كل ذلك يظهر الطبيعة الجاهلية التى ما زالت مترسخة فى نفوس بعضهم، حتى إن عمر بن الخطاب طالب بإقامة حدى القتل والزنا على خالد والذى زعم بعضهم أنه سيف الله المسلول (!!)، وهو الذى كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد قال فيه: (اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد). ۳ - تعيين الخليفة أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان عاملا على الشام مقابل تأييد بنى أمية لخلافته، حيث تم بموجب هذه الاتفاقية كما يذكر المؤرخون أن تكون الشام من حصة آل أبى سفيان على الدوام، الأمر الذى ألزم الخليفة عمر لاحقا ليس فقط أن يعين معاوية خلفا لأخيه يزيد بعد موته، بل والتهاون [صفحه ۲۰۳] معه أيضا، خلافا لشدته وحزمه مع غيره من العمال والولاة. ومما يجدر ذكره أن أبا سفيان كان قد حاول تقديم (خدماته) أولا لعلى عشية صراع السقيفة قائلا له أكثر من مرة: (إن شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجالا ولأسدنها عليهممن أقطارها) [۳۶۵] ، ولكن الإمام عليا رفض هذا النوع من المساندة، لعلمه أن ما كان يسعى له أبو سفيان هو الدخول إلى دائرة الأضواء وما فيها من نفوذ وسلطة من أى نافذة ممكنة، فضلا عن محاولته إذكاء نار الفتة والصراع بين المسلمين لأنه سيكون المستفيد الأول من ذلك. وعلى كل، فقد وجد أبو سفيان ومن معه من الطلقاء نافذتهم هذه بتعيين ابنه يزيد عاملا على الشام، فأصبحت هذه البقعة قاعدتهم التى إنطلقوا منها لتحقيق شهوتهم فى الحكم وأحلامهم الجاهلية فى الزعامة والملك. ۴ - وأما الخليفة عمر فقد امتد حزمه وخشونته لدرجة أعطى فيها لنفسه الصلاحية بالاجتهاد فى أحكام الشريعة، مع أن بعضها كان على حساب نصوص الكتاب والسنة. أوليس هو الذى كان يعترض على النبى صلى الله عليه

وآله وسلم بصلح الحديبية، وبالصلاة على أحد المنافقين، وخالفه حينما طلب منه أن يستر إسلامه إلى أن ختم شريط حياته مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بوداعه له قائلا- بحقه (إن الرسول يهجر وحسبنا كتاب الله)؟! وهكذا كان، فقد منع تدوين أحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو حتى التحدث بها، فحرق ما كان قد كتب منها، وسجن عبد الله بن مسعود وضرب أبا هريرة لتحدثهما بها وقال: (... وأخلوا الرواية عن رسول الله... والله لا أشوب كتاب الله بشئ)!. أوليس هو القائل أيضا: (متعتان على عهد رسول الله وأنا (!) أنهى عنهما) ففى المتعة الأولى (النساء) قال ابنه عبد الله لأحد الناس: (أرأيت أن [صفحه ۲۰۴] كان أبى ينهى عنها وصنعها رسول الله، تترك السنة وتتبع قول أبى؟). وفى المتعة الثانية (الحج) قال الإمام على عليه السلام لعثمان: (ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله رسول الله... ما كنت لأدع السنة لقول أحد). أوليس هو القائل أيضا بشأن تشريعه لصلاة التراويح: (نعمت البدعةهذه!) [۳۶۶] . وما فارق الدنيا حتى أجبر الناس على العمل بكل البدع التى أحدثها أو قل (الاجتهادات) التى أدخلها والمميزة بشدة التعسير والتزمت خلافا لمرونة الشريعة وسماحتها، وجمع كل ذلك إلى ما اجتهده أبو بكر، وسميت مجتمعة سيرة أو سنة الشيخين، وقد أوجب على المسلمين العمل بها إلى جانب العمل بكتاب الله وسنة نبيه. بل أنه جعل القبول بهذا التثليث شرطا لكل من يبايع له خليفة بعده. ۵ - وهكذا جاء عثمان بن عفان، وهو الصحابى العديم الخبرة والدراية بشؤون السياسة والإدارة، فضلا عن ضعفه بتحمل أعبائهما، وجهله بأحكام الشريعة، وقد بويع له على يد عبد الرحمن بن عوف رئيس مجلس الشورى الذى كان قد عينه عمر قائلا: (أبايع على كتاب الله وسنة نبيه وسنة الخليفتين من بعده). وليته سار على سيرة الشيخين، فقد سارت خلافته (غفر الله له) على سيرة الجاهلية وسننها أكثر من أى سنن أخرى، وقد دخل أبناء قبيلته عليه بعد مبايعته مهللين: (يا بنى أمية تلقفوها تلقف الكرة... ولتصيرن إلى صبيانكم وراثة... فما هناك جنة ولا نار)!!. ثم قام عثمان بعزل فضلاء الصحابة الذين عينهم عمر، وآذى بعضهم شر إيذاء، وعين بدلا منهم أقاربه وبنى عشيرته، وقد قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم محذرا: [صفحه ۲۰۵] (من ولى من أمور المسلمين شيئا، فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لايقبل منه حرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم) [۳۶۷] . ويقول المودودى فى انتهاكات عثمان: (لا شك أن هذا الجانب من سياسة عثمان (رض) كان خطأ، والخطأ خطأ على أى حال أيا كان فاعله. أما محاولة إثبات صحته باصطناع الكلام لغوا وعبثا فهو أمر لا يقتضيه العقل ولا يرضاهالإنصاف، كما أن الدين لا يطالبنا بعدم الاعتراف بخطأ صحابى من الصحابة) [۳۶۸] . ۶ - وعندما قام الإمام على عليه السلام خليفة وأراد أن يحملهم على الكتاب والسنة الأصيلة، ثاروا عليه وحاربوه حسدا وبغيا. وقد عد المودودى خروج معاوية وعائشة على الإمام على مطالبين بدم عثمان من فعل الجاهلية بقوله: (وموقفهما من الناحية القانونية يمكن استصوابه بأى حال الأحوال، فذلك العصر لم يكن عصر النظام القبلى المعهود عن الجاهلية حتى يطالب بدم المقتول فيه من شاء وكيف شاء، ويستخدم فيذلك ما يروق من طرق وأساليب، وإنما كان هناك حكومة) [۳۶۹] ثم يضيف مؤكدا أن كل ذلك شبيها بالفوضى التى كانت سائدة فى الجاهلية قبل الإسلام. فنتج عن خروج عائشة إهراق دم عشرة آلاف مسلم، واضطراب نظام الدولة وعمتها الفوضى، فلعمرى أن هذا لا يمكن اعتباره إجراءا شرعيا لا فى نظرقانون الله وشرعه فقط، بل حتى فى نظر أى قانون من القوانين الدنيوية) [۳۷۰] . حتى أن أمير الشعراء أحمد شوقى وصف كراهية عائشة للإمام بقصيدة نقتطف منها الأبيات التالية: [صفحه ۲۰۶] يا جبلا تأبى الجبال ما حمل ++ ماذا رمت عليك ربة الجمل أثأر عثمان الذى شجاها ++ أم غصة لم ينتزع شجاها ذلك فتق لم يكن بالبال ++ كيد النساء موهن الجبال وإن أم المؤمنين لامرأة ++ وإن تلك الطاهرة المبرأة أخرجها من كنها وسنها ++ ما لم يزل طول المدى من ضغنها ويجز الشيخ محمد الغزالى على ترسخ وجود مثل تلك الحمية الجاهلية فى سلوك معاوية بقوله: (وجمهور الفقهاء والمؤرخين والدعاة يؤكد على أن على بن أبى طالب كان إمام حق، وأن معاوية بن أبى سفيان كان يمثل نفسهوعصبيته فى خروجه على على) [۳۷۱] . وقد اشتمل مسلسل الانحراف هذا الذى أصاب الأمة من كانوا فى صف الإمام على أيضا، وقد عبر عما أصابه فى قلبه تجاههم قبل مفارقته لهم: (قبحكم الله، لقد ملأتم قلبى قيحا، وشحنتم صدرى غيظا، وأفسدتم علىرأيى بالعصيان والخذلان) [۳۷۲] . ۷ - ثم جاء النظام الأموى وتوسع فى العبث بدين الإسلام وترسيخ نمط الحياة الجاهلية، وكانت له اليد الطولى فى تدعيم أركان التفرق والتمذهب

لأغراض سياسية فمعاوية يعلم أنه أخذ الخلافة بغيا وقهرا من صاحبها الشرعى على وابنه الحسن من بعده، وقام بتسمية حاشيته ومن وافقه من عامة المسلمين بأهل السنة والجماعة، فى الوقت ذات أطلق على معارضيه من شيعة أهل البيت عليه السلام بالرافضة، ثم جعل سب الإمام على عليه السلام على المنابر (سنة) واجبة. فكيف يتصور اعتبار معاوية خليفة شرعيا لرسول الله وبأمره كان يسب الإمام على ألف منبر بالجمع والأعياد على طول الدولة الإسلامية وعرضها؟ [صفحه ۲۰۷] ولقد بقى تطبيق هذه) السنة) مستمرا زمن الخلفاء الأمويين حتى منعها الخليفة عمر بن عبد العزيز. ۸ - ولقد توج (أمير المؤمنين) يزيد مسلسل الأحداث والتبديل فى سنة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإرجاع الأمة تماما إلى ما كانت عليه قبل الإسلام بقتله الإمام الحسين ومن معه من أهل بيت النبى والذين جعل الله سبحانه وتعالى التمسك بهم واتباعهم شرطا للهداية والنجاة. فأين يكون موقع يزيد ومن بايعه أو سكت على شنيع فعله من شريعة الإسلام؟ ويمكن تلخيص موقف يزيد والحال التى وصلت إليه خلافة المسلمين بأبيات شعرية أنشدها يزيد نفسه: لعبت هاشم بالملك فلا ++ خبر جاء ولا وحى نزل لست من خندق إن لم أنتقم ++ من بنى أحمد ما كان فعل!! وبأبياته التى أنشدها عندما جئ بنساء آل البيت سبايا وبرؤوس شهداء كربلاء معلقة على رؤوس الرماح: لما بدت تلك الحمول وأشرقت ++ تلك الرؤوس على شفا جيرون نعب الغراب فقلت صح أو لا تصح ++ فلقد قضيت من الرسول ديونى!! فيا له من إسلام يقتضى فيه الخليفة ديونه من النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمعنى ثأره لقتل أجداده فى بدر بالانتقام من أحفاد النبى (بنى أحمد) فى كربلاء! ۹ - ولم يختلف الوضع كثيرا فيمن جاء من الخلفاء بعد يزيد، فهذا عبد الملك بن مروان عند تسلم الخلافة وكان فى يده مصحف فأطبقه قائلا: (هذافراق بينى وبينك! [۳۷۳] ، وأما ابنه الوليد فإنه قام بتمزيق المصحف الشريف بسهام وذلك عندما حاول استفتاح آياته، وقد خيبت ظنه وفضحت جبروته وعناده كما هو معروف من هذه الحادثة. [صفحه ۲۰۸] وهذه الحالة الجاهلية التى عاشها المسلمون فى عهود معاوية ويزيد والمروانيين قد امتدت فى الحقيقة لتشعل عهود بقية الخلفاء الأمويين ومن جاء بعدهم من الملوك والسلاطين الذين تسنموا منصب الخلافة الإسلامية على مر تاريخها. ويحلو لبعضهم الدفاع عن هؤلاء الخلفاء بسبب تحقيقهم لفتوحات واسعة فى الشرق والغرب ونشر الإسلام فى هذه المناطق. ولكننا نسأل: ماذا كان هدف هؤلاء الملوك والسلاطين من تلك الفتوحات؟ فباستثناء القلة القليلة منها لا سيما فى بدايتها، فإن الفتوحات كانت تعنى عند أولئك الحكام مجرد وسيلة لتوسيع وقعة الملك وتكثير الخراج. وكانت غاياتهم هذه تتضح من حالة البذخ والإسراف فى اللهو والملذات التى كانوا يعيشونها، وما ظهر من تأثير ذلك فى نشر القيم الفاسدة والمنحرفة بين عامة المسلمين. وحتى ذلك الخليفة - على سبيل المثال - الذى قيل أنه كان يحج عاما ويغزو عاما، كان (بيوت الحريم) بقصوره العديدة ما لا يقل عن ۲۰۰۰ ألفى جارية جمعها من مختلف أقاليم إمبراطوريته الواسعة، فلو أريد من تلك الفتوحات وجه الله وما يعنى ذلك من ضرورة نشر العدالة والقيم الإسلامية، لكان الأولى بالخلفاء أنفسهم أن يجسدوا تلك المعانى والقيم فى سلوكهم، وكيف يكون ذلك، وقد كان كثير منهم لا يتوانى عن قتل أبيه أو أخيه من أجل الوصول إلى سدة الحكم. فالرشيد مثلا لم يكتف بقتل أخيه الخليفة السابق، بل قام أيضا بحبس الإمام موسى بن جعفر (الكاظم) المستحق الحقيقى لمنصب الخلافة!؟ بل أنه سجن أيضا أبا حنيفة النعمان، وهو أحد أئمة المذاهب الأربعة لمجرد تعاطفه مع أهل البيت عليه السلام ورفضه استلام منصب القضاء فى عهده. ويعلق الشهيد سيد قطب بشأن تلك الفتوحات وما جرى على الإسلام على يد خلفاء المسلمين بقوله: (لقد كان انتصار معاوية هو أكبر كارثة دهمت [صفحه ۲۰۹] روح الإسلام التى لم تتمكن بعد من النفوس، ولو قدر لعلى أن ينتصر، لكان انتصاره فوزا لروح الإسلام الحقيقية، الروح الخليقة العادلة المترفعة التى لا تستخدم الأسلحة القذرة فى النضال، ولكن انهزام هذه الروح ولم يمض عليها نصف قرن كامل، وقد قضى عليها فلم تقم لها قائمة بعد - إلا سنوات على يد عمر بن عبد العزيز - ثم انطفأ ذلك السراج، وبقيت الشكليات الظاهرية من روح الإسلام الحقيقية. قد تكون رقعة الإسلام قد امتدت على يدى معاوية ومن جاء بعده، ولكن روح الإسلام قد تقلصت، وهزمت، بل انطفأت، فإن يهش إنسان لهزيمة الروح الإسلامية الحقيقية فى مهدها وانطفاء شعلتها بقيام ذلكالملك العضوض، فتلك غلطة نفسية وخلقية لا شك فيها) [۳۷۴] . ثم يبدد الشهيد قطب أوهام المتعلقين بأهداب التعصب المذهبى الأعمى

فى دفاعهم عن معاوية بقوله: (وبعد، فلست (شيعيا) لأقرر هذا الذى أقول، إنما أنظر إلى المسألة من جانبها الروحى الخلقى، ولن يحتاج الإنسان أن يكون شيعيا لينتصر للخلق الفاضل المترفع عن الوصولية الهابطة المتدنية، ولينتصر لعلى بن أبى طالب على معاوية وعمرو، إنما ذلك انتصار للترفع والنظافة والاستقامة...).

انتشار ظاهرة الوضع والدس فى الحديث

العامل الأساسى فى تولد هذه الظاهرة

الحديث الموضوع هو الكلام المختلق والمنسوب إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذبا وزورا وبهتانا. وبالرغم أنه كانت هناك أسباب ودوافع عديدة لظهور وضع الحديث والكذب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أنه لا يهمنا منها هنا سوى العامل السياسى وما يتضمن من اختلافات وصراعات حول زعامة الأمة الإسلامية، وإبراز دوره فى التأثير على هذه الظاهرة. [صفحه ۲۱۰] ويتفق جميع من تطرق إلى هذه المسألة أن الدوافع السياسية كانت أخطر أسباب ظهور ظاهرة الوضع، ولكنه من غير المقبول أن يرمى هذا الإثم - كما يزعم بعضهم - على فئة معينة من المسلمين دون غيرها، وتبرئة الجيل الأول منه براءة تامة وكأنهم كانوا من المعصومين الذين يستحيل عليهم الكذب والخطيئة. فهذا عبد الفتاح أبو غدة على سبيل المثال يعزى ظهور وضع الحديث إلى الظروف التى رافقت مقتل عثمان حيث (ذرت الفتن قرنها، وبدأت الأهواء تأخذ إلى النفوس الضعيفة طريقها، وظهر فى تصرف بعض الناس الذين لم يخطوا بصحبة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهدته ألوان من التعصب، ودبت الخلافات والتفرقة فى الصفوف، وقامت الفرق والمبتدعة بالتحزبوالتأويل) [۳۷۵] . فهل أن العصر الذى سبق مقتل عثمان وهو عصر الصحابة كان بريئا من هذه الآفة؟ وهل أن من طال به العمر من الصحابة بعد مقتل عثمان لا يحتمل عليه الكذب والوضع؟ وما بيناه من شواهد سابقة فيه إجابة كافية على هذا التساؤل، فمخالفة الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقول والعمل، أثناء حياته وبعده، وسبهم لبعضهم بعضا، بل وتهديدهم لبعضهم بالقتل، وظهور النزعات القبلية بينهم، وسل السيوف فى وجوه بعضهم بعضهم فى الجمل وصفين، وما تبع ذلك كله من مآسى فيه ما يفند ذلك الزعم. ومن أمثلة ضلوع المهاجرين والأنصار بوضع الحديث هو رواية كل منهم عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما يشير إلى علو منزلتهم وخصهم ببعض الامتيازات، فكما أنهم وضعوا الأحاديث فى فضل المهاجرين والقرشيين كالذى روى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (الناس تبع لقريش، وأن هذا الأمر فيهم ما بقى [صفحه ۲۱۱] منهم اثنان) [۳۷۶] . وفى رواية أخرى: (الناس تبع لقريش فى الخير والشر) [۳۷۷] . وعن أبى هريرة: (الناس تبع لقريش فى هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهملكافرهم) [۳۷۸] فقام بعض الأنصار فى مقابل هذه الروايات بوضع أحاديث فى فضلهم ونسبوها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. من ذلك: (الأنصار لا يحبهم إلا مؤمنولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله) [۳۷۹] . ومن الأمثلة التى كانت لها علاقة بالصراع السياسى الذى جرى بين المهاجرين والأنصار فى السقيفة ما جرى لسعد بن عبادة زعيم الأنصار، والذى أخرج إلى بلاد الشام (وقيل أنه خرج لكراهته عمر بن الخطاب عندما صار خليفة) حيث قتل هناك بتدبير مدبر. إلا أن قاتليه أشاعوا بأنه قتل على يد الجن (!) وأذاعوا على لسان جنى أنه قال: (نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة ورميناه بسهمين فلم نخطئ فؤاده). وبالفعل فقد انتشرت خرافة قتل الجنلسعد، ودونها رجال الحديث والتاريخ فيما دونوه من حوادث ذلك العصر [۳۸۰] . وقد كان للحكام الأمويين الدور الأكبر فى تشجيع وضع الحديث وتزويره، حيث كتب معاوية بعد صلحه مع الحسن بن على إلى جميع ولاته وعماله: (أن برئت الذمة ممن روى شيئا فى فضل أبى تراب (يعنى على)وأهل بيته...) [۳۸۱] ، فكان من نتيجة ذلك ملاحقة الموالين لأهل البيت وتعذيبهم وتقتيلهم، وفى نفس الوقت أوصى معاوية ولاته وعماله بإكرام من يروون فى فضل عثمان وصحبه، والإغداق عليهم. وبالطريقة كان [صفحه ۲۱۲] الأمويون يشجعون على وضع الأحاديث فى فضائل عموم الصحابة لا سيما أبا

بكر وعمر - كما سنرى فى موضع لا حق - وذلك لرفع منزلتهم فوق منزلة أهل البيت عليه السلام ويقول ابن عرفة المعروف بنفطويه فى هذا الصدد: (إن أكثر الأحاديث الموضوعة فى فضائل الصحابة افتعلت فى أيام بنى أمية تقربا إليهمبما يظنون إنهم يرغمون فيه أنوف بنى هاشم) [۳۸۲] . وقد روى أن عبد الله بن الزبير الذى بويع له خليفة فى فترة من الفترات مكث أربعين جمعة أيام خلافته يخطب الناس ولا يصلى على النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فسئل عن سبب ذلك فأجاب: (إن له أهل سوء إذا ذكرتهشمخوا بآنافهم) [۳۸۳] . ويقول أحمد أمين فى (ضحى الإسلام) مؤكدا هذه الحقيقة: (أن الأمويين قد وضعوا ووضعت لهم أحاديث تخدم سياساتهم من نواحى متعددة، منها أحاديث فى زيادة مناقب عثمان إذ كان هو الخليفة الأموى من بين الخلفاء الراشدين وهم به أكثر اتصالا من غيره، مثل حديث: أن عثمان تصدق بثلاثمئة بعير بأحلاسها وأقتابها فى جيش العسرة، فنزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم عنالمنبر وهو يقول: ما على عثمان ما عمل بعد هذا اليوم) [۳۸۴] . ومن الأحاديث التى وضعت فى معاوية ولا يزال يذكرها بعض المتعصبين المعاصرين لبنى أمية على أنها صحيحة كعبد المتعال الجبرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال فيه: (اللهم اجعله هاديا مهديا واهد به) [۳۸۵] . [صفحه ۲۱۳] (اللهم علمه الكتاب والحساب وقه والعذاب) [۳۸۶] قال الجبرى: ورواة هذا الحديث أكثر من أن يحصوا [۳۸۷] . (لا تذهب الأيام والليالى حتى تجتمع الأمة على معاوية) [۳۸۸] . (أول جيش يغزو مدينة قيصر - يعنى القسطنطينية - مغفور لهم) [۳۸۹] وفى رواية أخرى: (أول جيش يغزو الروم مغفور لهم) [۳۹۰] وهو إشارة إلى الغزوة المزعومة التى أرسلها فيها معاوية ابنه يزيد على رأسها لغزو القسطنطينية. ولأن أغلب المحققين أكدوا على أنه لم يصح من الأحاديث التى رويتفى فضائل معاوية شئ سوى أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دعا عليه ولعنه [۳۹۱] ، وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم فيه: (لا أشبع الله بطنه) [۳۹۲] ، فقد قام الوضاعون ضمن جهودهم لتبييض صحيفة معاوية وتبرئته مما دعا به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عليه بنسب الحديث التالى المروى عن أبى هريرة إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (اللهم إنما أنا بشر فأيما رجلمن المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته، فاجعلها له زكاة ورحمة [۳۹۳] - وفى رواية أخرى: فاجعل ذلك له قربة، وفى رواية ثالثة: كفارة، يوم القيامة) [۳۹۴] .

ابو هريرة: الراوى الأول!

والحقيقة أن أبا هريرة يعد مثالا صارخا يستحق كل الاهتمام والوقوف على سيرته لكثرة ما روى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وهو الراوى الأول بلا منازع عند الجمهور [صفحه ۲۱۴] العريض من المسلمين: فأول ما ينبغى الإشارة إليه هو اشتهاره بتشيعه لبنى أمية فى صفين وما بعدها ليس فى حمل السيف، وإنما بما أوتى من مهارات بالتلاعب بأحاديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو وضع ما شاء تكيفا مع المناسبة والحدث. وإليك خبر ذلك: فهو فى البداية يعترف أنه كان يكتم بعض ما قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم كما فى صحيح البخارى: (حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاءين فأما أحدهما فبثثته،وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم) [۳۹۵] فما هى يا ترى تلك الأحاديث التى يخشى أبو هريرة روايتها، وممن؟ ومن الطريف فى هذه المسألة أن أبا هريرة نفسه كان يقول فى عقاب الكاتمين لحديث النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة - يعنى أكثر رواية الحديث - ولولا آيتان فى كتاب الله ما حدثت حديثا - ثم تلى قوله تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناسفى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) [البقرة / ۱۵۹]) [۳۹۶] . وما يجدر ذكره أن أبا هريرة روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (۵۳۷۴) حديثا ملئت صحاح أهل السنة الستة (أى أكثر بأربعة أضعاف ما رواه الخلفاء الأربعة الأوائل!)، كل ذلك بالرغم أن لم يعاصر النبى صلى الله عليه وآله وسلم سوى عامين. وأخذ عنه البخارى فى صحيحه ۴۴۶ حديثا. وكان الخليفة عمر هو أول من فزع لكثرة ما روى أبو هريرة، فضربه بالدرة وقال له: (لتتركن الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرضدوس) [۳۹۷] ولما سمعه الإمام على عليه السلام يقول مرة: حدثنى خليلى رسول الله! قال له: متى كان النبى خليلك [۳۹۸] . [صفحه ۲۱۵] وإن كان هناك أى نوع من الصحبة من الممكن التحدث بها، فإن أبا هريرة نفسه سببها بقوله: (كنت ألزم النبى لشبع

بطنی، حتی لا آکل الخمیر ولا ألبس الحریر، ولا یخدمنی فلان ولا فلانهٔ، وألصق بطنی بالحصباء وأستقرئ الرجل الآیهٔ وهی معی کی ینقلب بی فیطعمنی، وخیر الناس للمساکین جعفر بن أبی طالب، ینقلب بنا فیطعمنا ما کان فی بیته حتی إن کانلیخرج إلینا العکهٔ التی لیس فیها شئ فنشتقها فنلعق ما فیها) [۳۹۹] وقد عبر أبو هریرهٔ عن تقدیره لجعفر بن أبی طالب بقوله: (ما احتذی النعال ولا رکبالمطایا ولاـ رکب الکور بعد رسول الله أفضل من جعفر بن أبی طالب) [۴۰۰] . وبالنظر إلی الغایهٔ التی کان أبو هریرهٔ یلازم من أجلها النبی صلی الله علیه وآله وسلم، فقد کان من الطبیعی أن یمیل إلی مناصرهٔ الأمویین ضد معسکر الإمام علی علیه السلام لما وجده عندهم مما یناسب میوله وشغفه من الطعام حتی أن کل من الجزار بسر بن أرطأهٔ ومروان بن الحکم قد أناباه علی ولایهٔ المدینهٔ، فتغیرت أحواله من حال إلی حال. ولقد روی عن أیوب بن محمد أنه قال: (کنا عند أبی هریرهٔ وعلیه ثوبان ممشقان من کتان، فتمخط فقال: بخ بخ أبو هریرهٔ یتمخط فی الکتاب؟ لقد رأیتنی وإنی لأخر فیما بین منبر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی حجرهٔ عائشهٔ مغشیا علی، فیجئ الجائی فیضع رجله علی عنقی ویری أنی مجنون وما بی جنون، ما بی إلاـ الجوع) [۴۰۱] . وکان مما قاله أبو هریرهٔ فی تقدیره لفضائل معاویهٔ علیه: (سمعت رسولالله یقول: إن الله أئتمن علی وحیه ثلاثهٔ: أنا وجبریل ومعاویهٔ) [۴۰۲] . [صفحه ۲۱۶] وقد أکثر أبو هریرهٔ الآخذ عن کعب الأحبار وعبد الله بن سلام، وهما یهودیان أعلنا إسلامهما نفاقا وخداعا للکید بالإسلام من خلال دس الإسرائیلیات فی عقول المسلمین وعقائدهم. ویقول الدکتور أحمد أمین: (اتصل بعض الصحابهٔ بوهب بن منبه (وهو فارسی الأصل) وکعب الأحبار وعبد الله بن سلام، واتصل التابعون بابن جریج، وهؤلاء کانت لهم معلومات یروونها عن التوراهٔ والإنجیل وشروحها وحواشیها، فلم یر المسلمون بأسا من أن یقصوها بجانب آیات القرآن، فکانت منبعا من منابع التضخم) [۴۰۳] . وکان کعب الأحبار أشهر هؤلاء وأخطرهم، وقد أسلم فی عهد الخلیفهٔ عمر الذی قربه منه وکان معه فی فتح بیت المقدس، وعندما افتضح أمره نهاهعن الحدیث قائلا له: (لتترکن الحدیث أو لألحقنک بأرض القردهٔ) [۴۰۴] إلا أنه تحول إلی الشام فی عهد عثمان، فاستضافه معاویهٔ هناک وجعله من مستشاریه المقربین لکثرهٔ علمه کما ظن به. ومن هذا الموقع توسع هذا الیهودی المتظاهر بالإسلام من نشر آلاف الأخبار والقصص التوراتیهٔ التی حرف معظمها أصلا أو اختلقت فأصبحت من الخرافات والأساطیر. وسنری أمثلهٔ من ذلک فی استعراضنا لبعض روایات أبی هریرهٔ التی ملأت کتب صحاح الحدیث والتفسیر والتی وثق أصحابها بأمانهٔ هذا الراوی: وتقواه: ۱ - ففی صحیح البخاری عن أبی هریرهٔ عن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قال: (أرسل ملک الموت إلی موسی صلی الله علیه وآله وسلم، فلما جاءه صکه - وفی روایهٔ مسلم فی صحیحه: فلطم موسی عین ملک الموت ففقأها - فرجع الملک إلی ربه فقال: أرسلتنی إلی عبد لا یرید الموت. فرد الله علیه عینه وقال إرجع فقل [صفحه ۲۱۷] له یضع یده علی متن ثور، فله بکل شعرهٔ سنهٔ. قال: أی رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن، فسأل الله أن یدینه من الأرض المقدسهٔ رمیهٔ بحجر) [۴۰۵] . وقد عبر الشیخ المرحوم محمد الغزالی عن استیائه لتزمت شارح هذا الحدیث فیأحد المصادر التی رجع إلیها وجعله در الحدیث إلحادا [۴۰۶] وإلیک کلام الشارح المدافع بإصرار عن صحهٔ الروایهٔ ونوع التبریر والمنقط الذی قدمه: قال المارزی: وقد أنکر بعض الملاحدهٔ هذا الحدیث، وأنکروا تصوره، وقالوا: کیف یجوز علی موسی علیه السلام قد أذن الله تعالی له فی هذه اللطمهٔ، ویکون ذلک امتحانا للملطوم، والله سبحانه یفعل فی خلقه ما شاء، ویمتحنهم بما أراد. والثانی: أن هذا علی المجاز، والمراد أن موسی ناظره وحاجه فغلبه بالحجهٔ، ویقال: فقأ فلان عین فلان إذا غلبه بالحجهٔ، ویقال: عودت الشئ إذا أدخلت فیه نقصا، قال: وفی هذا ضعف لقوله صلی الله علیه وآله وسلم: فرد الله عینه، فإن قیل: أراد رد حجته کان بعیدا. والثالث: أن موسی علیه السلام لم یعلم أنه ملک من عند الله، وظن أنه رجل قصده یرید نفسه، فدافعه عنها، فأدت المدافعهٔ إلی فقء عینه، لا أنه قصدها بالفقء، وتؤیده روایهٔ: صکه، وهذا جواب الإمام أبی بکر بن خزیمهٔ وغیره من المتقدمین واختاره المازری والقاضی عیاض. قالوا: ولیس فی الحدیث تصریح أنه تعمد فق ء عینه، فإن قیل: فقد اعترف موسی حین جاءه ثانیا بأنه ملک الموت، فالجواب أنه أتاه فی المرهٔ الثانیهٔ بعلامهٔ علم بها أنه ملکالموت فاستسلم، بخلاف المرهٔ الأولی. والله أعلم [۴۰۷] . [صفحه ۲۱۸] والحقیقهٔ أن الإصرار علی صحهٔ حدیث کهذا غیر لائق، ولیس هناک أی حاجهٔ لکل هذه الحذلقهٔ، وکلمهٔ

واحدة كان من الممكن أن تغنى عن كل هذا الشرح المطول اليائس، ولكن غالبية علماء أهل السنة لا يجرؤون على التشكيك بصحة أن حديث أخرجه البخارى فى صحيحه، فيضطرون إلى مثل ذلك الاضطراب فى التفسير والتبرير، الأمر الذى لا يجلب للإسلام إلا الإساءة والتشويه. ولهذا الحديث أمثال كثيرة، ومما رواها أيضا الراوية الأول أبو هريرة، وهذه بعضها: ۲) عن أبى هريرة قال: النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (قال سليمان بن داوود عليه السلام لأطوفن الليلة على تسعين امرأة كلهن يأتين بفرسان يقاتلون فى سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله. فلم يقل أن شاء الله. فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، فجاءت بشق رجل - وفى رواية أخرى: بنصف إنسان - وأيم والله الذى نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لحملتكل واحدة منهن بغلام يجاهد فسبيل الله) [۴۰۸] . ويقول النووى فى شرحه لهذا الحديث: (كان لسليمان ستون امرأة وفى روايات أخرى سبعون، وتسعون، وتسع وتسعون، ومئة. هذا كله ليس بمتعارض لأنه ليس فى ذكر القليل نفى الكثير، وهو مما خص به الأنبياء صلوات الله تعالى وسلامه عليهم من القوة على إطاقة هذا فى ليلة واحدة، وكان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يطوف على إحدى عشرة امرأة له فى الساعة الواحدة كماثبت فى الصحيح، وهذا كله زيادة فى القوة، والله أعلم) [۴۰۹] . ۳) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (يقال لجهنم هل امتلأت، وتقولهل من مزيد، فيضع الرب تبارك وتعالى قدمه عليها فتقول: قط قط، أى كفى) [۴۱۰] . [صفحه ۲۱۹] ۴) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كل بنى آدم يطعن الشيطان فى جنبيه بإصبعيه حين يولد، غير عيسى بن مريم، ذهب يطعن، فطعن فيالحجاب) [۴۱۱] . ۵) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (خلق الله آدم على صورته طولهستون ذراعا) [۴۱۲] . ۶) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنا خير من يونس بن متى فإنهكذب) [۴۱۳] . ۷) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، يقول: من يدعونى فاستجيبله؟ من يسألنى فأعطيه؟ من يستغفرنى فأغفر له؟) [۴۱۴] . ۸) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (كان بنو إسرائيل يغتسلون عراة فنظر بعضهم إلى بعض، وكان موسى يغتسل وحده، فقالوا: والله ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه أدر - بمعنى عظيم الخصيتين - فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر، ففر الحجر بثوبه، فجمع موسى فى أثره يقول: ثوبى يا حجر، ثوبى يا حجر، حتى نظرت بنو إسرائيل إلى موسى فقالوا: والله مابموسى من بأس) [۴۱۵] . ۹) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا نودى للصلاة أدبر الشيطان لهضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى النداء، أقبل...) [۴۱۶] . [صفحه ۲۲۰] ۱۰) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بينما رجل راكب على بقرة، التفتت إليه فقالت: لم أخلق لهذا، خلقت للحراثة. قال: آمنت به وأبو بكروعمر) [۴۱۷] . ۱۱) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (بينما أنا نائم، رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر عمر. فقلت: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر ابن الخطاب. فذكرت غيرته فوليت مدبرا. فبكى عمر وقال: أعليك أغار يارسول الله) [۴۱۸] . ۱۲) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لو أطلع فى بيتأحد ولم تأذن له، حذفته بحصأة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح) [۴۱۹] . ۱۳) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يمشى أحدكم فى نعلواحدة، لينعلهما جميعا أو ليحفهما جميعا) [۴۲۰] .

ماذا لو صحت هذه الأحاديث؟

نذكر فيما يلى طائفة أخرى من الأحاديث المروية فى صحيحى البخارى ومسلم عن غير طريق أبى هريرة، والمستحقة للنظر والتساؤل: ۱) عن عائشة قال: (جاءت سهلة بنت سهيل إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، أرى فى وجه أبى حذيفة من دخول سالم - وهو حليفه أو خادمه - فقال النبى: أرضعيه. قالت وكيف أرضعه وهو رجل كبير - وقد شهدبدرا على حسب رواية أخرى [۴۲۱] وفى ثالثة كان قولها: أنه ذو لحية [۴۲۲] . [صفحه ۲۲۱] فتبسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: قد علمت أنه رجل كبير) [۴۲۳] وفى ألفاظ أخرى قالت عائشة: (فقالت سهلة: أن سالما قد بلغ ما بلغ الرجال وعقل ما عقلوا وأنه يدخل علينا وإنى

لأظن أن فى نفس أبى حذيفة من ذلك شيئا. فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أرضعيه تحرمى عليه ويذهب الذى فى نفس أبيحذيفة. فرجعت فقال: إنى قد أرضعته فذهب الذى فى نفس أبى حذيفة) [۴۲۴] . ويقول النووى فى شرحه وتبريره لهذا الحديث الغريب الذى أخرجه مسلم فى صحيحه تحت باب رضاع الرجل الكبير: (قال القاضى فى قوله صلى الله عليه وآله وسلم أرضعيه: لعلها حلبته (!) ثم شربه من غير أن يمس ثديها، ولا التقت بشرتاهما. وهذا الذى قاله القاضى حسن. ويحتمل أنه عفى عن مسهللحاجة كما خص بالرضاعة مع الكبر، والله أعلم) [۴۲۵] . ۲) عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال بشأن اليوم الآخر والوقوف للحساب: (... فيتساقطون (الكفار) حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديا ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا. قال: فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا! فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آيةتعرفونه بها! فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن) [۴۲۶] . ۳) عن جرير أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (... إنكم سترون ربكم كما ترونهذا القمر، لا تضامون فى رؤيته) [۴۲۷] . [صفحه ۲۲۲] ومما يذكر أن عائشة قد استنكرت إمكانية رؤية الله عندما سألها أحد الصحابة قائلا: يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت له: لقد قف شعرى مماقلت [۴۲۸] وقرأت: (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) [الأنعام / ۱۰۳]. وأما من يتوهم إمكانية رؤية الله من قوله تعالى: (وجوه يومئذ ناضرة ينبغى إلى ربها ناظرة) [القيامة / ۲۲]، فهو تفسير خاطئ، لأن كلمة ناظرة ينبغى تأويلها على الانتظار وليس هى بمعنى النظر، وهذا مثل قوله تعالى: (واسأل القرية التى كنا فيها) [يوسف / ۸۲]، بمعنى اسأل أهل القرية. وهكذا ينبغى تأويل كل آية يدل ظاهرها على أن الله جسما أو يدا أو وجها أو ساقا أو غير ذلك. ۴) عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا طلع حاجب الشمسفدعوا الصلاة حتى تبرز... فإنها تطلع بين قرنى شيطان) [۴۲۹] وأما عن غروب الشمس فيروى أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال لأبى ذر حين غربت الشمس: أتدرى أين تذهب؟ فقال أبو ذر: الله ورسوله أعلم. قال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يؤذن لها، فيقال: ارجعى من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قولهتعالى: (والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) [يسين / ۳۸]) [۴۳۰] . ۵) وأما فيمن لا يقومون لصلاة الصبح، فقد روى عن عبد الله قال: (ذكر عند النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجل فقيل: ما زال نائما حتى أصبح ما قام إليالصلاة. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: بال الشيطان فى أذنه) [۴۳۱] . [صفحه ۲۲۳] وأخيرا، بقى أن نذكر أن كل هذه الروايات هى مما أخرجه الشيخان البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وللمكانة التى يحتلها كتاباهما عند جمهور عريض من المسلمين، فإنه يلزم تعريفا مختصرا بهما: فالشيخ محمد بن إسماعيل البخارى يقول: (لم أخرج فى هذا الكتاب إلا صحيحا وما تركت من الصحيح أكثر) [۴۳۲] ويقول أيضا: (خرجت الصحيح من ۶۰۰ ألف حديث) [۴۳۳] ويذكر أن عدد الأحاديث المصنفة فى كتاب البخارى هذا تراوح ۶۰۰، ۲ حديث، وقد صنفها فى مطلع القرن الهجرى الثالث. ويقول الشيخ يحيى بن شرف النووى الشارح على صحيح مسلم: (اتفق العلماء (رحمهم الله) على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان:البخارى ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول، وكتاب البخارى أصحهما) [۴۳۴] . وأما الشيخ مسلم بن الحجاج النيسابورى والذى كان معاصرا للشيخ البخارى فقد قال: (صنفت هذا المسند الصحيح من ۳۰۰ ألف حديثمسموعة) [۴۳۵] وقد ذكر علماء الحديث أحيانا ما يشبه الأساطير حول تشدد هذين الشيخين فى قبول الرواية وتوثيقها، إلى الحد الذى أهلهما ليكونا موضع إعجاب جمهور أهل السنة والجماعة على مر القرون. وأما كتب الحديث عند الشيعة فالرئيسية منها أربعة هى: الكافى، من لا يحضره الفقيه، الإستبصار، التهذيب. ولكن علماء الشيعة لا يعدون جميع الأحاديث المخرجة فى أى من هذه الكتب الصحيحة، بل يقولون إن فيها الغث [صفحه ۲۲۴] والسمين، كلها يجب إخضاعها لمقاييس الصحة والتوثيق، ولا يرون بإمكانية وجود أى كتاب يوضع قبال أو عدل لكتاب الله فى الصحة والتوثيق. ويقول غالبية علماء الشيعة أن الأحاديث الضعيفة فى كتاب الكافى – وهو أشهر كتب الحديث عندهم – أكثر من الأحاديث الصحيحة.

تقديس الصحابة على حساب عصمة النبى

الغلو المفرط فى تقديس الصحابة و أسبابه و نتائجه

لقد كان الزعم القائل بتقوى جميع الصحابة وعلو منزلتهم من بين الأفكار التى عمل الأمويون على بثها وترسيخها لا سيما فى بداية عهدهم، ليس فقط من أجل تفنيد أى نقد للصحابة عموما، أو الخلفاء والولاة منهم على وجه الخصوص كالتغطية على بوائق معاوية وعمرو بن العاص على سبيل المثال، وإنما لإبعاد الأنظار عن تلك الميزة والمنزلة الخاصة التى أعطاها الله ورسوله لأهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم بوصفهم المستحقين الحقيقيين لعرش الخلافة الإسلامية. ويقول ابن عرفة المعروف بنفطويه فى هذا الصدد: (إن أكثر الأحاديث فى فضائل الصحابة قد افتعلت فى أيام بنى أمية تقربا إليهم بما يظنون أنهم يرغمون أنوف بنى هاشم، وقد صيغت بأسلوب يجعل من كل صحابى قدوة صالحة لأهل الأرض، وتصب على كل من سب أحدا منهم أو أتهمه بسوء كما جاء فيما رووه عن أنس بن مالك: (من سب أحدا من أصحابى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ومن عابهم أو أنتقصهم فلا تواكلوه لا تشاربوه ولا تصلوا عليه) وقد جاءت بهذا الأسلوب ولم تفرق بين صحابيوصحابى) [۴۳۶] . [صفحه ۲۲۵] وهكذا شاعت أحاديث الفضائل، وأعطيت الأوصاف والألقاب لهذا وذاك، والتى تناقلها المسلمون عبر الأجيال وكأنها من المسلمات التى لا يمكن أن يتطرق إليها أى شك. ومن ذلك ما زعم أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال فى معاوية كما يشهد ويثبت له البخارى فى صحيحه أنه – فقيه! –، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم قال فى وصف صحابى آخر: سيف الله المسلول، وقيل فى ثالث أنه أمين هذه الأمة، وفى رابع أنه جرها، وفى خامس أنه صديقها، وفى سادس أنه فاروقها، وفى سابع أنه ذو النورين، حتى أصبح جميع الصحابة أنوارا كما فى الحديث المزعوم: (أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم). والصحابى عند جمهور المسلمين كما يصفه علماء أهل السنة هو: (كلمسلم رأى رسول الله ولو لحظة) [۴۳۷] ويؤكد الشيخ النووى هذا التعريف فى شرحه على صحيح مسلم بقوله: (وهذا هو الصحيح فى حده، وهو مذهبابن حنبل والبخارى فى صحيحه والمحدثين كافة) [۴۳۸] بل ذهب بعضهم إعطاء صفة الصحبة للذين لم يروا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولكن أسلموا فيحياته [۴۳۹] . وبالنسبة لدرجة المفاضلة بين الصحابة يقول أبو منصور البغدادى: (أفضلهم الخلفاء الأربعة على الترتيب المذكور، ثم تمام العشرة المبشرين بالجنة، ثم أهل بدر ثم أحد ثم بيعة الرضوان، وممن له مزية أهل العقبتينمن الأنصار، وكذلك السابقون الأولون وهم من صلى إلى القبلتين) [۴۴۰] . وبالطبع فإن بعض هذه الدرجات تشمل حتى من اشتهروا بالبغى والفجور [صفحه ۲۲۶] كمعاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة كما يذكر القاضى عياض على سبيل المثال: (وأما معاوية (رضى الله عنه) فهو من العدول الفضلاءوالصحابة النجباء، رضى الله عنه) [۴۴۱] . على أن المشكلة ليست فى مجرد إعطاء الأوصاف والألقاب ودرجات التفضيل، فلو أن الناس اختلفوا مثلا حول درجة فضل مجموعة أشخاص وتقواهم كسقراط أو بطليموس لما كان الأمر يهم فى شئ، لأن ذلك يعد مفضول البحث وترفه. ولكن سبب اهتمامنا بما يخص حقيقة الصحابة وما جرى بينهم هو اعتبار عامة المسلمين لهم نموذجا يقتدى به على مر الأجيال أو كما وصفهم الشهيد سيد قطب فى كتابه معالم فى الطريق بأنهم (جيل قرآنى فريد)، بحيث أصبح من مقتضيات هذه القدسية اعتبار كل ما عمله الصحابة سنة، والوثوق بكل ما قالوه أو نقلوه أو فسروه أو اجتهدوه جزءا من شريعة الإسلام ينبغى الاقتداء به فى كل زمان ومكان. وهذا يظهر من تعليق القاضى عياض على سبيل المثال: (وأما الحروب التى جرت بينهم فكانت لكل طائفة شبهة، اعتقدت تصويب أنفسهم بسببها، وكلهم عدول (رضى الله عنهم)، ومتأولون فى حروبهم وغيرها، ولم يخرج شئ من ذلك أحدا منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون، اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد، كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها. ولا يلزم من ذلك نقص أحد منهم. وأعلم أن سبب تلك أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم... فكلهم معذورون (رضى الله عنهم)، ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به فى الإجماع على قبول شهاداتهم وروايتهم، وكمالعدالتهم رضى الله عنهم أجمعين) [۴۴۲] . [صفحه ۲۲۷] ويقول أحد المعاصرين: (عمل الصحابة حجة على

من جاء بعدهم من المجتهدين وغيرهم، ولا يضر اختلافهم فى المسائل المجتهد فيها، فلا يقال: إن ذلك يترتب عليه تضارب الحجج، لأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال: فيبعض ما روى عنه: أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) [۴۴۳] . وقد وصل التطرف والغلو بقدسية الصحابة إلى درجة تفضيل معاوية (وهو الخليفة غير راشد (!) الذى تلطخت يداه بدماء آلاف الأبرياء، وعلى يديه عادت الحياة الجاهلية بأقبح صورها إلى واقع المسلمين) على الخليفة عمر بن عبد العزيز والمعتبر من الراشدين، لا لشئ إلا لكون معاوية صحابى وعمر تابعى، بالرغم من كل ما اشتهر به عمر من تقوى وعدل، بحيث تكون مقارنته بمعاوية فى واقع الحال كمقارنة ملاك بشيطان! ويظهر هذا التطرف جليا بقول ابن كثير: (إن يوما واحدا من أيام معاويةمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خير من عمر بن عبد العزيز وأهل بيته!) [۴۴۴] ، وللشيخ ابن تيمية فى هذا الصدد قول أكثر تطرفا. ومن الأحاديث التى وضعت على لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم لتأكيد هذه المكانة المفتعلة، وترسيخ المعتقدات التى نسجت حولها ما يلى:۱ - (إذا أراد الله برجل من أمتى خيرا ألقى حب أصحابى فى قلبه) [۴۴۵] . ۲ - الله الله فى أصحابى، لا تتخذوهم غرضا بعدى، فمن أحبهم فبحبى أحبهم، ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذانى، ومن آذانىفقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه) [۴۴۶] . [صفحه ۲۲۸] ۳ - (ما شأنكم وشأن أصحابى، ذروا لى أصحابى فوالذى نفسى بيده لوأنفق أحدكم مثل جبل أحد ذهبا ما أدرك مثل عمل أحدهم يوما واحدا) [۴۴۷] . ۴ - (مثل أصحابى مثل الملح فى الطعام، لا يصلح الطعام إلا بالملح) [۴۴۸] . ۵ - (خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم... ثم الذين يلونهم) [۴۴۹] . ۶ - (لا تمس النار مسلما رآنى أو رأى من رآنى) [۴۵۰] . ومع أن الرواية الأخيرة تجعل جميع الصحابة والتابعين من المبشرين بالجنة، إلا أن الشيخين أبا بكر وعمر أحيطا بعناية خاصة أكثر من أى صحابى آخر فى هذا الصدد، فأصبغت عليهما هالة قدسية فوق العادة، لدرجة الادعاء أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد خصصهما بالذكر بالقول المنسوب: (اقتدوا بالذين منبعدى أبى بكر وعمر) [۴۵۱] فلو صح هذا الحديث، لكان يعنى الشهادة لهما بالعصمة، لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لن يأمر أمته باتباع أحد بعده على هذا النحو المطلق ويحتمل ارتكابه لمعصية وإن صغرت. ومن تلك الأحاديث التى وضعت فيهما ما روى عن عمرو بن العاص قال: (سألت النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أى الناس أحب إليك؟ قال: عائشة. قلت: منالرجال؟ قال: أبوها. قلت: ثم من؟ قال: عمر، فعد رجالا) [۴۵۲] . وأما الأحاديث التى خصت أبا بكر، فيكفى الإشارة إلى ما زعم أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (لو وضع إيمان أبى بكر فى كفة، وإيمان الأمة فى كفة، [صفحه ۲۲۹] لرجحت كفة أبى بكر) [۴۵۳] وكذلك قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم المزعوم: (لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخى وصاحبى، ولقد اتخذ اللهعز وجل صاحبكم خليلا) [۴۵۴] ويقول القاضى عياض فى شرحه لهذا الحديث: (قيل أصل الخلة الافتقار والانقطاع، فخليل الله المنقطع إليه. وأما قول أبى هريرة وغيره من الصحابة: سمعت خليلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلا يخالف هذا، لأن الصحابى يحس فى الانقطاع إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وقيل أنالخلة هى الاصطفاء، وسمى إبراهيم خليلا لأنه وإلى فى الله وعادى فيه) [۴۵۵] . وأما النووى فقد قال فى شرحه لهذا الحديث: (إن حب الله تعالى لم يبق فيقلب أبى بكر موضعا لغيره) [۴۵۶] بمعنى حتى لو كان هذا الغير هو الرسول صلى الله عليه وآله وسلم! وأما عمر بن الخطاب، فقد رفع بواسطة الأحاديث التى وضعت فى فضله إلى مرتبة فاق بها سابقه، مما يناقض حديثى الكفة والخليل السابقين، واللذين على فرض صحتهما ينبغى أن يجعلا من أبى بكر الأعلى مرتبة. وهذه على كل حال جملة من الأحاديث التى خصت عمر بالفضل ونسبت إلى لسان النبى صلى الله عليه وآله وسلم:۱ - قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (لو كان بعدى نبى لكان عمر) [۴۵۷] وفى رواية أخرى: (لو لم أبعث فيكم لبعث عمر) [۴۵۸] فالنبوة لا يمكن احتمال وضعها فى شخص عمر وهناك أبو بكر الأقوى منه إيمانا والأكثر فضلا! [صفحه ۲۳۰] ۲ - قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (والذى نفسى بيد ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك) [۴۵۹] قال النووى فى تفسيره لهروب الشيطان من مواجهته: لشدة خوفه من بأس عمر أن يفعل فيه شيئا [۴۶۰] . ۳ - قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (كان فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتيمنهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) [۴۶۱] وفى رواية أخرى: (.. فإن يكن فى أمتى منهم فإنه

عمر) [۴۶۲] وقال ابن وهب فی تفسیر محدثون: ملهمون. ۴ - قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (ما أبطأ عنی جبریل إلا خشیت أنه ذهب إلی عمر) [۴۶۳] . ۵ - قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (إن الله جعل الحق علی لسان عمر وقلبه) [۴۶۴] . وروی عن ابنه عبد الله قال: (ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا وقال، إلا نزلالقرآن علی نحو ما قال عمر) [۴۶۵] . وعن ابن مسعود أنه قال: (لو أن علم عمر وضع فی کفهٔ میزان، ووضع وعلم أحیاء الأرض فی کفهٔ، لرجح علم عمر بعلمهم، ولقد کانوا یقولون أنهذهب بتسعهٔ أعشار العلم) [۴۶۶] . ونسب أیضا إلی عبد الله بن عمر أنه قال: (قال عمر: وافقت ربی فیثلاث: فی مقام إبراهیم وفی الحجاب وفی أساری بدر) [۴۶۷] وإلیک خبر هذه الموافقات الثلاث المزعومهٔ کما نقلها الناقلون: [صفحه ۲۳۱] الأولی: (إن عمر أشار علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم قبل نزول القرآن أن یتخذ من مقام إبراهیم مصلی، فأنزل الله فی ذلک قرآنا یتلی: (واتخذوا من مقامإبراهیم مصلی) [البقرهٔ / ۱۲۵] [۴۶۸] . الثانیهٔ: (أشار عمر علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم أن یأمر نساءه بالحجاب، فأنزل الله تبارک وتعالی: (.. وإذا سألتموهن متاعا فسألوهن من وراء حجاب)[الأحزاب / ۵۳]) [۴۶۹] . الثالثهٔ: (استشار النبی صلی الله علیه وآله وسلم أصحابه فی أساری بدر، فکان من رأی عمر أن یقتلوا ولا یؤخذ منهم فداء، ولم یقل أحد بقوله. فنزل قول الله سبحانه وتعالی موافقا لما قال: (ما کان لنبی أن یکون له أسری حتی یثخن فی الأرض تریدون عرض الدنیا والله یرید الآخرهٔ والله عزیز حکیم)[الأنفال / ۶۷]) [۴۷۰] . ومن هذه الموافقات المزعومهٔ بالإضافهٔ إلی الثلاث السابقهٔ ما ذکره النووی فی شرحه لقول عمر (وافقت ربی...): (هذا من أجل مناقب عمر وفضائله رضی الله عنه، وجاء فی روایهٔ فی الصحیح: اجتمعت نساء النبی فی الغیرهٔ، فقال عمر: (عسی ربه أن طلقکن أن یبدله أزواجا خیرا منکن) [التحریم / ۵]. ثم نزل القرآن بذلک. وجاء فی الحدیث الصحیح موافقهٔ عمر لله فی منع النبی صلی الله علیه وآله وسلم من الصلاهٔ علی المنافقین فنزل قوله تعالی: (ولا تصل علی أحد منهم مات أبدا) [التوبهٔ / ۸۴]. وعندما کان القرآن یتدرج بتحریم الخمر علی مراحل، طلب عمر أن یبین حکمه بیانا شافیا قطعیا فنزل قوله تعالی: (یا أیها الذین آمنوا إنما الخمر والمیسر والأنصاب والأزلام رجس من [صفحه ۲۳۲] عمل الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون) [المائدهٔ / ۹۰]. فهذه ست موافقات، ولیس فی لفظه ما ینفی زیادهٔ الموافقهٔ، والله أعلم) [۴۷۱] . وفی روایهٔ الصلاهٔ علی المنافقین، فقد وردت موافقهٔ أخری لعمر، حیث کان النبی صلی الله علیه وآله وسلم یستغفر لأحد المنافقین، فقال له عمر: سواء علیهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن یغفر الله لهم... فنزلت الآیهٔ بذلک. وکان مجموع ما ذکره السیوطی من حوادث الموافقات هذه أربع عشرهٔ حادثهٔ. ویقول کاتب معاصر فی تعلیقه علی هذه الموافقات المزعومهٔ: (وهذا یدل علی أن صوابه أکثر من صواب غیره بشهادهٔ القرآن وذلک ببرکهٔ مجالسته للنبی صلی الله علیه وآله وسلم، فقد تشربت روحه بالتشریع الإلهی حتی أنه قیل عنه أنه یتکلمبروح الشریعهٔ) [۴۷۲] ومن الواضح أن ضمیر الهاء فی کلمهٔ غیره لا یشمل بقیهٔ الصحابهٔ فقط، وإنما یشمل أیضا النبی صلی الله علیه وآله وسلم نفسه کما یتضح من حادثتی أسری بدر والصلاهٔ علی أحد المنافقین! وعلی کل حال، فإذا کانت هذه هی الصورهٔ التی نقلت إلینا عن مکانهٔ الصحابهٔ وقدسیتهم، لا سیما الخلیفهٔ عمر. دعونا نری قبل مناقشهٔ هذه المکانهٔ وتلک الموافقات الصورهٔ التی نقلت إلینا من تلک المصادر والطرق - عن النبی صلی الله علیه وآله وسلم ودرجهٔ قدسیته -:

المس بکمال عصمهٔ النبی و خطورته

اشاره

لقد کان من ضحایا أزمهٔ الخلافهٔ لا أقل من شخص النبی صلی الله علیه وآله وسلم نفسه، ذلک أنه ومن أجل تبریر مخالفهٔ الصحابهٔ والخلفاء منهم علی وجه الخصوص للنبی صلی الله علیه وآله وسلم فی بعض المسائل، فإن وضاعی الحدیث ومزوری التاریخ الذین [صفحه ۲۳۳] کان منهم وعاظ سلاطین بنی أمیهٔ، ذهبوا إلی الافتراء بالقول: أن صاحب الرسالهٔ کان یخطئ فی المواقع التی لیس فیها

تبلیغ عن الله من حکم أو آیة، بل هو فی تلک المواقع لا یختلف عن بقیة البشر فی شئ، فهو علی رأیهم یتعرض لحالات السهو والنسیان بل لحالات السحر والهذیان (والعیاذ بالله) وفیما یلی أمثلة قلیلة من هذه الافتراءات:

هجران النبی!

عندما کان النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی أحد أیامه الأخیرة، وقد اشتد به المرض، أراد أن یکتب وصیته الأخیرة بحضور ومشهد من أهل بیته وکبار الصحابة. وإلیک ما حصل فی ذلک الیوم کما یرویه لنا البخاری ومسلم فی صحیحیهما بالإسناد إلی ابن عباس قال: (یوم الخمیس وما یوم الخمیس - ثم بکی حتی بل دمعه الحصی - اشتد برسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وجعه فقال: آتونی أکتب لکم کتابا لا تضلوا بعدی. فتنازعوا، وما ینبغی عند نبی تنازع، وقالوا: ما شأنه، أهجر؟ استفهموه.قال الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: دعونی، فالذی أنا فیه خیر مما تدعونی إلیه) [۴۷۳] . وفی روایة أخری، قال ابن عباس: (لما حضر رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وفی البیت رجال فیهم عمر بن الخطاب. فقال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: هلم أکتب لکم لا تضلون بعده. فقال عمر: إن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم قد غلب علیه الوجع وعندکم القرآن، حسبنا کتاب الله. فاختصموا، فمنهم من یقول قربوا یکتب لکم رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کتابا لن تضلوا بعده، ومنهم من یقول ما قال عمر. فلما أکثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، قال: قوموا. فکان ابن عباس یقول: إن الرزیة کل الرزیة ما خال بین رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم وبین أن یکتب لهمذلک الکتاب من اختلافهم ولغطهم) [۴۷۴] . [صفحه ۲۳۴] وفی روایة ثالثة، کان قول الراد علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم کما جاء فی صحیح مسلم: (إن رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یهجر) [۴۷۵] ، وفی روایة رابعة، کان قول الراد علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (.. فقال عمر کلمة معناها أن الوجع قد غلب علی رسولالله صلی الله علیه وآله وسلم ثم قال عمر: عندنا القرآن حسبنا کتاب الله) [۴۷۶] ویلاحظ فی هذه الروایة الأخیرة أن کلمة یهجر استبدلت بعبارة (معناه أنه الوجع) الأکثر تهذیبا. ویتضح من کل هذه الروایات أن أول من وصف رسول الله صلی الله علیه وآله وسلمبالهجران، والذی یعنی فی حالة المرض بالهذیان [۴۷۷] هو عمر بن الخطاب ولکن علماء أهل السنة اعتبروا موقف عمر هذا دلیلا علی عظمته وقوة بصیرته! فیقول مثلا یحیی أبو زکریا النووی الشارح لأحادیث صحیح مسلم: (.. وأما کلام عمر رضی الله عنه، فقد اتفق العلماء المتکلمون فی شرح الحدیث علی أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقیق نظره، لأنه خشی أن یکتب النبی صلی الله علیه وآله وسلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة علیها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فیها، فقال عمر: حسبنا کتاب الله، لقوله تعالی (ما فرطنا فی الکتاب من شئ) [الأنعام / ۳۸] وقوله تعالی: (الیوم أکملت لکم دینکم..) [المائدة / ۳]، فعلم عمر أن الله تعالی أکمل دینه، فأمن من الضلال علی الأمة، وأراد الترقیة علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، فکان عمر أفقه منابن عباس وموافقیه) [۴۷۸] . ثم یؤکد النووی أن وصف عمر للرسول صلی الله علیه وآله وسلم بالهجران کان فی محله بقوله: (إعلم أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم لیس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة [صفحه ۲۳۵] للأجسام ونحوها مما لا نقص لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شریعته، وقدسحر النبی صلی الله علیه وآله وسلم حتی صار یخیل إلیه أنه فعل الشئ ولم یکن فعله) [۴۷۹] . وأما بشأن الکتاب الذی أراد النبی صلی الله علیه وآله وسلم کتابته، فیعلق النووی: (وقد اختلف العلماء فی الکتاب الذی هم النبی صلی الله علیه وآله وسلم بکتابته، فقیل: أراد أن ینص علی الخلافة فی إنسان معین لئلا یقع نزاع وفتن، وقیل: أراد کتابا یبین فیه مهمةالأحکام ملخصة لیرفع النزاع فیها ویحصل الاتفاق علی المنصوص علیه) [۴۸۰] . ثم ینقل قولا للخطابی فیه المزید من التبریر لتصرف عمر: (ولا یجوز أن یحمل قول عمر علی أنه توهم الغلط علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم... لکنه لما رأی ما غلب علیه الوجع وقرب الوفاة مع ما اعتراه من الکرب، خاف أن یکون قول الرسول صلی الله علیه وآله وسلم مما یقول به المریض مما لا عزیمة فیه (؟!)، فیجدالمنافقون بذلک سبیلا إلی الکلام فی الدین) [۴۸۱] - إلی قوله: إن أکثر العلماء یجوزون الخطأ علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فیما لم ینزل علیه، وأنه کان یسهو فی صلاته. وأما بشأن مخالفة عمر

للرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهى من الأمور الصائبة لأنها - عليرأيه - تأتى ضمن الأمور التى قال فيها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: (اختلاف أمتى رحمة) [۴۸۲] .

محاولة النبى رمى نفسه من قمة جبل!

وهذه الحادثة المزعومة تعد من أكثر الأمور غرابة، حيث تصف حال النبى صلى الله عليه وآله وسلم عندما تأخر عليه الوحى بعد نزوله عليه أول مرة فى غار حراء. وهذا نص ما ذكره البخارى فى صحيحه نقلا عن عائشة قالت: (... وفتر الوحى فترة حتى حزن النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرادا كى يتردى من رؤوس شواهق الجبال، فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى منه نفسه تبدى له [صفحه ۲۳۶] جبريل فقال: يا محمد، إنك رسول الله حقا، فيسكن لذلك جأشه وتفر نفسه فيرجع، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك، فإذا أوفى بذروة جبل تبديله جبريل، فقال له مثل ذلك) [۴۸۳] .

نسيان النبى آيات الكتاب!

روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عائشة قالت: (سمع النبى صلى الله عليه وآله وسلم رجلا يقرأ فى المسجد، فقال: رحمه الله، لقد أذكرنى كذا وكذاآية كنت أسقطتها من سورة كذا وكذا) [۴۸۴] أو حسب رواية أخرى: (.. رحمه الله، لقد أذكرنى آية كنت أنسيتها) [۴۸۵] . وقال النووى فى شرحه لهذا الحديث: (قوله صلى الله عليه وآله وسلم كنت أنسيتها دليلعلى جواز النسيان عليه صلى الله عليه وآله وسلم فيما قد بلغه إلى الأمة!) [۴۸۶] وقال القاضى عياض: (وأما نسيان ما بلغه فى هذا الحديث فيجوز) [۴۸۷] .

غفلة النبى عن أداء الصلاة فى وقتها!

فقد روى أصحاب الصحاح عدة حوادث زعم فيها أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم غفل عن أداء بعض الصلوات فى أوقاتها، ومن ذلك ما روى عن أبى هريرة قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين قفل من غزوة خيبر.. نام وأصحابه، ولم يستيقظ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا بلال ولا أحد من أصحابه حتى ضربتهم الشمس، ففزع النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال: أى بلال. فقال بلال: أخذ نفسى الذى أخذ. بأبى أنتوأمى يا رسول الله بنفسك..) [۴۸۸] . [صفحه ۲۳۷] وعن أبى هريرة أيضا قال: (عرسنا مع نبى الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يستيقظ حتى طلعت الشمس، فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: ليأخذ كل رجل برأس راحلته فإن هذامنزل حضرنا فيه الشيطان، ثم دعا بالماء فتوضأ ثم سجد سجدتين، ثم أقيمت الصلاة، فصلى) [۴۸۹] . وفى صحيح البخارى، عن جابر بن عبد الله قال: (إن النبى صلى الله عليه وآله وسلم جاء عمر بن الخطاب يوم الخندق فقال: يا رسول الله، والله ما كدت أن أصلى حتى كادت الشمس تغرب، وذلك بعدما أفطر الصائم. فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم: والله ما صليتها. فنزل النبى صلى الله عليه وآله وسلم إلى بطحان وأنا معه فتوضأ ثم صلى العصربعدما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب) [۴۹۰] . وفيما يتعلق بصلاته صلى الله عليه وآله وسلم، روى البخارى عن أبى هريرة قال: (أقيمت الصلاة وعدلت الصفوف قياما، فخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قام فى مصلاه ذكر أنه جنب. فقال لنا: مكانكم. ثم رجع فاغتسل، ثم خرج إلياورأسه يقطر فكبر فصلينا معه) [۴۹۱] . ثم يروى أبو هريرة المزيد من سهو النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيقول: (صلى بنا النبى صلى الله عليه وآله وسلم الظهر ركعتين ثم سلم، ثم قام إلى خشبة فى مقدمة المسجد، ووضع يديه عليها، وفى القوم يومئذ أبو بكر وعمر، فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس. فقالوا: يا نبى الله أنسيت أم قصرت؟ فقال: لم أنس ولمأقصر. وكان فى القوم رجل يدعى ذا اليدين فقال: بل نسيت يا رسول الله. قال: صدق ذو اليدين) [۴۹۲] . [صفحه ۲۳۸] وعن أنس بن سيرين قال: (تلقينا أنس بن مالك حين قدم الشام فرأيته يصلى

على حماد، ووجهه إلى يسار القبلة. فقلت له: رأيتك تصلى لغير القبلة. قال: لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعله لم أفعله) [۴۹۳] .

هيام النبى بحب عائشة على حساب عدله مع بقية نسائه

تشير بعض الروايات الواردة فى الصحاح أن النبى صلى الله عليه وآله وسلم كان متيما جدا بحب عائشة إلى حد العشق والهيام وبصورة غير عادية. فهذا البخارى عن أبى هشام قال: (إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما كان فى مرضه جعل يدور فى نسائه ويقول: أين أنا غدا؟ حرصا على بيت عائشة. قالت عائشة: فلما كان يوميسكن) [۴۹۴] وفى رواية صحيح مسلم: (... أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ استبطاء ليوم عائشة. قالت عائشة: فلما كان يومى قبضه الله بين سحرى ونحرى) [۴۹۵] . وتروى عائشة أيضا: (كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وكان يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها، غير أن سودة بنت زمعة وهبت يومها وليلتها لعائشة زوج النبى صلى الله عليه وآله وسلمتبتغى بذلك رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۴۹۶] . وعن عائشة أيضا قالت: (إن الناس كانوا يتحرون بهداياهم يوم عائشةيبتغون بذلك مرضاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم [۴۹۷] وكانت أم سلمة تغار من ذلك، فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمة، لا تؤذينى فى عائشة، فإنه والله ما نزلعلى الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها) [۴۹۸] . [صفحه ۲۳۹] ثم تقول عائشة فى شدة غيرة بقية النساء منها: (أرسل أزواج النبى صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاستأذنت عليه وهو مضطجع معى فى مرطى فأذن لها فقالت: يا رسول إن أزواجك أرسلننى إليك يسألنك العدل فى ابنة أبى قحافة يعنى عائشة - فقال لها النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أى بنية، ألست تحبين ما أحب؟فقالت: بلى، قال: فأحبى هذه... إنها ابنة أبى بكر) [۴۹۹] . والحقيقة أن كل هذه الروايات وغيرها الواردة فى هذا الصدد تزعم أن سبب عشق النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعائشة، وتفضيله إياها على غيرها من نسائه صلى الله عليه وآله وسلم هو ليس كونها ابنة أبى بكر، وإنما لتميزها عن بقية نسائه صلى الله عليه وآله وسلم بصغر السن والبكارة حين زواجه منها، وبصورة تظهر النبى صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه كان رجلا شهوانيا أو ذواقا (والعياذ بالله). وهذه رواية أخرى مفتراة كسابقاتها تؤكد هذا الزعم الباطل. فعن أنس بن مالك قال: (كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يدور على نسائه فى الساعة الواحدة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس: أو كان يطيقه؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطى قوة ثلاثين رجلا) [۵۰۰] .

وقوع النبى تحت تأثير السحر!

وهذا الزعم أيضا مما روته عائشة وأخرجه البخارى فى صحيحه قالت: (سحر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى أنه يخيل إليه أنه فعل الشئ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندى دعا الله ودعاه، ثم قال: أشعرت يا عائشة، أن [كان]الله قد أفتانى فيما استفتيته فيه؟) [۵۰۱] . وفى رواية أخرى، قالت عائشة: (مكث النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذا وكذا يخيل إليه أنه يأتى أهله ولا يأتى... فقال ذات يوم: يا عائشة، أتانى رجلان فجلس [صفحه ۲۴۰] أحدهما عند رجلى، والآخر عند رأسى، فقال الذى عند رجلى للذى عند رأسى: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب، يعنى مسعورا. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بنأعصم) [۵۰۲] وكان الشيخ محمد عبده يستنكر هذه الروايات وأمثالها لتعارضها مع قوله تعالى: (وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا) [الفرقان / ۸].

امر النبى الناس بما لا يعلم!

روى رافع بن خديج وعائشة: (قدم نبى الله المدينة وهم يأبرون النخل فقال: ما تصنعون؟ قالوا: يلقحونه. قال: لعلكم لو لم تفعلوا لصلح

- وفى روايـة صـحيح مسـلم كـان قوله صـلى الله عليه وآله وسـلم: مـا أظن يغنى ذلك شـيئا - [۵۰۳] قـال الراوى: فلما أخبروا بـذلك تركوه. فخرج النخل شيصا والمعنى ظهور فساد رأى النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم - وعندما مر بهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت لنا كذا وكذا. فقال: إن كان ينفعهم ذلك [التلقيح] فليصـنعوه، فإنى ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شـيئا فخذوا به، فإنى ظننت ظنا فلا تؤاخذنى بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شـيئا فخذوا به، فإنى لنأكذب على الله عز وجل [۵۰۴] - وفى رواية أخرى كان قوله: إنما أنا بشـر إذا أمرتكم بشـئ من دينكم فخذوا به وإذا أمرتكم بشئ من رأيى فإنما أنابشر [۵۰۵] وفى رواية ثالثة، قال لهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم: أنتم أعلم بأمور دنياكم) [۵۰۶] .

اعراض النبى عن أعمى لانشغاله مع كفار!

يرى كثير من المسـلمين أن الآيات الكريمـة (عبس وتولى - إن جاءه الأعمى - وما يـدريك لعله يزكى - أو يـذكر فتنفعه الذكرى..) [عبس / ۱ - ۴] [صفحه ۲۴۱] أنها نزلت عتابا للنبى صـلى الله عليه وآله وسـلم لإعراضه عن عبـد الله بن مكتوم - وكان مؤمنا ضـريرا جاء يستقرى النبى صلى الله عليه وآله وسلم مما علمه الله - وظهور الكراهية فى وجهه لقطعه كلامه مع من كان منشغلا بالكلام معهم، وهم سـادة كفر قريش كعتبـة بن ربيعـة وأبى جهـل وأميـة بن خلف يـدعوهم إلى الإيمـان بـالله ويرجو إسـلامهم. وكـان سـبب ظهور الكراهيـة فى وجهه صـلى الله عليه وآله وسـلم حسب هـذا الزعم قوله صـلى الله عليه وآله وسـلم فى نفسه: يقول هؤلاء الصـناديد أنما أتباعه من العميان والعبيد، فعبس صـلى الله عليه وآله وسـلم فى وجهه وأقبل على القوم الذين يكلمهم. فنزلت الآيات تعاتبه فى ذلك. وكـان رسولالله صـلى الله عليه وآله وسـلم يكرم ذلـك الأعمى إذا رآه ويقول له: مرحبـا بمن عاتبنى فيه ربى) [۵۰۷] . وحقيقـة هذه الآيات إنها نزلت اسـتنكارا لرجل من بنى أمية كان عند النبى صـلى الله عليه وآله وسلم، فجاءه ابن أم مكتوم، فلما رآه تقذر فى نفسه، وعبس وأعرض بوجهه عنه. فأين أخلاق نبينا الكريم صـلى الله عليه وآله وسلم من هذا التصرف؟ ومن علماء أهل السنة القلائل الذين نفوا نزول هذه الآيات فى النبى صـلى الله عليه وآله وسلم هو فخر الدين الرازى بقوله: (لا نسلم أن هذا الخطاب متوجه إلى النبى صلى الله عليه وآله وسـلم: لأن يقال أن أهل التفسير قالوا: الخطاب معالرسول صـلى الله عليه وآله وسلم، فإنا نقول: هذه رواية آحاد لا تقبل فى هذه المسألة) [۵۰۸] . ويقول السـيد محمد حسين الطباطبائى فى تفسيره (الميزان فى تفسير القرآن): (وليست الآيات ظاهرة الدلالة على أن المراد بها هو النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم، بل خبر محض لم يصـرح بالمخبر عنه، بل فيها ما يدل على أن المعنى بها غيره لأن العبوس ليس من صـفات النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم مع الأعـداء المباينين فضـلا عن المؤمنين المسترشـدين. ثم الوصف بأنه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبهأخلاقه الكريمة) [۵۰۹] . [صفحه ۲۴۲]

خطأ النبى فى الصلاة على أحد المنافقين!

وتروى هذه الحادثة كما يلى فى صـحيح البخارى: (لما توفى عبد الله بن أبى جاء ابنه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، أعطنى قميصك أكفنه فيه، وصل عليه واسـتغفر له. فأعطاه قميصه... فجاء [الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم] ليصلى عليه، فجـذبه عمر فقال: أليس قد نهاك الله أن تصـلى على المنافقين، فقال [لك] فى كتابه: (اسـتغفر لهم أو لا تسـتغفر لهم إن تسـتغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم) [التوبة / ۸۰] قال ابن عمر: فنزلت الآية (ولا تصل على أحدمنهم مات أبدا ولا تقم على قبره) [التوبة / ۸۴] قال: فترك الصلاة عليهم) [۵۱۰] . والحقيقة التى غابت عن عمر فى هذه المسألة أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم على رسوله كما يفهم من الآيـة (اسـتغفر لهم) الصـلاة على المنافقين، وإنما خيره فى ذلك بالرغم أن النتيجة فى الحالتين هى عدم غفران الله لهم. وقد اختار الرسول صـلى الله عليه وآله وسـلم أن يصـلى على ذلك المنافق لمصـلحة وفائـدة بالغة توخاها فى استئلاف قلوب أبناء قبيلته الخزرج،

حیث أسلم منهم بعد صلاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم تلک ألف رجل وبعد تحقق هذه الفائدة، نزل قوله تعالی: (ولا تصل علی أحد منهم مات أبدا). [التوبة / ۸۴]. ومما یکن من الأمر، فلا بد وأن یکون النبی صلی الله علیه وآله وسلم أعلم الناس بحلال الله وحرامه وأفهمهم لکتابه، ولا یحتمل أن یکون هناک أحد أعلم أو أفهم منه بذلک، وإلا لما کان النبی الذی أرسله الله للناس لیعلمهم الکتاب والحکمة، ولکان الأولی علی الله أن یرسل الآخر بدلا منه (والعیاذ بالله). حتی أن عمر نفسه اعترف (بتجرئه) علی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم بقوله: (فعجبت بعد من جرأتیعلی رسول الله) [۵۱۱] . [صفحه ۲۴۳]

خطأ النبی بأخذ الفداء من أسری بدر!

یری غالبیة المسلمین أن الرسول صلی الله علیه وآله وسلم أخطأ عندما قرر الصفح عن أسری بدر وأخذ الفداء منهم مقابل ذلک. ویعتقدون أن الصواب کان فی جانب عمر بن الخطاب فی اعتراضه علی النبی صلی الله علیه وآله وسلم والذی کان رأیه قتلهم جمیعا. وقد اعتبروا رأی عمر هذا من الکرامات والإلهامات لأنه علی حسب فهمهم نزل قرآنا لیس فقط فی تأیید موقفه، بل وعتابا للنبی صلی الله علیه وآله وسلم، والآیات هی: (ما کان لنبی أن یکون له أسری حتی یثخن فی الأرض تریدون عرض الدنیا والله یرید الآخرة والله عزیز حکیم - لولا کتاب من الله سبق لمسکم فیما أخذتم عذاب عظیم) [الأنفال / ۶۸]. وما یوافق هذا التفسیر ما أخرجه مسلم فی صحیحه بإسناده إلی عمر نفسه قال: (فلما کان من الغد - بعد نزول الآیة - فإذا رسول الله وأبو بکر قاعدین یبکیان. قلت: یا رسول الله، أخبرنی من أی شئ تبکی أنت وصاحبک.. فقال الرسول صلی الله علیه وآله وسلم: أبکی للذی عرضعلی أصحابک من أخذ الفداء، لقد عرض علی عذابهم أدنی من هذه الشجرة) [۵۱۲] . وفی روایة أخری، کان قول النبی صلی الله علیه وآله وسلم: (إن کاد لیمسنا فی خلاف ابنالخطاب عذاب عظیم، ولو نزل عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب) [۵۱۳] . وحقیقة هذه الحادثة أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم قد قرر الصفح عن الأسری لمصلحة وحکمة متوخیا إسلامهم کما حصل فعلا فیما بعد. وأما آیة العتاب والعذاب تلک فإنها لم تنزل لتندد أو لتهدد النبی صلی الله علیه وآله وسلم - والعیاذ بالله - وأصحابه الذین أیدوه بالصفح عن الأسری وأخذ الفداء، وإنما نزلت قبل حدوث معرکة بدر لتندد بالصحابة الذین أرادوا مخالفة رأی النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی قتال المشرکین، وفضلوا بدلا من ذلک الاکتفاء بأخذ العیر وما تحمله قافلة أبی سفیان، کما فی قوله تعالی: (وإذ یعدکم الله إحدی الطائفتین أنها لکم وتودون أن غیر [صفحه ۲۴۴] ذات الشوکة تکون لکم ویرید الله أن یحق الحق بکلماته ویقطع دابر الکافرین) [الأنفال / ۷] وکان النبی صلی الله علیه وآله وسلم قد استشار أصحابه فقال لهم: إن القوم قد خرجوا علی کل صعب وذلول، فماذا تقولون؟ العیر أحب إلیکم أم النفیر؟ قالوا: بل العیر أحب إلینا من لقاء العدو. وقال بعضهم حین رآه مصرا علی القتال: هلا ذکرت لنا القتال لنتأهب له؟ إنا خرجنا للعیر لا للقتال وهنا نزل قوله تعالی (ما کان لنبی). وکذب من زعم أنه صلی الله علیه وآله وسلم اتخذ الأسری، وأخذ منهم الفداء قبل أن یثخن فی الأرض، فإنه إنما فعل ذلک بعد أن أثخن فی الأرض وقتل صنادید قریش وطواغیتها کأبی جهل وعتبة وشیبة والولید وحنظلة إلی سبعین من رؤوس الکفر وزعماء الضلال، فکیف یمکن بعد هذا أن تفسر الآیة علی أنها عتاب للنبی صلی الله علیه وآله وسلم [۵۱۴] . وکان من بین أسری بدر العباس عم الرسول صلی الله علیه وآله وسلم، وقد أمر النبی صلی الله علیه وآله وسلم الصحابة بعدم التعرض له، أو لأی من أسری بنی هاشم بالأذی لأنهم أخرجوا لقتال المسلمین مکرهین. ولکن عمر قام بشد وثاق العباس، حتی أنه کان یود قتله، وکان الرسول صلی الله علیه وآله وسلم یسمع أنینه وتضوره من الأذی فلا یأتیه النومحتی أطلقه الأنصار [۵۱۵] ومن المعلوم أن العباس کان ممن تحملوا العذاب مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی بدایة البعثة والدعوة فی مکة، وکان معه عندما حوصروا فی الشعب مع بقیة أبناء بنی هاشم لثلاث سنین، وهو کان من الذین أمرهم الرسول صلی الله علیه وآله وسلم بکتم إسلامهم والبقاء فی مکة لیکتب له أخبار قریش وأسرارهم، ولهذا قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم یوم احتدام القتال فی بدر: من لقی منکمالعباس فلا یقتله، فإنه خرج مستکرها [۵۱۶] . [صفحه ۲۴۵] وأخیرا، نذکر مثال ابن حجر المکی فی دفاعه عن

معاویهٔ اضطر إلی الطعن، بکمال خلق النبی صلی الله علیه وآله وسلم ورشده. حیث وجدنا ابن حجر یقول فی محاولته تبریر دعاء النبی صلی الله علیه وآله وسلم علی معاویهٔ (لا أشبع الله بطنه): (ولا نقص علی معاویهٔ فی هذا الحدیث أصلا... [ثم قدم أعذارا محتملهٔ لمعاویهٔ] وعند هذه الاحتمالات اللائقهٔ بکمال معاویهٔ وفقهه ومکانته، یتعین أن یکون هذا الدعاء علیه هو ولیس له بأهل، فیکون له زکاهٔ وأجرا ورحمهٔ، کما قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: اللهم إنی أغضب کما یغضب البشر فمن سببته أو لعنته أو دعوت علیه ولیس هو أهلا لذلک فاجعل اللهم ذلک له زکاهٔ وأجرا ورحمهٔ... فهذا الحدیث من مناقب معاویهٔ الجلیلهٔ لأنه بان بما قررته إنهدعاء لمعاویهٔ لا علیه) [۵۱۷] .

خطورهٔ الشبههٔ والافتراء و تفنیدهما

أولیس فی کل هذه الروایات وغیرها کثیر والتی تطعن بعصمهٔ النبی صلی الله علیه وآله وسلم وکمال خلقه وعلمه ما فیه فتحا واسعا للطعن والسخریهٔ برسالهٔ الإسلام ونبیها؟ فأی دین هذا إذا کان نبیه ومبلغه یتصف بمثل هذه الصفات، وبه مثل ذلک الضعف أمام السحر والغرائز، بل حتی نسیانه آیات الکتاب، وغفلته ونومه عن أداء الفرائض... فلم یعد الأمر متعلقا بمجرد (خطأ) النبی بأمور الدنیا، لأن حفظ آیات الکتاب وأداء الفرائض لیست من أمور الدنیا علی حسب تصنیف من جعلوا النبی صلی الله علیه وآله وسلم معصوما بأمور الدین وتبلیغه لیس إلا!. والأدهی من ذلک کله، تصحیح عمر له فی أکثر من موقف، حتی أصبح الخلیفهٔ وکأنه أعلم وأبعد نظرا من رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم والعیاذ بالله. فکیف لنا أن نقبل بتصدیق تلک الإلهامات المزعومهٔ لشخص أفنی شبابه وغالبیهٔ عمره فی [صفحه ۲۴۶] الجاهلیهٔ یعبد الأصنام ویشرب الخمر ویأد البنات، بل هو نفسه کان یعترف بکثرهٔ أخطائه التی أرتکبها بعد إسلامه، وفی نفس الوقت نغفل عن کل تلک الآیات القرآنیهٔ الساطعهٔ بکمال رأی النبی صلی الله علیه وآله وسلم وسداده وعصمته فی أمور الدین والدنیا، وبراءته من کل نقیصهٔ وذنب مهما صغر، بل وما یقتضیه العقل السلیم بضرورهٔ کون مبلغ الرسالهٔ مثالا ورمزا فی العلم والخلق! ومن تلک الآیات قوله تعالی: (وما آتاکم الرسول فخذوه وما نهاکم عنه فانتهوا) [الحشر / ۷]، وقوله: (إنه لقول رسول کریم – وما هو بقول شاعر قلیلا ما تؤمنون – ولا بقول کاهن قلیلا ما تذکرون – تنزیل من رب العالمین) [الحاقهٔ / ۴۰ – ۴۳]، وقوله سبحانه وتعالی: (إنه لقول رسول کریم – ذی قوهٔ عند ذی العرش مکین – مطاع ثم أمین – وما صاحبکم بمجنون) [التکویر / ۱۹ – ۲۲]، وقوله تعالی: (ما ضل صاحبکم وما غوی – وما ینطق عن الهوی – إن هو إلا وحی یوحی – علمه شدید القوی) [النجم / ۲ – ۵]. فبالرغم من کل هذه الأدلهٔ القطعیهٔ علی عدم احتمال فعل النبی صلی الله علیه وآله وسلم أو تفوهه إلا بما هو حق وصواب فی جمیع شؤون الدین والدنیا، ودون أی استثناء، فإنک تجد نفس الذین یصرون علی کمال إلهامات عمر وموافقاته لله فی مواقف عدیدهٔ اختلف فیها مع النبی صلی الله علیه وآله وسلم تجدهم یقومون بتأویل بعض الآیات لأخذها ذریعهٔ فی إثبات خطأ النبی صلی الله علیه وآله وسلم وإنکار تمام عصمته، ویصرون علی هذا الرأی أیما إصرار! ومن تلک الآیات قوله تعالی: (إنا فتحنا لک فتحا مبینا – لیغفر لک الله ما تقدم من ذنبک وما تأخر ویتم نعمته علیک ویهدیک صراطا مستقیما – وینصرک الله نصرا عزیزا) [الفتح / ۱ – ۳]. ویرد السید الطباطبائی فی تفسیره (المیزان فی تفسیر القرآن) حول هذه الشبههٔ والتی تعد أکبر مستمسک بید الطاعنین بکمال عصمهٔ النبی صلی الله علیه وآله وسلم بقوله: (لیس المراد بالذنب فی هذه الآیات هو الذنب المعروف بمخالفهٔ التکلیف الشرعی، ولا المراد بالمغفرهٔ [صفحه ۲۴۷] معناها المعروف بترک العقاب علی المخالفهٔ المذکورهٔ. فالذنب فی اللغهٔ کما یستفاد من موارد استعمالاته هو العمل الذی له تبعهٔ سیئهٔ کیفما کان، والمغفرهٔ هی الستر علی الشیء... وفی الآیات، فإن المراد بالذنب التبعهٔ السیئهٔ التی کانت لدعوته صلی الله علیه وآله وسلم عند الکفار والمشرکین، وهو ذنب له علیهم کما فی قول موسی لربه: (ولهم علی ذنب فأخاف أن یقتلون) [الشعراء / ۱۴]. وما تقدم من ذنبه هو ما کان منه صلی الله علیه وآله وسلم بمکهٔ قبل الهجرهٔ، وما تأخر من ذنبه هو ما کان منه بعد الهجرهٔ، ومغفرته تعالی لذنبه هو ستره علیه بإبطال تبعتهبإذهاب شوکتهم وهدم بنیتهم) [۵۱۸] . ویقدم الشیخ جعفر السبحانی ردا آخر

لهذه الشبهة بقوله: (إن إمعان النظر فی فقرات الآیات خصوصا فی جعل غفران الذنب غایة للفتح المبین، یتضح أن المقصود بالذنب هو الاتهامات والنسب الباطلة التی کان الأعداء یلصقونها به، وأن ذلک الفتح المبین دل علی افتعالها وعدم صحتها منأساسها، ونزه صحیفة حیاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم عن تلک النسب) [۵۱۹] . [صفحه ۲۴۸]

اخطر الآثار

تفتت الأمة و انقسام إسلامها إلی فرق و مذاهب

اشاره

لم یکن ضمن تعالیم الشریعة الإلهیة حین نزولها ما یجعل من المسلمین مذاهب وفرق متعددة تخاصم وتکفر بعضها بعضا کما حصل علی مر تاریخنا الإسلامی وإلی الیوم، وإنما کان الأمر الإلهی یجمع المسلمین تحت رایة واحدة وأن یدینوا بإسلام واحد: (إن هذه أمتکم أمة واحدة وأنا ربکم فاعبدون) [الأنبیاء / ۹۲]. وکان المسلمون فی عهد النبی صلی الله علیه وآله وسلم علی دین واحد وهو التسلیم بما جاء من عقائد التوحید والنبوة والیوم الآخر وأحکام الدین الضروریة کأحکام الصلاة والصیام وغیرها، وکانوا یرجعون فیما اختلفوا فیه إلی الرسول صلی الله علیه وآله وسلم الذی کان عندهم النبی والحاکم والقاضی راضین بذلک ومسلمین، ولم یکن حینئذ لأی أحد الفرصة لمنافسته أو مجرد التفکیر بتکوین خط معارض أو بدیل. ولکن بعد وفاته صلی الله علیه وآله وسلم مباشرة، وحتی قبل أن یواری جثمانه الطاهر، بدأ النزاع علی الزعامة والحکم، والذی کان فی بدایته علی شکل بروز تحزبات وتحالفات سیاسیة کما حصل فی سقیفة الأنصار، ثم تحول إلی صراعات مسلحة وحروب دامیة أودت بحیاة عشرات الآلاف من المسلمین کما حصل فی مواقع الجمل وصفین والنهروان. وبسبب هذه المآسی، وبتشجیع من السلطات بدأت الفرق والمذاهب بالتشکل والظهور، وأخذت تنقسم وتتفرع حتی صارت مع مرور الأیام وتوالی الحکومات تعد بالمئات. وبالرغم من [صفحه ۲۴۹] انقراض الغالبیة العظمی لهذه الفرق، فإن الأمة لا زالت تدفع الثمن الغالی من جراء التنازع وسوء الظن بین ما تبقی من تلک الفرق. وفی فترات سابقة وصل التعصب بین بعض أتباع المذاهب الأربعة – علی سبیل المثال – حد التکفیر، فهذا محمد بن موسی الحنفی قاضی دمشق المتوفی سنة ۵۰۶ ه یقول: (لو کان لی من الأمر شیئا لأخذت علی الشافعیة الجزیة). وسئل أحد متعصبی الشافعیة عن حکم طعام وقعت فیه قطرة نبیذ،فقال: یرمی لکلب أو حنفی) [۵۲۰] . ویروی الشیخ محمد الغزالی فی أحد کتبه أنه عاش الزمن الذی کان یدخل المسجد تقام فیه أربع جماعات منفصلة للصلاة حسب المذاهب الأربعة. ووصل الأمر إلی مجال التراشق بوضع الأحادیث علی لسان رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم – من ذلک قول الأحناف: (سیکون فی أمتی رجل یقال له أبو حنیفة هو سراج أمتی)، ووضع الشافعیة قولا نسبوه إلی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: (عالم قریش یملأ طباق الأرض علما) یقصدون بذلک محمد بن إدریس الشافعی – فرد علیهم الأحناف بحدیث: (سیکون فی أمتی رجل یقال له محمد بنإدریس أضر علی أمتی من إبلیس) [۵۲۱] . ومن أمثلة هذا التعصب فی زماننا نکتفی بالفتوی المؤرخة فی ۱۲ / ۲ / ۱۴۱۲ ه والتی أصدرها الشیخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرین عضو مجلس الإفتاء السعودی فی تحریم أکل ذبائح الشیعة لأنهم برأیه مشرکون ومرتدون ویستحقون بذلک القتل؟!. وأمام هذا التعصب المذهبی الأعمی من جهة، وتلک النزاعات وأحیانا الحروب بین المسلمین أنفسهم والمشحونة بالأهواء والنعرات الجاهلیة من [صفحه ۲۵۰] جهة أخری، یمکننا فهم مغزی النبی المصطفی صلی الله علیه وآله وسلم من تحذیره للصحابة وعموم الأمة فی کل عصر من مغبة الوقوع فی الفتن والنزاع بعده بقوله لهم:(لا ترجعوا بعدی کفارا یضرب بعضکم رقاب بعض) [۵۲۲] . وفیما یلی نلقی نظرة فی حال أمهات الفرق الإسلامیة والتی کانت ولادتها وتشکلها من نتاج أزمة الخلافة والإمامة، وهی أربة: ۱) أهل السنة والجماعة ۲) الشیعة ۳) المعتزلة ۴) الخوارج

اهل السنة والجماعة

نشوء الفرقة و تطورها

إن المفهوم السائد فى أذهان عموم أهل السنة أن الإسلام الصحيح هو المتمثل بما هم عليه وحدهم، وأن غيرهم من الفرق الإسلامية إما ضالة ومنحرفة أو خارجة عن الملة، وقليلون من علماء أهل السنة من يعطوا الفرق الإسلامية الأخرى أهمية البحث والدراسة. ولماذا يعطوا ذلك الاهتمام ما داموا يرون أن لقب (أهل السنة والجماعة) يعنى أنهم وحدهم أتباع السنة النبوية وأبناء الفرقة الناجية؟ أما إذا أردنا أن ننظر إلى هذه المسألة بصورة موضوعية، فالاسم وحده لا يكفى لتمييز فرقة على أخرى وتفضيلها، والاقتداء بسنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو عنوان تقول به الفرق الإسلامية الأخرى كالشيعة والمعتزلة وحتى الخوارج. فكل هذه الفرق توجب التمسك بالسنة النبوية وتقديسها. فكيف إذن احتكر أهل السنة والجماعة هذا الوصف دون غيرهم من الفرق؟ [صفحه ۲۵۱] أن لقب (أهل السنة) كان ابتداء وصفا لمجموعة من العلماء المشتغلين بتدوين الأحاديث النبوية، والذين عرف منهجهم فى تحصيل العقائد والأحكام من ظواهر الروايات باسم (فرقة أهل الحديث) التى ظهرت فى عهد الأمويين. ولأن موضوع الأحاديث هو السنة النبوية فإن كلمة السنة أصبحت تستخدم أحيانا بديلا لكلمة الحديث. وكما يظهر فى رسالة لعمر بن عبد العزيز يرد فيها على القدرية قال فيها: (... وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة...، وقول عمر بن الخطاب: إنه لا عذر لأحد عند الله بعد البينة إلا بضلالة ركبها حسبها هدى...). فمن الواضح هنا أن من يشير إليهم عمر بن عبد العزيز بوصف أهل السنة هم مدونو السنة النبوية وليس أيفرقة أو طائفة وإلا لما فرق بين قول عمر بن الخطاب وقول أهل السنة [۵۲۳] . ومن المعلوم أن تدوين الأحاديث النبوية لم يبدأ إلا فى مطلع القرن الثانى الهجرى بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز، حيث كان التدوين ممنوعا فى عهود من قبله. وعندما برز الإمام أحمد بن حنبل وتصدر العمل فى تدوين العقائد والمعارف المأخوذة من تلك الأحاديث فى مطلع القرن الثالث الهجرى، أخذ يوسع استخدام لقب (أهل السنة) والذى كان مخصوصا بالعلماء مدونى السنة النبوية، ليشمل أيضا الأتباع المقلدين لمذهبه والعوام المؤيدين لمنهج أهل الحديث. وبهذا يكون أحمد بن حنبل قد احتكر اسم أهل السنة ليكون عنوانا خاصا لبعض المسلمين دون غيرهم من أهل القبلة. ويذكر أحد المحققين المعاصرين أن أحمد بن حنبل قام بذلك ليوحدآراء أهل الحديث التى كانت مختلفة ومشتتة قبله فى مجال العقائد [۵۲۴] ، ويقدم شاهدا على ذلك من كتاب تدريب الراوى للسيوطى، يكشف فيه عن وجود [صفحه ۲۵۲] الاتجاهات المتعددة والمتناقضة عندهم، وجاء إمام الحنابلة ليوحدهم ويقضى على الفاسد من آرائهم ومذاهبهم. فهم كانوا كما يصف السيوطى بينمرجئة ونواصب وشيعة وقدرية وجهمية وخوارج وواقفية وغير ذلك [۵۲۵] . وهناك رأى ثان حول أصل تسمية أهل السنة والجماعة، حيث يذكر الحاكم أنه لما أمر معاوية بلعن الإمام على عليه السلام على المنابر زعم أن ذلك سنة يثاب فاعلها، وسمى ذلك العام (عام السنة). ولما قتل على عليه السلام وأصلح الحسن عليه السلام مع معاوية، واستقر الأمر للأمويين، قام معاويةبتسمية ذلك العام (عام الجماعة) [۵۲۶] ، تمشيا على ما يبدو مع الحديث الذى وضع خصيصا لهذه المناسبة والذى يصف الفرقة الناجية: (... وواحدة فى الجنة وهى الجماعة). فأصبح كل من يعتقد بإمامة معاوية يقول نحن (أهل السنة والجماعة)، ومن الواضح أن المراد بهم ليس أتباع سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا الجماعة الناجية. ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأى ثالث فى منشأ التسمية والمذهب يقول فيه: (فلفظ أهل السنة يراد به من إثبات خلافة الخلفاء الثلاثة (يقصد أبو بكر وعمر وعثمان)، فيدخل فى ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة (يقصد الشيعة)، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول أن القرآن غير مخلوق، وأن الله يرى فى الآخرة،ويثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل والحديث) [۵۲۷] . ولا أرى تناقضا بين هذه الآراء الثلاثة حول أصل تسمية فرقة أهل السنة والجماعة ونشوئها. فالتفسيران اللذان قدمهما ابن تيمية يمكن توفيقهما مع [صفحه

۲۵۳] الرأيين الأول والثانى. فقوله أن أهل السنة تعنى من اعتقد بخلافة الخلفاء الثلاثة الأوائل ينسجم مع ما نسب إلى معاوية فى الرأى الثانى. فمعاوية لم يكن يعمل فقط على ترسيخ فكرة أفضلية الثلاثة الأوائل وإثبات أحقيتهم بالخلافة، وإنما قام بمحاربة الخليفة الرابع وعمل بكل ما أوتى من سلطات على التقليل من فضائل أهل البيت عليه السلام ورفع غيرهم من الصحابة، وتجاوز ذلك إلى حد أمره لخطباء المسلمين بسب الإمام على عليه السلام على المنابر واعتبار ذلك سنة. وأما قول ابن تيمية أن أهل السنة يراد بها أهل الحديث والسنة المحضة، فإنه ينسجم مع الرأى الأول والذى أعطى فيه لقب أهل السنة لمعتنقى العقائد والمعارف التى استخرجها ودونها رجال الحديث. وبناء على ما سبق فإن نشوء فرقة أهل السنة ينظر إليها من ناحيتين: الأولى متعلقة بالخلافة ببعدها السياسى البحت، والثانية متعلقة بالعقائد والأحكام. فأما من الناحية السياسية، فقد وقع بشأنها أول خلاف بين المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وذلك فى سقيفة بنى ساعدة عندما تنازع الإمارة المهاجرون والأنصار، وقاطع على عليه السلام ومن معه من الهاشميين وبعض الصحابة نزاعهم ومن ثم اتفاقهم لأنهم كانوا يرون أن عليا كان أحق بالخلافةممن تنازعوا عليها، وبقوا على رفضهم لمبايعة أبى بكر لستة شهور [۵۲۸] . وهكذا يمكن اعتبار أن ولادة فرقة أهل السنة كانت فى السقيفة وإن لم يظهر من معالمها المميزة آنذاك سوى الخط السياسى، حيث كان يعرف الأتباع من تأييدهم لخلافة أبى بكر وعمر وعثمان، ثم نما وترعرع هذا الخط فى عهد الأمويين بحيث كانت تظهر السلطة الحاكمة كممثل ومدافع عن خلافة الثلاثة، وناقمة بل ومقطعة لرؤوس الموالين لعلى وأهل البيت والقائلين بأفضليتهم. [صفحه ۲۵۴] وأما من ناحية العقائد والأحكام، فقد كان ظهور أهل السنة والجماعة كفرقة إسلامية لها عقائدها المميزة ومدرستها الفكرية والفقهية المستقلة والواضحة المعالم على يد جماعة أهل الحديث فى أواخر العصر الأموى، ثم تبلورت ونضجت زمن الإمام أحمد بن حنبل فى مطلع القرن الثالث الهجرى. ولكن لا ـ بد من الملاحظة هنا أن ابن حنبل ومن قبله أهل الحديث قد استندوا فيما ذهبوا إليه من عقائد وأحكام بصورة كبيرة على (اجتهادات) الخليفة عمر وآلاف الأحاديث التى رواها الصحابة معتبرين صحتها جميعا، مما يظهر تأثرهم وارتباطهم الوثيق بالخط السياسى، والذى تولد نتيجة لصراعات وتنازعات تدخلت فيها الأهواء، بل وسالت بسببها بحار من الدماء، الأمر الذى يضع كثيرا من تلك العقائد والأحكام فى محل الشك والارتياب.

انقسام الفرقة وتشعبها

كان لتوسع الدولة الإسلامية وتباعد البلدان واختلافها فى العادات والمشاكل السائدة فى بيئاتها أكبر الأثر فى ظهور حركة الاجتهاد وبألوان متعددة يمكن إجمالها بمنهجين رئيسيين فى معرفة العقائد الإسلامية واستنباط الأحكام الشرعية: أحدهما يكثر فيه الرأى والقياس (بمعنى كثرة استخدام العقل) فى المواضع التى لا تعطى فيها النصوص الشرعية الوضوح والتفصيل الكافيين لمعرفة الأحكام، وثانيهما يغلب عليه التمسك الصارم بالرواية وعدم الخروج عن حدود ألفاظ النص وظاهرها مهما كلف الأمر، ولا يأخذ بالعقل كأسلوب فى تحصيل المعارف والأحكام. وهذان المنهجان (أهل الحديث وأهل الرأى أو النقلى والعقلى) تطورا على شكل مدرستين لكل منهما علماؤها ومنظروها مما ساعد على ظهور الفرق الكلامية أو المذاهب العقائدية والمذاهب الفقهية.

الفرق الكلامية (المذاهب العقائدية)

اشاره

شهدت أواخر خلافة الإمام على عليه السلام وبداية العصر الأموى أول ظهور للفرق الكلامية (وعلم الكلام هو العلم الذى يدور حول عقيدة التوحيد بآراء [صفحه ۲۵۵] فلسفية) وذلك من جراء الحوادث التى ألمت بالأمة ابتدأ بمقتل عثمان ومعارك الجمل وصفين

وقتل المعارضين لبنى أمية وغيرها، حيث كانت تدور المجادلات فى مسائل المصير الأخروى لمرتكب الكبيرة والقضاء والقدر كالمعركة التى حصلت مثلا فى صفين، هل كانت بقضاء الله وإرادته المفروضة على الناس أم كانت بفعل الذين شاركوا فيها وبكامل اختيارهم، وما هو حكم قادتها والمسلمين الذين ذهبوا ضحيتها. وقد كانت تتشكل المذاهب العقائدية تبعا لآراء أصحابها تجاه هذه المسائل. ومن هذه الفرق التى حسبت تاريخيا من تشعبات أهل السنة ما يلى:

المرجئة

وهم الذين قالوا لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، ويرون تقديم الإيمان وإرجاء العمل. ويقولون أن المعرفة والاعتقاد القلبى كافيان للفوز بالجنة والسعادة الأخروية، حتى لو لم يصلواويصوموا [۵۲۹] وأول ما أطلق هذا الاسم على الذين اجتمعوا مع معاوية بعد مقتل الإمام على عليه السلام، وسموا المرجئة لأنهم والوا المتنازعين جميعا فى الجمل وصفين، وقالوا: أن أهل القبلة كلهم مؤمنون بإقرارهم الظاهربالإيمان، ورجوا لهم جميعا المغفرة [۵۳۰] . ويرى المؤرخون أن هذه الفرقة نشأت أساسا بإيعاز ودعم من الحكم الأموى، فحكمت بمشروعية حكمهم، وتركت الحكم فيما اقترفوه من الأحداث الجسام إلى الله تعالى، فهو الذى يحكم بين عباده بالحق يوم القيامة، والمسلم يكفى أن يكون مسلما، وليس لأحد أن يخوض فى أعمالهمأو يحكم عليهم بشئ من عنده [۵۳۱] . [صفحه ۲۵۶] ويقول الخليفة المأمون: (أن الإرجاء دين الملوك) [۵۳۲] وقد كان واضحا أن هذه الفرقة كانت فعلا أحد أجهزة السلطة الأموية آنذاك، ثم تحول فكر المرجئة كأداة للسلطات الحاكمة فى كل العصور لتبرير سياسة الحاكمين والحيلولة دون نقدها فى حالة مخالفتها لأحكام الشريعة.

المجبرة

وهم الذين قالوا أن العبد مجبر على ما هو فيه من طاعة أو معصية، ويسمون أيضا بالقدرية لقولهم أن كل حادث حسنا كان أو قبيحا هو بقضاء الله وقدره. وهم الذين وقفوا مع معاوية فى حربه ضد الإمام على عليه السلام، وقالواأن كل ما حصل بينهما كان بقضاء الله وقدره ولا ذنب لهما فيه [۵۳۳] . وهذا معاوية نفسه يقول فى إحدى خطبه: (أن الله يقول: (وإن من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم) [الحجر / ۲] فلم نلام نحن؟ فقام إليه الأحنف فقال: إنا لا نلومك على ما فى خزائن الله، ولكن نلومك على ماأنزل الله علينا من خزائنه فأغلقت بابك دونه يا معاوية) [۵۳۴] وأما الحجاج، فقد قال بعد أن قتل رجلا لإظهاره حب الإمام على عليه السلام: اللهم أنت قتلتهولو شئت لمنعتنى منه [۵۳۵] . وهكذا فإن بنى أمية - كما يذكر المؤرخون - كانوا يركزون على مسألة الجبر لتبرير سلوكهم ومظالمهم ضد المسلمين ليكونوا معذورين، فقتلوا معبد الجهنى (على يد الحجاج سنة ۸۰ هجرية)، وغيلان الدمشقى (على يدهشام بن عبد الملك سنة ۱۰۶ هجرية) لقولهما بحرية الإرادة [۵۳۶] . [صفحه ۲۵۷] وقد انقسمت الجبرية إلى قسمين: متوسطة وهى التى تثبت للعبد كسبا فى الفعل كالأشعرية، وخالصة لا تثبت للعبد أى فعل كالجهمية والنجاريةوالضرارية، وبهذا يلزمهم نفى التكليف الذى أوجبه الشرع [۵۳۷] .

اهل الحديث

وتشكلت هذه الفرقة أساسا من الذين عملوا على جمع الأحاديث تدوينها فى القرن الثانى الهجرى، وبنوا عقائدهم وأحكامهم بالاعتماد الكلى على ظواهر الآيات والروايات التى رواها الصحابة والتابعون الأوائل عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويحرمون تأويلها، فكثر فيهم من يقولون بأن الله جسم ينتقل ويحرك أعضاءه كاليد والرجل والوجه. وهم يحرمون المناظرات الكلامية أو المناقشات الفلسفية المتعلقة مثلا بالقضاء والقدر أو التطرق بالحديث عن خلافات الصحابة ومواقع كالجمل وصفين وكربلاء. وهم

بـذلک عملوا علی إعدام العقل فی مجال التعامل مع الأحادیث والعقائد المأخوذة منها، أو أی قضـیة حصل حولها الجدال. وقد کانت فرقـة أهـل الحـدیث تمثل الغالبیـة العظمی لأهل السـنة زمن الأمویین وبدایـة العصـر العباسـی، وکانت علی أقسام حسب درجـة تعامل أصـحابها مـع الأحـادیث لاـ سـیما فیمـا یتعلق بتحقیق الأسانیـد والرواة، فکـان منهم ممن عرفوا بلقب (الحشویـة) لأـنهم کـانوا یحشون الروایـات التی لاـ أصـل لهـا ویقبلونهـا علی علاتهـا دون أی تحقیق. وکـان الإمام أحمـد بن حنبل (۱۶۰ - ۲۴۱ هجریة) أشـهر رجال الحـدیث المحققین حیث عمـل علی تنظیم الأحـادیث المرویـة وتوحیـد العقائـد (السـنیة)،والتی یمکن إجمال أهمها فی النقاط التالیة حسب مـا جاء فی رسالـة له [۵۳۸] . [صـفحه ۲۵۸] فی صـفات الله جـل وعلا: الله تعالی سـمیع وبصـیر وجواد وحلیم وحفیظ ویقظان وقریب ویتکلم ویسـمع وینظر ویبصـر ویضـحک ویفرح ویحب ویکره ویبغض ویرضی ویغضب ویسخط ویرحم ویعفو ویعطی ویمنع وینزل إلی السـماء الدنیا کیف یشاء، وقلوب العباد بین إصبعین من أصابع الرب عز وجل یقلبهما کیف یشاء ویوعیها ما أراد. وخلق الله عز وجـل آدم بیـده، والسـماوات والأـرض یـوم القیامـة فی کفه، ویخرج قومـا من النـار بیـده. فی الاسـتواء علی العرش: خلق الله سـبع سماوات، وسبع أراضین، والماء فوق السماء السابعة وعرش الرحمن تبارک وتعالی فوق الماء، والله عز وجل علی العرش. فی رؤیة الله جل وعلا: ینظر أهل الجنـة إلی وجهه، ویرونه فیکرمهم ویتجلی لهم فیعطیهم، ویعرض علیه العباد یوم الفصل والدین، ویتولی حسابهم بنفسه، لاـ یولی ذلـک غیره. فی القرآن الکریم: هو کلام الله، لیس بمخلوق، فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمی کافر. فی القضاء والقـدر: الله عز وجـل قضـی قضـاءه علی عبـاده، لاـ یجـاوزون قضـاءه، بل کلهم صائرون إلی ما خلقهم له، واقعون فیما قـدر علیهم لا محالـة، وهو عـدل منه عز وجـل. ومن زعم أن الله عز وجـل شـاء لعبـاده الـذین عصوا الخیر والطاعـة، وأن العباد شاؤوا لأنفسـهم الشـر والمعصـیة فقد زعم أن مشـیئة العباد أغلب من مشیئة الله عز وجل. فأی افتراء علی الله أکبر من هذا؟ ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأکل المال الحرام لیس بقضاء الله، فقد زعم أن هذا الإنسان قادر علی أن یأکل رزق غیره. ومن زعم أن قتل النفس لیس بقدر الله عز وجل، فقـد زعم أن المقتول مات بغیر أجله. فی الخلافـة: الخلافـة فی قریش ما بقی من الناس اثنان، لیس لأحد من الناس أن ینازعهم فیهـا، ولا یخرج علیهم ولا تقر بغیرهم إلی قیام الساعـة. [صـفحه ۲۵۹] فی الصـحابة وما شـجر بینهم: ومن السنة ذکر محاسن أصحاب رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم کلهم أجمعین، والکف عن الذی شـجر بینهم، فمن سب أصـحاب رسول الله صـلی الله علیه وآله وسـلم أو واحدا منهم، فهو مبتدع رافضـی، حبهم سـنة والدعاء لهم قربة، والاقتداء بهم وسـیلة، والأخذ بآثارهم فضیلة، وخیر هذه الأمة بعد نبیها صـلی الله علیه وآله وسـلم أبو بکر ثم عمر ثم عثمان ثم علی رضوان الله علیهم، خلفاء راشدون مهدیون. ثم أصـحاب محمد صلی الله علیه وآله وسـلم بعد هؤلاء الأربعة، لا یجوز لأحد أن یذکر شـیئا من مساویهم ولا یطعن علی أحد منهم، فمن فعل ذلک فقد وجب علی السـلطان تأدیبه وعقوبته، لیس له أن یعفو عنه، بل یعاقبه ثم یستتبه فإن تاب قبل منه، وإن لم یتب أعاد علیه العقوبة، وجلده فی المجلس حتی یتوب ویراجع. فی الفرق والمـذاهب الأـخری: الکف عن أهل القبلـة، ولا نکفر أحـدا منهم بـذنب ولا نخرجهم عن الإسـلام بعمل إلا أن یکون فی ذلک حدیث فیروی کما جاء. وبقیت هذه العقائد علی مر العصور ولیومنا هذا ممثلة لعقائد أهل السـنة والجماعة ولکن بإضافة بعض (التعدیلات والإصلاحات) التی أدخلها الأشاعرة والسلفیة فیما بعد.

الاشاعرة

ومؤسـس هـذه الفرقـة هو أبو الحسن علی بن إسـماعیل الأشـعری (۲۶۰ - ۳۲۴ هجریـة) الذی ینحدر من نسل الصـحابی أبی موسـی الأشـعری أحد الحکمین یوم صـفین. وقد کان تلمیذا عند أحد مشاهیر المعتزلة وهو الشـیخ أبو علی الجبانی قبل انشقاقه عنهم وإعلانه براءته من الاعتزال، وذلک بمقولته الشهیرة فی المسجد الجامع بالبصرة یوم جمعة حیث نادی أمام الناس بأعلی صوته: (من عرفنی فقد عرفنی، ومن لم یعرفنی فأنا أعرفه نفسـی، أنا فلان بن فلان، کنت قلت بخلق القرآن، وأن الله لا یری بالأبصار وأن أفعالالشر أنا أفعلها، وأنا تائب مقلع، معتقد للرد علی المعتزلة) [۵۳۹] . [صفحه ۲۶۰] ثم أعلن الأشعری اعتناقه لعقائد أهل الحدیث کمبدء جدید له حیث

قال: (قولنا الذى نقول به، وديانتنا التى ندين بها: التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وما روى عن الصحابة والتابعين وأئمة أهل الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن حنبل قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذى أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به المبتدعينوزيغ الزائغين، وشك الشاكين) [۵۴۰] . وقد أصبح للأشعرى أتباع عندما أدخل على معتقدات فرقة أهل الحديث تعديلات وإصلاحات بإضافة العنصر العقلى فى البرهان والإثبات، ذلك أن أهل الحديث كانوا يحرمون الخوض فى العقائد الإسلامية عن طريق تقديم الأدلة العقلية والبراهين الفلسفية، ويكتفون بالمعانى الظاهرية للنصوص حتى لو خالفت المنطق والعقل، وهم بذلك على عكس المنهج الاعتزالى الذى يعطى العقل الوزن الأكبر فى إثبات العقائد، وتأويل الآيات والروايات فى حال مخالفة معانيها الظاهرية للمنطق العقلى. وقد لاقت إصلاحات الأشعرى قبول عامة الناس والسلطة الحاكمة حتى أصبح مذهب الأشاعرة المذهب الرسمى للدولة العباسية وطغى على المذاهب الاعتقادية الأخرى. ومن أمثلة هذه الإصلاحات تنزيه الله سبحانه وتعالى عن كونه جسما بالصورة التى يعتقدها أهل الحديث، فبالرغم من أن الأشعرى لم يؤول الآيات والأحاديث التى يقول ظاهرها بأن لله يدا ورجلا واستواء على العرش، إلا أنه أضاف كلمة خاصة أخرجته من مغبة التجسيم والتشبيه وهى أن لله سبحانه هذه الصفات لكن بلا تشبيه ولا تكييف، وقال: النزول صفة من صفاته، [صفحه ۲۶۱] والاستواء صفة من صفاته، وفعل من أفعاله فى العرش يسمى الاستواء [۵۴۱] . وبشأن رؤية الله قال: يرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف [۵۴۲] . ومن إصلاحاته فى فهم القضاء والقدر، فإنه لما كان قول أهل الحديث بأن الله سبحانه وتعالى هو الخالق لأفعال العباد خيرها وشرها يعنى أن الإنسان مجبور فى أفعاله ولا معنى عندئذ للحساب والعقاب، فإن الأشعرى حاول أن يعالجه بالقول أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق للفعل، ولكن العبد هو الكاسب له. ويقصد بذلك أن كل فعل صادر من الإنسان يشتمل على جهتين: جهة الخلق وجهة الكسب، فالخلق والإيجاد منه سبحانه وتعالى، والاكتساب من الإنسان. وفى الحقيقة أن هذا التلاعب بالألفاظ لم يصلح من الأمر شيئا، وقد عد الأشعرى من القائلين بالجبر أيضا لاعترافه بأن الله هو خالق فعل العبد خيره وشره، حيث أن (الكسب) الذى قال فيه لن يغير فى شئ أصبح مخلوقا. وبالرغم من أن الإمام الأشعرى تبنى إلى حد كبير عقائد أهل الحديث وكان مناصرا لهم، إلا أنه لقى منهم، لا سيما الحنابلة التحامل عليه، وعلى أتباعه من بعده التنكيل والنفى والقتل لأنه اتبع أسلوب الوسط بين المعتزلة وأهل الحديث، واتهموه بالتأثر بمذهب الاعتزال لمجرد محاولته إقحام العقلفى مسائل العقيدة [۵۴۳] . ولما جاء دور الخليفة العباسى القادر سنة ۵۰۸ هجرية [۵۴۴] ، تدخل رسميا لإنهاء النزاع كله، وجمع أهل الحديث وأنصارهم من الأشاعرة لوضع كتاب خاص للعقائد. وانتشر منذ ذلك الحين مذهب الأشاعرة بشكل واسع بين جمهور أهل السنة وأصبح التقليد فى العقائد مرفوضا من قبل السلطة. [صفحه ۲۶۲] وقد انشقت عن الأشاعرة فرقة الماتريدية وهى نسبة إلى أبى منصور الماتريدى السمرقندى المتوفى سنة ۳۲۲ هجرية، وكان أحد تلامذة الإمام أبو الحسن الأشعرى. ولم تختلف مع الأشاعرة إلا باختلافات طفيفة كان فيها ميلا نحو المعتزلة. وقد انقرضت هذه الفرقة مع الأيام.

السلفية والوهابية

فأما السلفية فهى حركة ظهرت فى أواخر القرن السابع الهجرى على يد أحمد بن تيمية كرد فعل على الإصلاحات العقلية التى أدخلها الإمام الأشعرى على عقائد أهل الحديث، واعتبر ابن تيمية، والذى كان من فقهاء الحنابلة أن تلك الإصلاحات خروجا عن السنة، فعمل على إحياء عقائد أهل الحديث مستنكرا التأويلات التى قدمها الأشاعرة للأحاديث التى أخذت منها تلك العقائد. وأطلق ابن تيمية على طريقته عنوان (منهاج السلف الصالح)، فعرفت دعوته بالسلفية لأنه كان يدعو إلى العودة إلى سيرة السلف الصالح والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والتى – على رأيه – حاد عنها الأشاعرة والفرق الأخرى، ولم يقف عند هذا الحد، بل عمل على إظهار عقائد جديدة لم يناد بها ابن حنبل ولا أحد قبله، كقوله بأن السفر لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وآله

وسلم والاحتفال بمولده الشريف والتبرك بآثاره والتوسل به وبأهل بيته وزيارة القبور بدعا وشركا ومخالفة لعقيدة التوحيد، وأنكر كثيرا من الفضائل الواردة فى أهل البيت عليه السلام المروية فى الصحاح والمسانيد. وبسبب هذه التعديلات والإضافات، فقد عد ابن تيمية عند أتباعه مجددا عظيما ولقبوه بشيخ الإسلام. ولكن دعوته على مستوى الأمة لم تلاق القبول وبقيت محصورة فى مناطق محدودة من الشام ومصر، وقد تصدى للرد عليه فقهاء ومحققو أهل السنة والفرق الأخرى، وسجن فى مصر لسنة ونصف لإدانته بالتجسيم والتشبيه، ثم سجن ثانية فى دمشق حيث أدركته المنية هناك عام ۷۲۸ هجرية. وما لبثت دعوته أن خبت وضعفت بعد حقبة قصيرة من الزمن. [صفحه ۲۶۳] وأما الوهابية، فهى حركة ظهرت فى القرن الثانى عشر الهجرى على يد محمد بن عبد الوهاب (۱۱۱۵ - ۱۲۰۶ هجرية)، وعملت على إحياء ونشر الفكر السلفى لابن تيمية وتلميذه ابن القيم الجوزية فى الجزيرة العربية، والذى تسرب لاحقا إلى بلاد إسلامية أخرى. وكان ابن عبد الوهاب أكثر حدة وتعصبا من ابن تيمية، حيث قام بتكفير عامة المسلمين ممن ليسوا على طريقته، بدعوى الشرك وعدم إخلاص التوحيد لله، ودعا إلى إزالة ما يرونه بدعا بقوة السيف. ومن ذلك تهديمهم لآثار أهل البيت النبوى فى مكة والمدينة. وقامت قبيلة آل سعود باستغلال هذا الفكر المتطرف فأعلنوا اعتناقهم لمذهب السلفية، وشكلوا تحالفا مع حركة ابن عبد الوهاب مما ساعدهم على احتلال معظم أجزاء الجزيرة العربية، والتى أنشأوا فيها لاحقا وبالتعاون مع بريطانيا ما يعرف اليوم باسم المملكة العربية السعودية. وبعد أن كانت هذه الحركة محصورة فى بدايتها ضمن نطاق الجزيرة العربية، إلا أنها أصبحت اليوم وبفضل إمكانيات الدولة السعودية تتمتع بامتدادات واسعة فى مناطق عديدة من العالم الإسلامى. وبالرغم من أن الوهابيين يطرحون حركتهم كحركة إصلاحية، إلا أن علماء المسلمين من أهل السنة قبل غيرهم قد تصدوا للرد على ابن عبد الوهاب وتفنيد عقائده وأفكاره ومن ضمنهم أخيه سليمان بن عبد الوهاب فى كتابه (الصواعق الإلهية). وفيما يلى نذكر عينات من أفكار شيخ الإسلام ابن تيمية وأقواله التى تعد الركن الأساس فى فهم العقائد الإسلامية وطرحها على الطريقة السلفية والوهابية: ففى مجموعة رسائله (الحموية) فى العقيدة يقول ابن تيمية: أن جميع النصوص تدل على أن الله فوق العرش فى أعلى السماء، وأنه يمكن الإشارة إلى جهته بالأصابع، وأنه يرى يوم القيامة، وأن الله يضحك، وإذا أنكر أحد [صفحه ۲۶۴] وجود الله على العرش فى أعالى السماوات وجب حمله على التوبة، وإذا لم يتب وجب ضرب عنقه، ويقول أيضا: أن التأويلات التى وردت بهذا الشأن مثل تأويل الآية (الرحمن على العرش استوى) [طه / ۵] بمعنى استولى، هو تأويل باطل. وبالرغم أن ابن تيمية طعن بمن يقولون بالتجسيم صراحة، وضعف الأحاديث التى يستندون عليها، إلا أنه يؤكد أن لله جوارح كاليد والعينوالوجه والأصابع والرجل ولكن ليس كجوارح المخلوقات [۵۴۵] . وأما فيما يتعلق بمواقفه من أهل البيت عليه السلام وأعدائهم الأمويين، فإنه يقول فى ذكره لحروب الإمام على عليه السلام: (وعلى (رض) لم يكن قتاله يوم الجمل وصفين بأمر من النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإنما كان رأيا له، وهو الذى ابتدأ أهل صفين بالقتال، وعلى إنما قاتل الناس على طاعته، لا على طاعة الله). ويضيف قائلا: (فمن قدح فى معاوية بأنه كان باغيا، قال له النواصب: وعلى أيضا كان باغيا ظالما قاتل المسلمين على إمارته وصال عليهم. فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو فى الأرض والفساد، وهذا حال فرعون، وليس هذا كقتال أبى بكر الصديق للمرتدين ومانعى الزكاة، فالصديق إنما قاتلهم على طاعة الله ورسوله، لا على طاعته، فإن الزكاة فرض فقاتلهم عليالإقرار بها، بخلاف من قاتل ليطاع هو) [۵۴۶] . وأما فى معاوية ابن أبى سفيان، فإنه يقول: (فلم يكن ملك من ملوك المسلمين خير من معاوية، ولا كان الناس فى زمان ملك من الملوك خيرا منهم فى زمن معاوية)، ثم ذكر روايتين الأولى تصف معاوية أنه فقيه، والثانية على لسان أبى الدرداء بقوله: ما رأيت أحدا أشبه صلاة بصلاة رسولالله صلى الله عليه وآله وسلم من إمامكم هذا، يعنى معاوية [۵۴۷] . [صفحه ۲۶۵] وهكذا فقد عرف ابن تيمية بدفاعه الصريح عن أعداء أهل البيت صلى الله عليه وآله وسلم وبكل ما أوتى من قدرة على الجدال والالتفاف حول الكلمات والعبارات، ومختلقا لهم الأعذار ومبررا عداءهم لأهل البيت عليه السلام. ومن ذلك دفاعه عن يزيد بقوله: وما يدريك لعله تاب قبل موته. وقد صنف كتابا أسماه (فضائل معاوية وأنه لا يسب).

المذاهب الفقهية السنية

اشاره

ظهر فی تاریخ أهل السنة مذاهب فقهية عديدة انقرض غالبيتها، ولم يبق منها إلا أربعة وأما المذاهب المنقرضة، فهذه لمحة عن أشهر أصحابها:

المذاهب المنقرضة

۱ - الليث بن سعد (۹۲ - ۱۷۵ هجرية): وهو فقيه مصر، وقد برز هناك عندما تصدى للدفاع عن عثمان بن عفان لكثرة انتقاص أهل مصر له. وقال فيه الشافعی: الليث أفقه من مالك. ويقال أن سبب انقراض مذهبه هو عدم قبوله منصب القضاء فی خلافة أبی جعفر المنصور العباسی. ۲ - داوود بن علی الظاهری (۲۰۲ - ۲۷۰ هجرية): ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد واستمر العمر بمذهبه حتی القرن السابع الهجری حتی أن بعضهم عدهرابع الأئمة بدلا من الإمام أحمد بن حنبل [۵۴۸] . ۳ - عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعی (المتوفی سنة ۲۵۷ هجرية): وقد انتشر هذا المذهب فی الشام والأندلس، وبقی هناك لغاية ۳۰۲ هجرية قبل أن يحل مكانه مذهب الإمام الشافعی. ۴ - سفيان الثوری (۶۵ - ۱۶۱ هجرية): ولد فی الكوفة، وكان أحد تلامذة الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وهو أحد الأئمة المجتهدين، وله مذهب لم يدم العمل به لقلة أتباعه، وأراد الخليفة أبو جعفر المنصور قتله، فهرب. وبقی مذهبه معمولا به لغاية القرن الرابع. وقد لقب بأمير المؤمنين [صفحه ۲۶۶] فی الحديث وسيد الحفاظ، وقال ابن المبارك: كتبت عن ألف شيخ كانسفيان الثوری أفضلهم. وقال القطان: الثوری أحب إلی من مالك [۵۴۹] . ۵ - الحسن البصری (المتوفی سنة ۱۱۰ هجرية): وهو من التابعين وكان أبوه مولی لزيد بن ثابت الأنصاری، وأمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبی صلی الله عليه وآله وسلم. عرف عنه أنه كان من المتظاهرين بتأييد سياسة بنی أمية فی الوقت الذی كان فی حقيقة الأمر مواليا لأهل البيت عليه السلام، وكان يروی فی مجلسه المشهور عن علی بن أبی طالب عليه السلام. وكان هذا نادرا فی عصر كان فيه لعن الإمام علی عليه السلام سنة حسب التشريع الأموی. ۶ - عامر بن شرحبيل الشعبی (المتوفی سنة ۱۰۵ هجرية): كان قاضيا لعمر بن عبد العزيز ومحدث أهل الكوفة، وكان يفتی علی ما صح عنده من الرواية، ولا يقول برأيه. وكان هناك من المذاهب الفقهية غير هؤلاء حتی أنها عدت ۵۰ مذهبا لميعد لأی منها وجود [۵۵۰] وكان السبب الرئيسی لانقراضها هو الأمر الرسمی الذی أصدره الخليفة العباسی المنتصر بالله فی القرن السادس الهجری بإغلاقباب الاجتهاد وحصر التقليد فی المذاهب الفقهية الأربعة [۵۵۱] ، الأمر الذی لا يزال كذلك إلی يومنا هذا فيما بقی باب الاجتهاد مفتوحا لدی الشيعة.

المذاهب الأربعة

۱) المذهب الحنفی: وصاحب الإمام أبو حنيفة النعمان (۸۰ - ۱۵۰ هجرية)، ولد فی الكوفة وتوفی فی بغداد وأصله فارسی. وكان يعتبر فقيه العراقوصاحب المذهب المتبع فی أكثر البلدان الإسلامية، ولقب بالإمام الأعظم [۵۵۲] . [صفحه ۲۶۷] وكان الإمام أبو حنيفة يستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صح عنده من الحديث مع توسع فی استعمال الرأی والقياس. وقد تلقی الدرس لمدة سنتين عند الإمام جعفر الصادق حيث اشتهر عنه قوله فی مدح الإمام: (لولا السنتان لهلك النعمان). وكان أقوی عوامل انتشار مذهبه هو استلام تلميذه أبو يوسف لمنصب رئاسة القضاء فی حكومة هارون الرشيد والذی كان مقربا جدا من الخليفة. ومن أشهر رجال الخليفة محمد الشيبانی وزفر بن الهذيل والحسن اللؤلؤی. وقد ألف الشيبانی عدة كتب فقهية لها درجة الاعتبار الأكبر عند الحنفية، وله آراء كثيرة خالف فيها الإمام أبو حنيفة. وفی العصور اللاحقة، تبنت الدولة العثمانية المذهب الحنفی ودعمته بكل قوة حتی صار مذهبها

الرسمی، وساعدت علی انتشاره وذلک بسبب عدم اشتراط الحنفیة فی الخلیفة أن یکون قرشیا. ۲) المذهب المالکی: وصاحبه الإمام مالک بن أنس (۳۹ - ۱۷۹ هجریة) المولود فی المدینة وهو یمنی الأصل. وقد تلقی العلم عن الشیخ ربیعة الرأی والإمام جعفر الصادق علیه السلام. وکان یستنبط الأحکام بصورة رئیسة وموسعة علی القرآن والسنة، ولم یکن للرأی والقیاس عنده بالمکانة نفسها التی کانت عند الحنفیة، وله کتاب (الموطأ) أورد فیه الکثیر من الأحادیث النبویة. وقد حاول الخلفاء العباسیون الذین سبقوا الرشید تبنی مذهب مالک والعمل علی نشره، حتی أن المنصور طلب من مالک نشر مذهبه بالقوة للحیلولة دون انتشار مذهب الإمام الصادق والذی بلغت مدرسته الفقهیة آنذاک أوجها، إلا أن مالک رفض طلب الخلیفة ثم حاول الرشید فعل ذلک مجددا خلال سنوات حکمه الأولی حین کان یعلن: (لا یفتی إلا مالک). وکان انتشار مذهبه علی أیدی القضاة والأمراء فی الأندلس وشمال إفریقیا حیث حل مذهبی الأوزاعی والظاهری اللذین کانا سائدین هناک. ولا زال المذهب المالکی المذهب الرئیسی فی بلاد المغرب العربی. [صفحه ۲۶۸] وأهم دعاة المذهب هم: القاضی أبو بکر العربی وابن عبد البر القرطبیوالقاضی عیاض السبتی وأبو الولید الباجی وابن القطان الفاسی [۵۵۳] . ۳) المذهب الشافعی: وصاحبه محمد بن إدریس الشافعی (۱۵۰ - ۲۰۴ هجریة) المولود فی غزة، وقد انتشر مذهبه أولا فی مصر ثم صار له أتباع فی العراق وخراسان وشمال إفریقیا والأندلس. وهو یتمیز من بین المذاهب الأربعة بتنظیمه علی أصول موضوعة وقواعد ثابتة ومضبوطة ضبطا دقیقا،والمذهب بجملته وسط بین أهل الرأی وأهل الحدیث [۵۵۴] وقد کان للدولة الأیوبیة فی مصر بقیادة صلاح الدین العامل الأقوی فی نشر مذهبه هناک حیث منع تدریس المذهب الشیعی فی الجامع الأزهر الذی أسسه الفاطمیون، واستبدل بتدریس مذاهب الشافعی وأبی حنیفة ومالک،وبنی لهم المدارس ورغب الناس فیها [۵۵۵] . ومن أشهر رجال الشافعیة أبو حامد الغزالی وأبو بکر أحمد بن الحسین والبیهقی. ۴) المذهب الحنبلی: وصاحبه الإمام أحمد بن حنبل (۱۶۴ - ۲۴۱ هجریة) المولود فی بغداد، وهو آخر المذاهب الأربعة وأقلها أتباعا. وقد کان ابن حنبل فی رأی العلماء القدماء - کابن جریر وابن قتیبة والمقدسی وابن عبدالبر - من رجال الحدیث لا من الفقهاء [۵۵۶] وقال فیه ابن خلدون: فأما أحمد بن حنبل فمقلدوه قلیلون لبعد مذهبه عن الاجتهاد وأصالته فی معاضدةالروایة بعضها ببعض [۵۵۷] وما یشهد علی ذلک أنه لم یکتب أی کتاب فی الفقه، وإنما اشتهر بکتابه المعروف بمسند أحمد والذی یحوی علی أربعین [صفحه ۲۶۹] ألف حدیث. وله أیضا کتب أخری کطاعة الرسول، الناسخ والمنسوخ، والعلل. وقد کاد هذا المذهب - لقلة أتباعه - أن یضمحل بالتدریج لولا تولی عبد الله الحجازی القضاء عام ۷۳۸ هجریة. ومن أشهر رجال الحنابلة الذین قاموا بنشر المذهب ابن تیمیة وتلمیذه ابن القیم الجوزیة. وفی العصور المتأخرة محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة الوهابیة الذی قام بنشر المذهب الحنبلی فی نجد.

الشیعة

نشوء التشیع

یری علماء أن فکرة الولاء لأهل البیت علیه السلام، واستخلاف النبی صلی الله علیه وآله وسلم لعلی علیه السلام إنما هی من جوهر العقیدة الإسلامیة قام بوضع بذرتها الأولی رسول الإسلام صلی الله علیه وآله وسلم، وإنه عمل علی تعزیز هذه الفکرة بأکثر من موقف حتی أعلنها رسمیا بعد حجة الوداع فی مکان یدعی غدیر خم وبصورة واضحة وصریحة لا تحتمل أی معنی آخر. ویقدمون لذلک أدلة من القرآن الکریم وکتب صحاح الحدیث عند أهل السنة، ویرون أیضا أن النبی صلی الله علیه وآله وسلم هو أول من أعطی اسم شیعة لقبا لأتباع علی علیه السلام والموالین لأهل البیت وذلک عندما قال مشیرا إلی علی بشأن الآیة (أولئک هم خیر البریة) [البینة / ۷]: (والذی نفسی بیده أنهذا وشیعته هم الفائزون یوم القیامة) [۵۵۸] ولکن ابن حجر قال فی تعلیقه علی هذه الروایة التی ذکرها فی

كتابه دون أن يشكك فى صحتها: (وشيعته هم أهل السنة ولا تتوهم الشيعة قبحهم الله... إلى آخر ماقال [۵۵۹] . [صفحه ۲۷۰] ويرى البعض الباحثين أن التشيع كتكتل وخط واضح قد بدأ فى اليوم الأول من وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عندما ظهر اسم على عليه السلام كمرشح للخلافة وكأحق شخص بها، حيث قام الفضل بن العباس فخطب فى الناس المجتمعين فى السقيفة قائلا: يا معشر قريش إنه ما حقت لكم الخلافةبالتمويه، ونحن أهلها دونكم وصاحبنا (يعنى على) أولى بها منكم [۵۶۰] . ويرى آخرون أن أول تشيع حول على وأهل بيته عليه السلام كان عندما اجتمع عدد بارز من الصحابة فى بيت على وفاطمة بنت النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوم انعقادالسقيفة [۵۶۱] ويحدثنا اليعقوبى عن ذلك بقوله: (وتخلف عن بيعة أبى بكر قوم من المهاجرين والأنصار ومالوا مع على ومنهم العباس والفضل بن العباس والزبير وخالد بن سعيد والمقداد وسلمان وأبو ذر وعمار والبراء وأبى بنكعب) [۵۶۲] ويقول أحمد أمين: (وكانت البذرة الأولى للشيعة الجماعة الذين رأوا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن أهل بيته أولى الناس أنيخلفوه) [۵۶۳] . ولكن هناك باحثون آخرون يرون أن التشيع كان وليد الأحداث التى حصلت زمن الخليفة عثمان بن عفان، وآخرون يرون ذلك زمن استلام الإمام على عليه السلام للخلافة والأحداث التى تلت لا سيما معارك الجمل وصفين والنهروان. ويعزى آخرون التشيع إلى الأحداث التى تمخضت عنها مأساة كربلاء. وما يلفت الانتباه أن بعضهم ذهب إلى نسب التشيع إلى جذور يهودية من خلال رجل يهودى يدعى عبد الله بن سبأ الذى تظاهر بدخول الإسلام زمن خلافة عثمان، ثم تنقل بين البلدان الإسلامية يبث بينهم أفكارا [صفحه ۲۷۱] ضالة يدور محورها حول الوصاية لعلى بن أبى طالب بالخلافة [۵۶۴] ، وهناك من المستشرقين من ينسب التشيع إلى جذور فارسية [۵۶۵] .

الانحراف عن الخط الشيعى

إن الشيعة لا يرون أن كل من وإلى الإمام على عليه السلام وفضله على غيره من الضرورى أن يكون من الشيعة أو حتى من المسلمين، فقد انتسبت إلى التشيع فرق ضالة كثيرة عدها كتاب الفرق من فرق الشيعة كالمغيرية والخطابية والبزيغية والعلباوية والمخمسة وغيرها من فرق الغلاة والمفوضة، غير أن أئمة أهل البيت عليه السلام برؤوا منهم ولعنوهم وأفتوا بكفرهم وخروجهم عن الإسلام وقد اندثر أكثر هذه الفرق مع الأيام فى حين استمر خط التشيع بنقائه وأصالته المعهودة يكافح كفاحا علميا ضد انحراف تلك الفرق وغيرها منالفرق الضالة التى ولدت فى البيئة الإسلامية [۵۶۶] . وسنعرف فى ما يأتى بهذا الخط الذى سمعى بمذهب الإمامية الاثنى عشرية لاعتقاده بإمامة اثنى عشر إماما من سادة أهل البيت عليه السلام، وسمى كذلك بالمذهب الجعفرى نسبة إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق سادس أئمة أهل البيت عليه السلام، لما أظهر من العلم والفقه، كما نسبت المذاهب الفقهية إليأصحابها، كالمذهب الحنفى والمالكى والشافعى والحنبلى والزيدى... الخ [۵۶۷] .

الامامية الاثنى عشرية

وهم الشيعة القائلون بإمامة الأئمة الاثنى عشر، وهم: على والحسن والحسين، وعلى بن الحسين (زين العابدين)، ومحمد بن على (الباقر)، وجعفر بن محمد (الصادق)، وموسى بن جعفر (الكاظم)، وعلى بن موسى [صفحه ۲۷۲] (الرضا)، ومحمد بن على (الجواد)، وعلى بن محمد (الهادى)، والحسن بن على (العسكرى)، ومحمد بن الحسن (المهدى المنتظر) عليهم السلام. وعندما تذكر كلمة الشيعة مجردة، فإنما يقصد بها هذه الفرقة الإمامية الاثنى عشرية والتى يمثل أتباعها الغالبية العظمى للشيعة فى أيامنا، ويقيمون كأغلبية ساحقة فى كل من إيران والبحرين وآذربيجان، ويشكلون ثلثى سكان العراق وأكثر من نصف مسلمى لبنان، وما يقارب ثلث السكان

فى السعودية والكويت والباكستان، وما لا يقل عن ربع مسلمى الهند بالإضافة إلى أقليات متوزعة فى مختلف ربوع العالم الإسلامى.

اصول العقائد عند الإمامية الاثنى عشرية

وتسمى عندهم بأصول الدين وهى خمسة: ١ - التوحيد: وهو الاعتقاد بوحدانيته فى الألوهية، وعدم اتخاذ شريك له فى الربوبية واليقين بأنه المستقل بالخلق والرزق والموت والحياة. فمن اعتقد أن شيئا من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة بيد غير الله تعالى فهو كافر ومشرك، وكذا يجب إخرص الطاعة والعبادة لله. وأما طاعة الأنبياء والأئمة والتبرك والتوسل إلى الله بمنزلتهم وكرامتهم عنده فهو جائز وليس من العبادة فى شئ. ومن مقتضيات التوحيد الإيمان باستحالة رؤيته جل وعلا حسيا فى الدنيا أو فى الآخرة، وتنزيهه سبحانه وتعالى عن التجسيم والتشبيه. فالصفات الواردة فى الكتاب والسنة كالوجه والأيدى والاستواء وأمثالها تؤول ولا تؤخذ على ظاهرها. فمثلا الآية: (بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء) [المائدة / ۶۴] تؤول على أن الله سبحانه وتعالى كريم قادر على البذل وبرئ من البخل. ٢ - النبوة: بمعنى أن جميع الأنبياء رسل من الله سبحانه وتعالى بعثوا لدعوة الخلق الحق، وأن محمدا صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء وسيد المرسلين [صفحه ۲۷۳] وأفضل الخلق أجمعين، وأنه معصوم من الخطأ فى أمور الدين والدنيا، وأنه لم يرتكب معصية طيلة عمره الشريف قبل البعثة وبعدها، ومن اعتقد النبوة أو نزول كتاب لأحد بعده فهو كافر مرتد. ومن مقتضيات النبوة الإيمان بأن القرآن الكريم الموجود فى أيدى المسلمين اليوم هو الكتاب الذى أنزله الله تعالى على رسوله وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة. ٣ - المعاد: بمعنى أن الله سبحانه وتعالى يعيد الخلائق بعد موتهم ويحييهم بأجسادهم وأرواحهم يوم القيامة للحساب، والإيمان بوجود الجنة والنار ونعيم البرزخ وعذابه والميزان والصراط والأعراف والكتاب الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وغير ذلك من التفاصيل. ۴ - العدل: بمعنى استحالة ظلم الله سبحانه وتعالى لأحد من الخلق أو فعله لشئ يستقبحه العقل السليم. ومن مقتضيات العدل الإيمان بأن الإنسان هو الخالق لأفعاله بإذن الله سبحانه وتعالى، وإلا لما كان للعبد أى دور فيها، ومن الظلم محاسبته عليها، ومعنى ذلك أن الإنسان هو مصدر أفعاله ولكن بقدرة مكتسبة من الله عز وجل، والإنسان بهذه القدرة المكتسبة مخير بفعل الحسن أو اقتراف القبيح. ۵ - الإمامة: بمعنى أنها منصب إلهى يختاره الله تعالى بسابق علمه بعباده كما يختار الأنبياء، وأنه سبحانه وتعالى لا يخلى الأرض من نبى أو وصى ظاهر مشهور أو غائب مستور، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أوصى لعلى، وعلى أوصى للحسن، وهكذا إلى الإمام الثانى عشر. ومن مقتضيات الإمامة الإيمان بعصمة الأئمة من الذنوب والأخطاء كعصمة الأنبياء وذلك لأن الإمامة تعتبر استمرارا لوظيفة النبوة من حيث حفظ الرسالة وصيانتها من التحريف وتعليمها للناس، وبذلك فالإمام يملأ الفراغات التى يتركها النبى جميعها. [صفحه ۲۷۴]

المذاهب الفقهية عند الإمامية الاثنى عشرية

الفقه عند الشيعة هو العلم بالأحكام الشرعية الفرعية من أدلتها التفصيلية، وتسمى هذه الأحكام بفروع الدين، والعالم بها هو الفقيه ويقال له المجتهد أو المرجع، ويجوز للعوام تقليده. وقد اشتهرت فرقة الإمامية الاثنى عشرية بلقب الجعفرية باعتبار أن مذهبهم الفقهى أخذ عن الإمام السادس جعفر الصادق عليه السلام أكثر مما أخذ عن غيره، إن كانت عندهم مرتبة الأخذ عن الإمام الصادق هى نفسها عن أى من الأئمة الاثنى عشر. وأما سبب كثرة أخذهم عن الإمام الصادق فهو لأن عصره كان فى أواخر الدولة الأموية وقد بدأت بالضعف، وبداية الدولة العباسية ولم يكن قد بدأ فيها التعصب والعداء لأهل البيت عليه السلام، فكان للأئمة شئ من الحرية مكنهم من رواية الأحاديث ونشر المذهب. وهكذا أصبحت كلمة (الجعفرية) تستخدم كلقب للمذهب الفقهى عند الشيعة الإمامية الاثنى

عشـرية، وليس بالضـرورة أن يكـون المقلـد على هـذا المـذهب معتقـدا بالعقائـد الشـيعية، فـالفوارق الفقهيـة بيـن المـذهب الجعفرى والمـذاهب الأربعـة عنـد أهـل السـنة يوجـد مـا يقابلهـا من فوارق بين المـذاهب الأربعـة نفسـها، وحتى أنه – على سبيل المثال – تجد المذهب المالكى فى معظم المسائل أقرب إلى المذهب الجعفرى منه إلى المذاهب الثلاثة الأخرى. وهذا ما حدا بشـيخ الجامع الأزهر الشـريف محمود شـلتوت بإعلاـن فتواه الشـهيرة عام ۱۹۵۸ م بشـأن المـذهب الجعفرى وهـذا نصـها: (إن مـذهب الجعفريـة المعروف بمـذهب الإمامية الاثنى عشـرية مذهب يجوز التعبد به كسائر مذاهب أهل السـنة. فينبغى للمسـلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلصوا من العصبيـة بغير الحق لمـذاهب معينـة، فمـا كـان دين الله وما كانت شـريعته بتابعـة لمـذهب، أو مقصورة على مـذهب، فالكل مجتهـدون مقبولون عند الله [صفحه ۲۷۵] تعـالى يجوز لمن ليس أهلا للنظر والاجتهاد تقليـدهم والعمل بما يقررونه فيفقههم، ولا فرق فى ذلك بين العبادات والمعاملات) [۵۶۸] . وقـد انقسم الجعفريـة حسب تعـاملهم مع الروايات وموقفهم من الاجتهاد إلى أصوليين وإخباريين: الأـصوليون: ويسـمون أيضـا المجتهـدين لأـنهم يجوزون الاجتهاد. ومصادر التشـريع عنـدهم أربعـة: القرآن والسـنة والإجماع والعقل، ويعتبرون الروايـات المـأخوذة مـن كتب الحـديث الرئيسـية الأربعـة (وهى الكـافى، من لاـ يحضـره الفقيه، الإسـتبصار، التهـذيب) فيها الصـحيح والحسن والموثوق والضعيف وغيرها، وأنه يجب البحث فى أسانيدها عند إرادة العمل بها، والغالبية العظمى من علماء الشيعة يؤيـدون هـذا المنهـج. الإخبـاريون: وهم يحرمون الاجتهـاد، وسـموا بالإخبـاريين لأنهم يقتصـرون فى معرفتهم للأحكام الشـرعية على الأخبار أو الروايات الواردة عن أهل البيت عليه السـلام، وأسـقطوا الاسـتدلال بالمصادر الثلاثة الأخرى وهى القرآن والإجماع والعقل. فهم لاـ يسـتدلون بـالقرآن بذريعـة أن القرآن لاـ يفهمه سوى أهل البيت والواجب الرجوع إلى أحاديثهم، ولا يسـتدلون بالإجماع لأنه عندهم بدعة أوجدها أهل السـنة، وينكرون كذلك صـلاحية العقل السليمليكون حجة أو دليلا [۵۶۹] . وقد ظهرت حركة الإخباريين قبـل أربعـة قرون على يـد الملاـ أمين الأسترآبـادى، ويقـال إن مـذهبهم ترجع جـذوره إلى قبـل ذلـك وأن رئيسـهم هـو الشـيخ الصدوق(المتوفى سنة ۳۸۱ هجريـة) وصاحب كتاب من لا يحضـره الفقيه [۵۷۰] . [صـفحه ۲۷۶] وقـد بادر العلماء بالوقوف فى وجه حركـة الإخباريين، وعـدوها حركـة جامدة ومناوئة للعقل. وكان من بين هؤلاء العلماء الشـيخ وحيد البهبهانى وتلميذه الشـيخ مرتضـى الأنصـارى والشـيخ جعفر وكـاشف الغطـاء وغيرهم. ويقول مطهرى: (ولولاـ وقوف عـدد من العلمـاء المبرزين الشـجعان فى وجهتلك الموجة وصدها، لما كنا نعرف موقعنا ووضعنا الحاضر) [۵۷۱] .

الخوارج

وهم الـذين خرجوا على الإمام على عليه السـلام فى معركة صـفين بعد قبول التحكيم، واشـتهروا بتكفيره عليه السـلام، وتكفير كل من معاوية والحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى وكل من رضى بالتحكيم، وكذلك يكفرون أصحاب الجمل وعائشة وطلحة والزبير، بالإضافـة إلى تكفيرهم لكـل مسـلم يرتكب كبيرة، وحكمهم عليه بـالخلود فى النـار. وقـد قـاتلهم الإمـام على عليه السـلام فى النهروان وهزمهم شـر هزيمـة ولم ينـج من القتـل منهم إلاـ عـدد قليل، وعرفوا بلقب المارقـة، وفيهم قال رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم: (يأتى بعـدى من أمتى قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم يخرجون من الـدين كما يخرج – وفى رواية أخرى: يمرقون من الدين كمايمرق – السـهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه، وهم شر الخلق والخليقة) [۵۷۲] . وقد انتشر من نجا بالنهروان من الخوارج فى المـدن الإسـلامية الكبيرة كالمدينـة ودمشق والبصـرة بأواخر فترة على عليه السـلام وبدايـة حكم الأمويين، وعقدوا مجالس المناظرات والمجادلات الكلامية فيها. وكانت بذلك فرقة الخوارج هى أولى الفرق الكلامية التى ظهرت فى التاريخ الإسـلامى. وتشعب الخوارج إلى فرق عديدة أشـهرها العجاردة والنجدية والصفرية والأزارقة [صفحه ۲۷۷] والأباضـية، ولم يبق من هذه الفرق سوى الأباضية التى تعد الأكثر اعتدالا، ويشـكل أتباعها اليوم أغلبية سكان سلطنة عمان بالإضافة إلى وجود أقليات منهم فى شمال إفريقيا.وأصول الاعتقاد عند الأباضية ثمانية هى [۵۷۳] . ۱ – صـفات الله ليست زائدة على ذاته: بمعنى أن الصـفات ليست شيئا غير الذات، فهى ليست صفات

قائمة بذاتها ولا منفكة عن الذات. ۲ – امتناع رؤية الله فى الآخرة: ومعنى الرؤية عندهم كمال العلم به، ويعتقدون بعدم إمكانية رؤيته سبحانه وتعالى حسيا بالصورة المتخيلة عند الناس. ۳ – القرآن حادث غير قديم: بمعنى أن القرآن مخلوق لله سبحانه، وحادث بعد أن لم يكن. ۴ – الشفاعة: بمعنى أن المؤمنين يدخلون الجنة بسرعة، وأما مرتكبى الكبائر من المذنبين إذا ماتوا بلا توبة فهم محكومون بالخلود فى النار. ۵ – مرتكب الكبيرة كافر نعمة لا كافر ملة: اعتقدت جميع فرق الخوارج على مر التاريخ أن مرتكب الكبيرة كافر وخارج عن الملة، ولكن الأباضية قالوا: كافر نعمة ولا يخرج عن الملة. ۶ – الخروج على الإمام الجائر: بمعنى وجوب الخروج على أئمة الجور، بالإطاحة بهم بأى وسيلة يقدر عليها، بالقوة أو بغيرها. ۷ – التولى والتبرى والوقوف: فأما التولى فهو وجوب الولاية والحب لأولياء الله ومن أتصف بالإيمان، والتبرى فهو وجوب البراءة من الفاسقين سواء كانوا من المشركين أو أهل كفر نعمة، وأما الوقوف فيعنى التوقف بالحكم فيمن لم يعرف فيهم موجب الولاية أو البراءة. [صفحه ۲۷۸] ۸ – آراؤهم فى الصحابة: إجماعهم على حب الشيخين أبى بكر وعمر وكراهية عثمان وعلى.

المعتزلة

وهى فرقة كبيرة تأسست على يد الشيخ واصل بن عطاء (۸۰ – ۱۳۱ هجرية) أحد أبرز تلامذة الحسن البصرى الذى كان يعقد مجالسه الكلامية للرد على بدع الخوارج وأضاليلهم. وفى سبب تسميتها بالمعتزلة عدة أقوال أرجحها هو ما يروى عن اعتزال واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصرى بعد أن دب خلاف بينهما فى مسألة المصير الأخروى للمسلم الذى يرتكبالكبيرة [۵۷۴] ، أو بصورة خاصة مصير المسلمين الذين شاركوا فى قتل الخليفة عثمان [۵۷۵] ، هل بقوا على إيمانهم أم أصبحوا بحكم الكفار؟ فكان رأى البصرى إنهم منافقون، وأما واصل فقد كان رأيه إنهم ليسوا كفارا ولا مؤمنين وإنما بمنزلة بين المنزلتين. وقد اشتهرت المعتزلة من بين جميع الفرق الإسلامية باعتمادهم على العقل والمنطق لا- غير فى تحصيل مبادئ الإسلام ومعتقداته وأحكامه. ويسمون أيضا بالمفوضة لقولهم بتفويض الإنسان فى جميع أفعاله بصورة مطلقة ودون أى تدخل من الإرادة الإلهية.وأصول الاعتقاد عند المعتزلة خمسة هى [۵۷۶] . ۱ – التوحيد: ويراد منه العلم بأن الله واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من صفات نفيا وإثباتا، والتوحيد بذلك عندهم رمز لتنزيهه سبحانه عن شوائب الإمكان والتجسيم والتشبيه وإمكان الرؤية وطروء الحوادث عليه، وعندهم لا قديم مع الله ومنها قالوا إن القرن مخلوق وليس قديما. [صفحه ۲۷۹] ۲ – العدل: ويراد منه تنزيه الله عن الظلم عند محاسبة العباد على أفعالهم. فهو لا يكلف العباد ما لا يطيقون، بل يعلمهم ويبين لهم صفة ما كلفهم به وكيفيتهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة. ۳ – الوعد والوعيد: ويراد منه أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب وتوعد العصاة بالعقاب وأنه يفعل ما وعد وتوعد به لا محالة، ولا يجوز الخلف لأنه يستلزم الكذب. وعلى ضوء هذا الأصل حكموا بتخليد مرتكب الكبائر فى النار إذا مات بلا توبة. ۴ – المنزلة بين المنزلتين: ويراد بها أن مرتكب الكبيرة لا- يسمى كافرا كما يقول الخوارج، ولا يسمى مؤمنا كما هو عليه جمهور المسلمين وإنما يسمى فاسقا. فلا تكون منزلته بحكم الكافر ولا- بحكم المؤمن وإنما بين المنزلتين. ۵ – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر: يرى المعتزلة أن وجوبهما يعرف عقلا خلافا لجمهور المسلمين سنة وشيعة، الذين قالوا لولا النص الشرعى لما كان دليلا على الوجوب. وقد تميزت المعتزلة بجعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أصول الدين الذى لا يتم إلا به، وهذا يقتضى قيامهم ضد الحاكم الجائر فى حالة توفر القدرة لذلك. ولربما كان هذا أحد أسباب اضطهاد الدولة الأموية لعلماء المعتزلة وملاحقتهم. وأما فيما يتعلق بالنبوة والإمامة، فهم يوافقون أهل السنة فى ذلك. وقد لاقى مذهب الاعتزال رواجا كبيرا فى العراق ووصل إلى بلاد بعيدة كالمغرب واليمن وخراسان وأرمينية. وانقسم المعتزلة إلى مدرستين رئيسيتين هما مدرسة البصرة ومدرسة بغداد، ولكل منهما منهجها الخاص فى تحليل المسائل الاعتقادية. وتشعبت إلى فرق عديدة أشهرها الواصلية والهذلية والنظامية والجاحظية والبشرية والتمامية والشيطانية وغيرها كثير. [صفحه ۲۸۰] وبلغ الاعتزال أوجه زمن العباسيين عندما اعتنق المذهب بعض الخلفاء كان أولهم المأمون ثم المعتصم والواثق الذين

أخـذوا يجبرون الناس على الاعتقاد بعقائد المعتزلة حتى بلغ التعصب لدرجة الجلد وأحيانا كثيرة قتل كل من يقول بعدم خلق القرآن، وقـد أريقت دماء كثيرة تبعا لذلك، حتى عرفت هذه المعضـلة تاريخيا باسم (محنة خلق القرآن)، وكان من ضـحاياها الإمام أحمد بن حنبل الذى حبس زمن الخليفة الواثق وجلد ألف جلدة حتى كاد أن يموت ولكنه لم يغير رأيه. وعندما جاء الخليفة المتوكل لم تعجبه عقائـد المعتزلـة، وكـان على خلاـف من قبله يميـل نحو الأشـاعرة، فعمل على تقريبهم منه، ونشـر مـذهبهم فى مختلف الولايات حتى صارت الأشـعرية دين الدولةالرسمى والممثلة لعقائد أهل السنة والجماعة [۵۷۷] ومنـذ ذلك الحين، انقلبت الدائرة على علماء المعتزلة حيث مارست السـلطات ضدهم الضـغط والمطاردة، فكانت هذه الإجراءات ضربة قاصمة لفرقة المعتزلة والتى ما لبثت أن ضعفت حتى كانت نهايتها الانقراض. ولم يعد للمعتزلة فى أيامنا أى وجود كفرقة دينية أو مذهب إسـلامى مسـتقل. وهذا لا يعنى اضـمحلال الفكر الاعتزالى نهائيا من عقول المسـلمين، فقد بدأت فى العصر الحديث ميول جديدة فى بعض أوساط المثقفين من أهل السنة نحو المنهج العقلى الذى يتميز به المعتزلة. وقد يكون تفسـير هذه الميول على أنها رد فعل على تفشى ظاهرة التحجر والجمود فى أطروحات بعض التيارات الإسـلامية المعاصـرة التى أعـدمت العقل وأظهرت الإسـلام وكأنه دين لا يصـلح إلا للعصور القديمـة وسـكنة البوادى. وهـذا أحمد أمين يسجل رأيا لصالح المعتزلة حيث يقول بشأن حرية الإرادة: (وقالت المعتزلة بحرية الإرادة وغلوا فيها أمام قوم سلبوا الإنسان [صفحه ۲۸۱] إرادته حتى جعلوه كالريشة فى مهب الريح أو الخشبة فى اليم. وعندى أن الخطأ فى القول بسلطان العقل وحرية الإرادة والغلو فيهما خير من الغلو فى أضدادهما، وفى رأيى أنه لو سادت تعاليم المعتزلة إلى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر فى التاريخ غير موقفهم الحالى وقـد أعجزهم التسـليم وشـلهمالجبر، وقعـد بهم التواكل) [۵۷۸] . وفى مسألـة التوحيـد يقول: (وقـد كـانت نظرتهم فى توحيد الله نظرة فى غاية السـمو والرفعة، فطبقوا قوله تعالى: (ليس كمثله شـئ) أبدع تطبيق،وحاربوا النظريات الوضعية من مثل نظريات الذين جعلوا الله تعالى جسـما) [۵۷۹] . ويضـيف أحمـد أمين فى مقال خاص بمـدح المعتزلـة تحت عنوان المعتزلة والمحدثون: (كان للمعتزلة منهج خاص أشـبه ما يكون بمنهج من يسميهم الفرنج (العقليين) عمادهم الشك أولا والتجربة ثانيا، والحكم أخيرا. وللجاحظ فى كتابه (الحيوان) مبحث طريف عن الشك. وكانوا وفق هذا المنهج لا يقبلون الحديث إلا إذا أقره العقل، ويؤولون الآيات حسب ما يتفق والعقل كما فعل الزمخشـرى فى كتابه (الكشاف). ويقابل هـذا المنهـج منهـج المحـدثين، وهو منهـج يعتمد على الروايـة، لا على الدرايـة، ولـذلك كان نقـدهم للحـديث نقد سـند لا متن، ومتى صح السـند صح المتن ولو خالف العقل، وقل أن نجد حديثا نقد من ناحية المتن عندهم، وإذا عرض عليهم أمرا رجعوا إلى الحديث ولو كان ظاهرة لا يتفق والعقل، كما يتجلى مذهب الحنابلة...) [۵۸۰] . [صفحه ۲۸۲]

الآثار اللاحقة

التمويه على حقائق الأحداث التاريخية و تحريفها

بعـد حادثتى منع تـدوين السـنة النبويـة وشـيوع ظاهرة الوضع والتـدليس فى الحـديث، فقد وجد هناك على مر التاريخ الإسـلامى من تلاـعبوا بتفسـير الأحـداث التاريخيـة حسب ما أملته عليهم أهواؤهم وميولهم المذهبيـة الخاصـة، مما عمل على زيادة درجـة التشويش والفوضـى فى فهم بعض القضايا التاريخية الهامة، كما سترى من خلال الأمثلة القليلة التالية: ۱ – ففى تبريره للاختلاسات التى حصلت فى عهد الخليفة عثمان، فإن ابن تيمية الذى اشـتهر باصـطناع الكلمات والالتفاف حولها بدفاعه عن بنى أمية قال بأن تلك الأموال التى كان عثمان يجود بإعطائها لأقاربه الأمويين. إنما كانت جزءا من سـهم أموال الخمس الخاص بـذوى القربى الذى يعطى حسـبنصوص التشـريع الإسلامى إلى أقارب الإمام [۵۸۱] ، فكـان ولى أمر المسـلمين الإمام عثمان يعطى أقاربه ما زاد عن ملايين الـدراهم بناء على هذا الأساس الشرعى! فلماذا الاعتراض إذا؟ ثم يقدم ابن تيمية احتمالا آخر لتفسير إعطاء تلك الأموال على أنها جزء من سهم العاملين

عليها، فعثمان كان عاملا عليها، والعامل عليها يستحق ولو كان غنيا. وهذا أيضا من أحكام الشرع كما فهمها ابن تيمية، فلماذا كل هذه الضجة؟ ولعل تلك الدور السبعة التى [صفحه ۲۸۳] بناها عثمان لزوجاته وبناته [۵۸۲] ، بالإضافة إلى قصور مروان بن الحكم العديدة كانت كلها من أسهم ذوى القربى والعاملين عليها التى يقول بها شيخ الإسلام. ثم يظهر ابن تيمية شيئا من المرونة وهو يعترف قائلا: (ونحن لا ننكر أن عثمان (رض) كان يحب بنى أمية وكان يواليهم ويعطيهم أموالا كثيرة. وما فعله يعد من مسائل الاجتهاد التى تكلم فيها العلماء... ولا ندعى عصمة فيأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الذنب، فضلا عن الخطأ فى الاجتهاد) [۵۸۳] وفى مورد آخر يقول: (فهذا ذنب لا يعاقب عليه فى الآخرة، فكيف إذا كان منموارد الاجتهاد؟) [۵۸۴] والجواب أنه سيئاب فى كل الأحوال على ذلك. وذلك تمشيا مع القول الشائع عند بعض المسلمين إنه إذا اجتهد المسلم وأصاب فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد!. ۲ - يبرر القاضى ابن العربى طرد عثمان لأبى ذر لاعتراض الأخير على معاوية بكنز الأموال بقوله: (ومن العجيب أن يؤخذ عليه (عثمان) فى أمر فعله عمر، فقد روى أن عمر بن الخطاب (رض) سجن ابن مسعود فى نفر من الصحابة سنة بالمدينة حتى استشهد فأطلقهم عثمان، وكان عمر قد سجنهم لأن القوم أكثروا الحديث عن رسول الله) [۵۸۵] . وفى محاولته التغطية على بوائق عمال عثمان يقول: (وأما قول القائلين فى مروان بن الحكم والوليد بن عقبة فشديد عليهم، والحكم عليهما بالفسق فسقمنهم. فمروان كان رجل عدل من كبار الأمة عند الصحابة والتابعين وفقهاء المسلمين...) [۵۸۶] . [صفحه ۲۸۴] وأما محب الدين الخطيب فإنه دافع عن الوليد بقوله أنه يستحيل أن تكونالآية (إن جاءكم فاسق بنبأ...) [الحجرات / ۶] [۵۸۷] قد نزلت فى الوليد لا لسبب إلا لأنه كان موضع ثقة الشيخين أبى بكر وعمر [۵۸۸] . وقد تكفل العلامة أبو الأعلى المودودى بالرد على ابن تيمية وابن العربى والخطيب وكل من دافع عن عثمان والأمويين بمثل تلك الطريقة خير رد، فبعد أن قام باستعراض أمثلة عديدة من انتهاكات أقارب الخليفة الذين جعل بأيديهم شؤون إدارة الخلافة ومفاتيح بيت المال قال: (لا شك أن هذا الجانب من سياسة سيدنا عثمان (رض) كان غلطا، والخطأ خطأ على أى حال أيا كان فاعله، أما محاولة إثبات صحته باصطناع الكلام لغوا وعبثا فهو أمر لا يقتضيه العقل، ولا يرضاه الإنصاف، كما أن الدين لا يطالبنا بعدمالاعتراف بخطأ صحابى من الصحابة) [۵۸۹] . ۳ - وممن حاولوا تزوير التاريخ فيما يتعلق بالدوافع الحقيقية لحدوث معركة الجمل سيف بن عمرو التميمى الذى اختلق أسطورة من خياله الخاص، وجعل بطلها رجلا يهوديا، وسماه عبد الله بن سبأ ولقبه ابن السوداء، وادعى التميمى أن ابن سبأ هذا قدم من اليمن وأعلن إسلامه فى عهد عثمان، ولكنه أخفى تحت ذلك حقدا دفينا على الإسلام، فتنقل بين البقاع الإسلامية كمصر والبصرة والكوفة على حسب زعم هذه الأسطورة، ثم أخذ ينادى برجعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم ووصاية على عليه السلام واغتصاب عثمان لحق على بالخلافة، فحث على قتله، وجيش لذلك آلافا جاءوا من البصرة والكوفة ومصر، وتمكنوا من محاصرته وقتله، ثم اندس القتلة فى جيش الإمام [صفحه ۲۸۵] على عليه السلام وعائشة، وأحدثوا الفتنة وأشعلوا نار الحرب بين الطرفين والتى عرفت بموقعة الجمل. وقد تصدى لتفنيد هذه الخرافة عدد من العلماء المحققين، وتمكنوا من إثبات وهمية شخصية عبد الله بن سبأ، ومن هؤلاء المحققين الدكتور طه حسين فى كتابه (الفتنة الكبرى)، والدكتور كامل مصطفى الشيبى فى كتابه (الصلة بين التشيع والتصوف)، والعلامة مرتضى العسكرى فى كتابه (عبد الله بن سبأ). ونقتطف فيما يلى من كلمات الأخير فى هذا الصدد: إن جميع المؤرخين أخذوا هذه الأسطورة عن سيف بن عمرو التميمى الكوفى المتوفى سنة ۱۷۰ ه، ثم انتشرت فى كتب التاريخ على مر العصور وإلى يومنا هذا، وكأنها من الحوادث التأريخية التى لا يتطرق إليها الشك، بعد أن فات معظم الكتاب والمؤرخين من الشرقيين والمستشرقين إن واضع رواية هذه الأسطورة هو راو واحد. لا شريك له، وقد اشتهر عند القدامى من علماء الحديث بالوضع واتهم عندهم بالزندقة. فهذا أبو داود يقول فيه: (ليس بشئ كذاب)، وقال فيه ابن عبد البر: (سيف متروك، وإنما ذكرنا حديثه للمعرفة)، وقال فيه النسائى: (سيف ضعيف، متروك الحديث وليس بثقة ولا مأمون). وقد أخذ عن هذا الراوى كل من الطبرى وابن عساكر وابن أبى بكر، ثم أخذعن الطبرى سائر الكتاب والمؤرخين إلى يومنا هذا [۵۹۰] . ۴ - فى تبريره لتحويل معاوية نظام الخلافة إلى نظام ملكى يقول القاضيابن العربى أن الملك هو مرتبة من مراتب الولاية كمرتبة الخلافة [۵۹۱] . ودليله (!)

علی ذلک قوله تعالی فی النبی داود علیه السلام: (وآتاه الله الملک والحکمة) [البقرة / ۲۵۱] فجعل النبوة ملکا. [صفحه ۲۸۶] وهذا أیضا محب الدین الخطیب یؤید هذا التبریر معلقا: (الخلافة والملک والإمارة عناوین اصطلاحیة تتکیف فی التاریخ باعتبار مدلولهاالعملی، والعبرة دائما بسیرة المرء وعمله) [۵۹۲] ولحق ابن العربی والخطیب نسخا عنهما الشیخ عبد المتعال الجبری وهو أحد رموز بعض الجماعات الإسلامیة فی مصر قائلا: (والواقع أن المسألة هی مسألة اصطلاح... خلافة أو إمارة أو ملک، فالجمیع مقیدو السلطات بقوانین الله المسطورة فی الکتاب والسنة، فالعبرة بالنظام والعدل لا بالألقاب وأسماء الحکام والولاة وأسماءوظائفهم، وقد کان داوود وسلیمان ملوکا صالحین، فما عابهما ذلک) [۵۹۳] . ولکن معاذ الله أن یقارن معاویة المحتال وسفاک الدماء البریئة بأنبیاء الله الصالحین. فقد کان من سیرة معاویة وعمله قتل حجر بن عدی وأصحابه لرفضهم سب الإمام علی علیه السلام والتبری منه کما ثبت ذلک من المصادر التاریخیة، إلا- أن ابن العربی یری أن قتلهم کان حقا، لأن معاویة هو إمامالأمة، والأصل فی فعل الإمام هو الحق [۵۹۴] (!)، ویستشهد بما کتب علی أبواب مساجد بغداد: (خیر الناس بعد رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم أبو بکر، ثم عمر، ثمعلی، ثم معاویة خال المؤمنین رضی الله عنهم) [۵۹۵] . ولعدم وجود أی مبرر واقعی لقتل حجر وأصحابه، فإن ابن العربی یقول (بعد أن ذکر عتاب عائشة لمعاویة ورده لها: دعینی وحجرا حتی نلتقی عند الله): (وأنتم یا معشر المسلمین أولی أن تدعوهما حتی یقفا بین یدی الله معصاحبهما العدل، الأمین، المصطفی، المکین..) [۵۹۶] . [صفحه ۲۸۷] وهذا عبد المتعال الجبری مرة أخری یظهر جرأة غریبة بقوله: (ولم تتوقف فتوح معاویة [أیام ولایته علی الشام] وغزواته إلا أیام الفتنة الکبری،حینما شغل بالحروب مع الإمام علی رضی الله عنهما وغفر لهما) [۵۹۷] . وکل من یتمعن بهذا القول یجد فیه تخطیئا مبطنا لعلی علیه السلام، ویطلب الکاتب من الله المغفرة له علی خطئه هذا، لأنه علیه السلام شغل معاویة عن الجهاد!!. فمن الذی شغل من؟ ومن الذی تمرد علی من؟ أولیس الإمام علی علیه السلام هو الخلیفة الذی ینبغی أن یطاع والذی یأمر بالغزو ویعین قادته ووقته ووجهته؟ فما لمعاویة والجهاد فی وقت لم یکن فیه سوی وال متمرد نصب نفسه خلیفة بعد أن عزله الخلیفة الشرعی عن الإمارة. بل أنه من الثابت تاریخیا أن معاویة وعندما أحکم نزوته أخیرا علی کرسی الخلافة، فإنه قام بتوقیع معاهدة خنوع أخذ یدفع بموجبها ۱۰۰ ألف دینار سنویا مقابل امتناعالروم عن غزو الشام [۵۹۸] . ثم یضیف الجبری فی أثناء دفاعه المستمیت عن معاویة وعموم بنی أمیة وتخطیئا لعلی علیه السلام: (کما أننا لا نعلم لأی شئ استعجل علی عزل معاویة أمیر الشام، وقد عینه [والصحیح عین أخوه یزید] علی ذلک المنصب من قبله أبو بکر الصدیق ثم [عینه] عمر بن الخطاب، وأقره علی ذلک بعدهما عثمان، وفوق ذلک کله لم یرفع عنه شکوی واحدة (!)، مع کثرة الشکاوی علیالعمال والحکام والولاة) [۵۹۹] . وفی محاولة لإغلاق أی باب للبحث فی فواحش معاویة فإن الجبری ینقل فی کتابه ما رواه الحافظ ابن عساکر عن أبی زرعة الرازی أنه عندما قال له [صفحه ۲۸۸] رجل: إنی أبغض معاویة. فقال له: ولم؟ قال: لأنه قاتل علیا. فقال له أبو زرعة: ویحک، إن رب معاویة رحیم، وخصم معاویة خصم کریم، فمادخلک بینهما رضی الله عنهما) [۶۰۰] منطق غریب!

۵ – وفیما یتعلق بقتل الحسین علیه السلام، فإن القاضی أبو بکر بن العربی یفتری بکل الصراحة والجرأة قائلا: أن الإمام الحسین علیه السلام قد استحق القتل لخروجه عن طاعة ولی الأمر یزید، لأن خروجه کان – علی رأیه – تفریقا لکلمة المسلمین! وهذا النص الحرفی لما قال: (وما خرج أحد لقتال الحسین إلا بتأویل، ولا قاتلوه إلا بما سمعوا من جده المهیمن علی الرسل، المخبر بفساد الحال، المحذر من دخول الفتن، وأقواله فی ذلک کثیرة. منها قوله صلی الله علیه وآله وسلم: إنه ستکون هنات وهنات، فمن أراد أن یفرق أمر هذه الأمة وهی جمیع فاضربوه بالسیف کائنا من کان. انتهی الحدیث. فما خرج الناس – یقصدالقتلة – إلیه إلا بهذا الحدیث وأمثاله) [۶۰۱] بمعنی أن کل ما فعله یزید وزبانیته فی کربلاء کان مجرد تطبیق لحکم الشرع علی ضوء أحادیث النبی صلی الله علیه وآله وسلم!! ولعل حسن تطبیق یزید للشرع هو الذی جعل محب الدین الخطیب أن یصفه بأنه کان شخصا لامعا، ومکتمل المواهب، ومستکملا للصفات اللائقةبمهمة المرکز الذی أراده الله له وهو الخلافة [۶۰۲] . لیس ذلک فقط، فهذا ابن حجر المکی یقدم (دلیلا!) علی اکتمال کمالات یزید الخلقیة بقوله: (إن یزید لما وصل إلیه رأس الحسین بکیقائلا: رحمک الله یا حسین، لقد قتلک رجل لم یعرف

حق الأرحام)! [۶۰۳] ! فیا له من افتراء علی التاریخ! [صفحه ۲۸۹] وأما الشیخ أبو حامد الغزالی صاحب کتاب (إحیاء علوم الدین) فإنه یرید قتل ومحو أی علوم متعلقة بفاجعة مقتل الحسین علیه السلام وأهل البیت کلیة من مصادرها التاریخیة، وهذا نص ما قال: (ویحرم علی الواعظ وغیره روایة مقتل الحسین وحکایاته، وما جری بین الصحابة والتشاجر والتخاصم، فإنه یهیجعلی بعض الصحابة، والطعن فیهم وهم أعلام الدین!!) [۶۰۴] فیا لها من فتوی، إنه کلام غریب یشتم منه رائحة تفوح بوجود مؤامرة حقیقیة لدفن الحقائق إن لم یکن تزویرها. وللقارئ أن یتصور سبب غفلة معظم أبناء أهل السنة والجماعة عن مأساة الإمام الحسین بصورة خاصة وأهل البیت علیه السلام بصورة عامة. وعلی کل حال، فإن الغزالی یعترف أن جریمة قتل الحسین، وتشاجر الصحابة وتخاصمهم مع بعضهم مدعاة للبغض والطعن فیهم، وأفعالهم تلک المشابهة لهذه هی فعلا محل للبغض والطعن. وأما قوله إنهم أعلام الدین، فهذا یعد تناقضا عجیبا لا یمکن أن یقبله عقل سلیم. وأخیرا، فإن عبد المتعال الجبری یحاول التغطیة علی یزید باتهامه بدلا من ذلک بقتله أهل الکوفة أولا [۶۰۵] ، والقضاء والقدر ثانیا، بقوله: ومضی إلی حتفه بظلفه، وکان أمر الله قدرا مقدورا!!

تطرف بعض العالمین فی المیدان الإسلامی و تخبطهم و جمودهم

اشاره

ونعنی بصورة خاصة بعض العالمین فی الأوسط الدینیة کنشاطات الدعوة والتبلیغ والتدریس، وکذلک بعض العاملین أو المنادین بإقامة الحکم الإسلامی فی هذا العصر من خلال تنظیم الجماعات، والأحزاب، [صفحه ۲۹۰] والمیلیشیات، والذین نصبوا أنفسهم قادة للصحوة الإسلامیة المعاصرة التی ستعید للإسلام مجده الغابر وخلافته الراشدة. والناظر لحال غالبیة هؤلاء العاملین ضمن تلک الأطر والأوساط لن یصعب علیه ملاحظة حالات الجمود الفکری والتخبط الحرکی التی یعیشونها، وذلک نتیجة لافتقاد المناهج المنفتحة علی الواقع المعاصر، وغیاب القیادة الواعیة والمتفهمة لتقلبات الزمان والمکان، فتجدهم یلجأون دائما إلی التقلید الأعمی لسیر الماضین، ویأخذون بطرق تفکیرهم وأسالیبهم بصورة حرفیة، ویصرون علی ذلک أیما إصرار، مدعین أنه لا سبیل للتغییر والإصلاح سوی مناهج السلف الصالح، وأنه (لا یصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها). ومع کل التحفظات فی إطلاق هذه المسمیات واستخدامها، فإن ذلک لا یعنی بأی حال من الأحوال الاستغراق فی الماضی وأسالیبه کل هذا الاستغراق، وتقلید السلف حذو النعل بالنعل. ولکن المشکلة لا تکمن بمجرد عدم صلاحیة أسالیب الماضی لهذا الزمان نظرا للمفارقات الواضحة بین العصرین، وإنما أیضا فی تناقض أسالیب وأفکار السلف أنفسهم مع بعضهم بعضا، بل وانحرافها عن المنهاج النبوی منذ البدایات الأولی لعهود الخلافة، الأمر الذی یجعل من التعصب لرموز ذلک الزمان، وتقلیدهم بتعصب یعنی إعادة تلک الأخطاء والمآسی التی حصلت فیما بینهم.

مجرد مثال!

ولک فی تجربة المجاهدین الأفغان الذین اعتبرهم الکثیرون (صحابة العصر!) خیر مثال علی ذلک، فأی صدمة وإحباط تلقاها کل من بنی علیهم آمالا بإقامة حکم إسلامی یصلح لأن یکون مثالا حیا لکل الحرکات المجاهدة فی العالم الإسلامی، لا سیما بعد کل تلک السنوات الطویلة من المعاناة والتضحیات فی جهادهم ضد الجیش السوفیتی. ولکنهم بعد التحریر، وبدل [صفحه ۲۹۱] أن یتوجهوا إلی البناء، رأیناهم یدیرون فوهات المدافع ضد بعضهم بعضا هذه المرة وبشراسة فاقت تلک التی واجهوا بها الجیش الشیوعی فی الأمس القریب. حتی أنه تردد علی ألسنة سکان کابل، وهم الضحیة المنسیة لهذه الحروب: (کفر الشیوعیین ولا إسلام المجاهدین!). وهکذا نجد أن العالم الإسلامی الیوم یشهد تجارب جدیدة فی ثورة تخبط فی الفکر، تنقلب إلی ثورة تطرف فی الواقع، ولعل أبشع نماذجها تجده فی حکومة میلیشیات الطالبان التی نسمع قصتها ونعیش مرارتها هذه الأیام. فما دام قد وجد فی تاریخنا معارک اسمها

الجمل وصفين، فلماذا لا يقتتل المسلمون ضد بعضهم بعضا اليوم؟ وما دمنا قد برأنا جميع أطراف الاقتتال فى صفين وهم الجيل الفريد والقدوة المثالية، فلماذا لا نجد المبرر أيضا للاقتتال الداخلى بين المجاهدين الأفغان؟ فهم أولى أن تقع (الفتن!) بينهم من أولئك، ويحق لهم أن يجتهدوا كما اجتهد معاوية ببغيه للوصول إلى مراكز القوة والتسلط المطلق. ولماذا لا، ما دام يتوجب على المسلمين حمل أى منكر فعلوه على أنه كان (اجتهادا خاطئا) يثابوا عليه أجرا واحدا، ومحملا حسنا حتى لو كان ذلك المنكر القتل وبث الفتنة والمخالفة الصريحة للكتاب والسنة. ولك أن ترى أثر تلك المحاولات المستميتة للتوفيق بين متناقضات الصحابة، والتى لا تقبل التوفيق، وتبرير كثير من تصرفاتهم المنكرة والتى كان من ضمنها سب بعضهم بعصا وقتلهم وحملها محمل الاجتهاد، لك أن ترى أثر ذلك كله فى تشويش الفكر وتحقير العقل، بل وتولد تطرفا وضيقا فى الأفق والنظر نحن فى غنى عنه. وهذا النمط من التفكير القشرى والمنغلق على كل حال لا يزال يوجد له انتشار واسع فى الوسطين السنى والشيعى، ويطلق عليه مرتضى مطهرى مصطلح التحجر بمعنى الجمود وانعدام المرونة والليونة، وهى حالة تشاهد عند الإنسان حين تنعدم له المرونة فى الموقف من أى فكرة أو ظاهرة جديدة. [صفحه ۲۹۲] والشخص الموصوف بالتحجر يضع لنفسه أصولا ثابتة وأطرا محددة،ويفترض عدم إمكان طروء أى تغيير عليها [۶۰۶] . وقد حذر الإمام الخمينى (وهو مثال المجاهد العصرى ضد تحجر الفكر لا سيما السياسى منه) من خطر ظاهرة التحجر هذه بقوله: (وما هو بالضئيل خطر المتحجرين والحمقى من المتظاهرين بالقدسية فى الحوزات العلمية، فلا يغفل الأعزاء طلبة العلوم الدينية ولا للحظة عن هذه الأفاعى ذات الظاهر الخداع... وعلى حد زعم بعضهم، فإن عالم الدين يكون جديرا بالاحترام والتكريم عندما يكون غارقا فى (التعبد المنغلق) بشكل كلى، وإلا فإن عالم الدين المعنى بالسياسة أو المدبر والذكى هو ذو أهداف ومطامع مشبوهة... وكأن تعلم اللغات الأجنبية يعد كفرا، ودراسة الفلسفة والعرفان تعد معصية وشركا. وإننى على يقين من أنه لو كان قد كتب لهذا التيار الاستمرار لأصبح وضع الحوزات الدينية وعلمائها كوضع كنائس القرون الوسطى) [۶۰۷] ، ويذكر الإمام الخمينى مرة أن ابنه مصطفى شرب مرة من ماء فى زير خزفى بإحدى المدارس الدينية، فقام بعض أولئك المتحجرين بغسل الزيرالخزفى بالماء لتطهيره، وذلك لأن الإمام كان يدرس الفلسفة! [۶۰۸] .

جذور التطرف والجمود الدينى

ويرى مطهرى أن الجذور التاريخية لهذا التحجر تجده فى بعض الفرق والمذاهب التى ظهرت نتيجة لما حصل بين المسلمين من تنازع واضطراب [۶۰۹] . ويخصص منها ثلاثة وهى: الخوارج، وأهل الحديث والإخباريون. [صفحه ۲۹۳] فالخوارج وبالرغم من أنهم ذوو ميول شديدة نحو الجهاد والفداء والتضحية فى سبيل عقائدهم وأفكارهم، وكانوا من المتعبدين والمتنسكين يمضون الليل فى العبادة، إلا أنهم كانوا جاهلين وحمقى، ونتيجة لجهلهم فإنهم لم يكونوا يفهمون الحقائق ويفسرونها تفسيرا سيئا، وأصبحوا من ذوى النظرة الضيقة، وقصيرة المدى، ويفكرون فى أفق محمود جدا. كانوا يرون الإسلام محصورا فى جدران أربعة من أفكارهم الضيقة، ويعتقدون أن جميعمن سواهم لا يفهمون البتة، ومن أهل جهنم) [۶۱۰] . ويؤكد مطهرى أن نمط تفكير الخوارج قد تسلل ونفذ إلى داخل المجتمع الإسلامى طوال تاريخه، وعلى الرغم من أن سائر الفرق تعد نفسها مخالفة لهم، بيد أن التفكير السائد عند الخوارج هو سائد أيضا فى أذهان تلك الفرق، ويمكننا أن نرى بين المدارس الفكرية والعقيدية والعلمية الإسلامية، ومن بين النظريات الفقهية تعتقد بانفصال التعقل عن التدين، وهذا الاعتقادقام على مرتكزات التفكير الخوارجى [۶۱۱] . وأما فرقة أهل الحديث، فهى فرقة أخرى لنمط التفكير المتميز بالجمود والسطحية، وقد خالف رؤساء هذا التيار أمثال أحمد بن حنبل ومالك بن أنس الاستدلالات العقلية التى تميزت بها فرقة المعتزلة، لأنها بنظرهم تتعارض مع ظواهر الحديث والسنة، وهم يرون أن البحث والتحليل والاستدلال فى القضايا الإيمانية حرام. ويعتبر مطهرى أن نجاح أهل الحديث والأشاعرة فى القضاء على فرقة المعتزلة بمساعدة بعض الخلفاء العباسيين كان ضربة كبيرةللحياة العقلية فى العالم الإسلامى [۶۱۲] . [صفحه ۲۹۴] وأما مذهب الإخباريين، وهو من المذاهب الفقهية الشيعية،

فإن أصحابه كما بينا سابقا لا يؤمنون بالاجتهاد، ولا يرون له أية حاجة وضرورة، فقد جعلوا حجية الروايات والأحاديث محورا لعملهم وتوجهاتهم بنحو خاص، ورفضوا الاستدلال بالإجماع والعقل، ويعتبرون جميع الروايات صحيحة سواء كانت فى واقع الحال ضعيفة أو قوية أو صحيحة أو مختلقة وموضوعة، بل يعتبرون ظاهرها هو المقياس والملاك، وهم بذلك يشتركون مع الخوارج وأهل الحديث بالسطحية والتحجر، وتخطئة العقل والتفكر ورفضهما.

اعراض هذه الظاهرة

وبعد أن عرفنا أن لهذا التجمد والتطرف الفكرى الدينى الذى نشهده فى أيامنا له مثل هذه الجذور الممتدة فى عمق التاريخ الإسلامى، تعالوا بنا نتفحص بعض أعراض هذه الآفة كما شخصها بعض مفكرى هذا العصر علمائه: وفهذا الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى يرى فى مقالة له تحت عنوان (صحوة الشباب المسلم ظاهرة صحية يجب ترشيدها لا مقاومتها) أن هناك خمس أمور أنكرت على الصحوة وهى: ١) الدراسة القاصرة للإسلام وشريعته. ٢) عدم الاعتراف بالرأى الآخر. ٣) الاشتغال بالمعارك الجانبية عن القضايا الكبرى. ۴) الجدال بالتى هى أخشن. ۵) التزام التشدد والتعسير [۶۱۳] . [صفحه ۲۹۵] وأما الشهيد مطهرى فيجمل خصائص تيار الجمود والتطرف وملامحه بما يلى: ١) الركود الفكرى وتعطيل العقل. ٢) ضعف الأسس والمرتكزات العقائدية. ٣) النظرة السطحية (الضحالة الفكرية). ۴) التقديس الأجوف الزائف. ۵) ضيق الأفق والنظر. ۶) الجهل واعوجاج الفهم. ٧) الرجعية وعبادة القديم. ٨) الرياء وخداع العوام [۶۱۴] . وأما الدكتور حسن الترابى فيرى أن هناك أربع علل رئيسية هى: ١) الانقطاع عن الأصول الشرعية فى الكتاب والسنة، والرضا والاقتناع بكل ما هو قديم من تقليد التطبيق العملى للسلف. ٢) العكوف على (الفروعية) كأحكام الطهارة، والوضوء وتعداد فرائض الصلاة ومندوباتها ومكروهاتها، أو أحكام البيع، والشراء وكيف تكون الطاعة وآداب الراعى والرعية، فى نفس الوقت التزام الصمت المطبق بشأن النظام الإسلام السياسى والاقتصادى. ٣) خلل فى ترتيب الأوليات، فهذه النظرة أفقدت العالم الإسلامى أولويات الإسلام. فما دامت الأمور كلها فروعا، فهو لا يعلم أى الفروع أهم. [صفحه ۲۹۶] ۴) الشكلية، وهى من الآفات التى أبعدتنا شيئا عن أصول الدين. فالألفاظ أخذ الاهتمام بها وكأنها ذات معنى خطير فى الإسلام، وهكذا بالنسبة إلى وضع اليدين فى الصلاة وقيام الإصبع عند قراءة التشهد وغير ذلكمن الشكليات [۶۱۵] . ويرى الأستاذ فهمى هويدى أن ظاهرة الصحوة بحاجة ماسة إلى (الفرز) بين ما هو سلبى أو إيجابى فى فصائل الصحوة وأفكارها، لأن هناك الكثير مما يحتاج تنقية فيما تطرحه تلك الفصائل من أفكار... فهى بحاجة إلى (التجميع) و (الترشيد)، وليس مقبولا أن يكون غاية جهدها حشد مجموعات من الدراويش فى صلاة الجمعة أو أفواج الحج والعمرة. فالعمل العبادى التزام يجب أداؤه، ولكن الوعى بما يجرى والرؤية الأوسع للواقع الاجتماعى، والاقتصادى، والسياسى وترتيب أولويات القضايا تحتاج إليعمل جاد ومتواصل [۶۱۶] . ويقدم المرحوم الشيخ محمد الغزالى تفصيلا أكثر حول هذه الظاهرة فى مقالة له تحت عنوان (بين الاعتدال والتطرف)، فيقول: (وأريد أن أؤكد للشباب أن إقامة دين شئ، واستيلاء جماعة من الناس على الحكم شئ آخر، فإن إقامة دين تتطلب مقادير كبيرة من اليقين والإخلاص، ونقاوة الصلة بالله، كما تتطلب خبرة رحبة بالحياة والناس والأصدقاء والخصوم، ثم حكمة، تؤيدها العناية العليا فى الفعل والترك والسلم والحرب...! إن أناسا حكموا باسم الإسلام، ففضحوا أنفسهم، وفضحوا الإسلام معهم!! فكم من طالب حكم يؤزه إلى نشدان السلطة حب الذات، وطلب الثناء، وجنون العظمة!! وكم من طالب حكم لا يدرى شيئا عن العلاقات [صفحه ۲۹۷] الدولية، والتيارات العالمية، والمؤامرات السرية والجهرية!! وكم من طالب حكم باسم الإسلام وهو لا يعرف مذاهب الإسلاميين فى الفروع والأصول، فلو حكم لكان وبالا على إخوانه فى المعتقد، يفضلون عليه حكم كافر عادل!! ولقد رأيت أناسا يتحدثون عن إقامة الدولة الإسلامية لا يعرفون شيئا إلا أن الشورى لا تلزم حاكما، وأن الزكاة لا تجب إلا فى أربعة أنواع من الزروع والثمار، وأن وجود هيئات معارضة حرام، وأن الكلام فى حقوق الإنسان بدعة... إلخ، فهل يصلح هؤلاء لشئ؟) [۶۱۷] . وحول الإفراط والتفريط، يعلق الغزالى: (والخلاف الفقهى لا يوهى بين

المؤمنين أخوة، ولا يحدث وقيعة! وهؤلاء يجعلون من الحبة قبة، ومن الخلاف الفرعى أزمة... والغريب أن التطرف لا يقع فى مزيد من الخدمات الاجتماعية، ولا فى مزيد من مظاهر الايثار والفضل، إنه يقع فى الحرص البالغ على الأمور الخلافية كالتنطع فى مكان وضع اليدين أو طريقة وضع الرجلين خلال الصلاة! والمجال المستحب للغالين فى دينهم ينفسخ عندما ينظرون فى ذنوب الناس، إنهم يسارعون إلى الحكم بالفسق أو الكفر وكأن المرء عندهم مذنب حتى تثبت براءته، على عكس القاعدة الإسلامية... ومنذ أيام ثار جدل حول حكم تارك الصلاة كسلا، فلم يذكر أحد فى شأنه إلا أنه كافر، مستوجب القتل، مخلد فى النار!، قلت: لماذا تنسون حديث أصحاب السنن فى أن الرجل لا عهد له عند الله - بتكاسله - إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه!... وعلينا بالتلطف والنصح الحسن، أن نقوده إلى المسجد لا إلى المشنقة، بيدأن المتطرفين يأبون إلا القول بالقتل، وأن هذا وحده هو الإسلام!!) [۶۱۸] . [صفحه ۲۹۸] وحول وضع المرأة المأساوى فى مجتمعاتنا الإسلامية، يقول الغزالى: (إن حبسها وتجهيلها واتهامها هو محور النظر فى شؤونها العادية والعبادية جميعا... وإذا خرجت من البيت لضرورة قاهرة فلا ينبغى أن يرى لها ظفر، هى عورة كلها، لا ترى أحدا ولا يراها أحد!! ومن هؤلاء المتطرفين ناس لهم نيات صالحة، ورغبة حقة فى مرضاة الله، وعيبهم - إن خلوا من العلل والعقد - ضحالة المعرفة وقصور الفقه، ولواتسعت مداركهم لاستفاد الإسلام من حماسهم وتفانيهم) [۶۱۹] .

عزل الدين عن الدولة

يرى عامة المسلمين أن فصل الدين عن الدولة قد أدخل إلى عالمنا الإسلامى عام ۱۹۲۴ م عندما تم القضاء على الخلافة العثمانية. وهذا الكلام يصح على الدين الظاهرى الصورى الذى كان يدين به السلاطين العثمانيون كما ورثوه من أسلافهم، وأما إذا تحدثنا عن الإسلام بأصالته وواقعيته، فقد تم فصله جزئيا عن حياة المسلمين منذ أن تنازع المهاجرون والأنصار الزعامة فى سقيفة بنى ساعدة، ثم اكتمل هذا الفصل وبصورة واقعية باعتلاء معاوية بن أبى سفيان عرش الخلافة والحكم، وتحويل هذا المنصب إلى أداة لتحقيق أحلام جاهلية، وفرصة للاستغراق فى المزيد من الملذات واللهو. وبالطبع، فكل ذلك على حساب نشر قيم الإسلام وتعاليمه، بل وتجاوزوا ذلك بمحاولاتهم وبكل ما أوتوا من جهود للقضاء التام على تلك القيم والتعاليم. وكان من ضمن تلك الجهود كما بينا سابقا دورهم الكبير فى تنشيط ظاهرة وضع الحديث وتزويره، وتأويل آيات الكتاب بما يتمشى ومصالحهم الخاصة. والأمويون هم الذين اختلقوا قصة تأبير النخل والتى زعم فيها أن [صفحه ۲۹۹] النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم) [۶۲۰] أريد من وراء هذه الكلمات المنسوبة كذبا على النبى صلى الله عليه وآله وسلم عزل الدين عن حياة الناس، وإن كان حقا عدم تدخل الشرع الإلهى بطريقة تلقيح النخل وغيره. ويقرر المرحوم الغزالى أن عزل الدين عن الدولة فى المجتمع الإسلامى قد تم منذ أمد بعيد بقوله: (ومن النكسات التى أصابت جماعة المسلمين وأوهنت قواهم من قديم انفصال الحكم عن العلم، وسير كل منهما فى مجرى اختص به... ومن هذا الانفصال ورث المسلمون المعاصرون مشكلتين جديرتين بالنظر العميق، الأولى: هجرة العقول الكبيرة إلى الغرب، والثانية: رداءة الأوعية الحاملة للفقه، وطلبها للدنايا تحت أقدام [الحكام]المستبدين) [۶۲۱] . ويضيف مؤكدا ضرورة عدم وجود مثل هذا العزل: (إن المرء ليغوص فى بحار الحيرة عندما يرى كرادلة العالم النصرانى يختارون أدهاهم وأذكاهم وأجلدهم على خدمة الدين، وعندما يرى معتنقى الشيوعية يختارون أقدرهم وأمهرهم وأشجعهم على خدمة المذهب، على حين يقود المسلمين على مر التاريخ رجل أعظم مؤهلاته أنه ينتمى إلى المأسوف على شبابه أمية بن حرب - يقصد حكام الدولة الأموية - أو ابن الصحابى المعروف عباس بن عبد المطلب - يقصد حكام الدولة العباسية - أو ابن الأناضول عثمان بن هيان بن بيان! - يقصد حكام الدولة العثمانية -. إن أولئك الخلفاء لا ترشحهم مواهبهم الخاصة لمنصب ذى بال، وليس فى كتاب الله ولا سنة رسوله إلا ما يحارب هذا المسلك، بيد أن تقاليد العرب أعوجت بتعاليم الإسلام كرها ودفعتها فى هذا المجرى) [۶۲۲] . [صفحه ۳۰۰] ويفهم من ذلك أنه يستحيل أن يتوفر عندنا نظام إسلامى دون أن يكون رأس هذا النظام من المسلمين العالمين بعقائد الإسلام وأحكامه، والمطبقين لتعاليمه، ليس فقط

على مستوى الشعائر والطقوس العبادية، وبل وقبل ذلك وأكثر أهمية تطبيق العدالة الاجتماعية، وتجسيد أخلاقية الإسلام فى جميع العلاقات والشؤون، وما دون ذلك فهو ليس بالإسلام الذى نادى به محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وهذه المعايير لم يعمل النظام الأموى على بمخالفتها فقط، بل عمل على قلتها ونشر نقائضها من الظلم الاجتماعى، وإحياء النعرات الجاهلية وتشويه التعاليم الإسلامية ومسخها. وإن كان هناك دين قد طبق، فهو الدين الذى شرعه معاوية، والذى كان من سننه المؤكدة ختم كل خطبة جمعة وعيد بسب الإمام على ولعنه!، ولم يكن من هذا الدين فى واقع الأمر سوى تطبيقات شكلية لمختلف الشعائر والطقوس، وقد أفرغت معانيها من روحية الإسلام وجوهره، وأفقدت بالتالى الغايات التى شرعت من أجلها. يضاف إلى ذلك التشويه المتعمد للعقائد الإسلامية والتلاعب بمعانيها إلى حد السخرية والاستهزاء، ومن ذلك استحداث عبد الملك بن مروان عقيدة (الإرجاء) لسد الباب فى وجه كل من ينتقد تلك المخالفات الصريحة التى كان يتركبها الخلفاء وحواشيهم، فما داموا مسلمين ناطقين لكلمة التوحيد، فإنه لا يجوز لأحد الخوض فى أعمالهم أو انتقادهم عليها، فضلا عن الحكم عليهم بأى وصف من أوصاف الكفر أو الفسق والعصيان، وإنما يجب (إرجاء) ذلك إلى الله سبحانه وتعالى الذى سيحاسبهم على تلك الأعمال. ومن البديهى أن يقوم الخلفاء الأمويون بنشر هذه العقيدة الفاسدة وأمثالها للتغطية على مفاسدهم، وإبعاد أنظار الناس وتفكيرهم من كل ما يتعلق بسياسة الحكم وسلوك الحكام. ويعلق الدكتور شوقى ضيف حول هذه المسألة: (إن أفكار المرجئة تخدم البيت الأموى، الذى كان فى رأى الشيعة [صفحه ۳۰۱] وكثير من الأتقياء منحرفا عن الجادة الدينية، وينبغى أن يغيره المسلمون ويضعوا مكانه البيت العلوى. والمرجئة لم يكونوا يوافقونهم على هذا الرأى لأنهم لا يريدون المفاضلة بين المسلمين ولا الحكم على أحد بتقوى وغيرتقوى، فالمسلم يكفى أن يكون مسلما) [۶۲۳] . وقد وصف الخليفة العباسى المأمون هذا المعتقد الأموى بقوله: (الإرجاء دين الملوك)، وقد بقى الأمر كذلك على مر تاريخ ملوك الإسلام! ومن يتأمل فى حال أنظمة الحكم الإسلامى فى هذا الزمان، ونظرة المسلمين إليها، يرى أن هذا المعتقد لا يزال له وجود واقعى، لا- سيما فى طروحات بعض التنظيمات والجماعات الإسلامية، وبصورة واضحة تراها فى خطب وعاظ السلاطين أو محترفى مهنة التدين. ولا يخفى على أحد أثر مثل هذا المعتقد ودوره فى تكريس الظلم، وإفساح المجال للحاكم الظالم لأن يتوسع فى ظلمه. وعلى سبيل المثال، فإنه ولشدة إعجاب نظام آل سعود بالنظام الأموى ونوع العقائد التى قاموا ببثها، وشكل النظام السياسى الذى حكموا الأمة من خلاله، فإنه قرر ضمن مناهج التعليم المدرسى فى المملكة بعنوان (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية)!، فخادم الحرمين الشريفين فهد بن عبد العزيز يطمح من وراء هذا الكتاب جعل يزيد مثالا للحاكم الإسلامى المعاصر، حيث إنه ما دام الصحابة والتابعون قد بايعوا يزيدا واعتبروه خليفة حقا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلماذا لا يحق لفهد أن يعتبر كذلك؟ وهذا المنطق المستوحى من الإسلام الأموى نجده واضحا فى قول أحد المدافعين عن شرعية النظام السعودى وإسلاميته: (هذه المملكة، دون غيرها من بلاد المسلمين، تجسيد حى لفكرة أن الإسلام هو الدين والدولة: رئيس الدولة هو إمام المسلمين قبل أن يكون الملك، ومن هذا المنطلق تخلى إمام [صفحه ۳۰۲] المسلمين فى المملكة عن اللقب المعتاد للملوك صاحب الجلالة، وجعل لقبهخادم الحرمين الشريفين... فتأمل أبعاد القرار) [۶۲۴] .

الخنوع والاستسلام لحكام الجور

لعل من أبرز أسباب هذا الخنوع الغريب، وحالة الانقياد التام للحكام الذى نراه سائدا فى غالبية البلاد الإسلامية هو تغلغل بعض الأفكار وترسخها فى نفوس المسلمين وعقولهم، حيث كان الملوك والسلاطين على مر التاريخ الإسلامى يربطون شرعية حكمهم ولزوم طاعتهم بشريعة الإسلام بحيث يكون الخروج عليهم خروجا عن الدين، والتفكير بمخالفتهم من وساوس الشيطان، حتى لو ظهر من الحاكم هذا أو ذاك كل الفواحش والآثام، أو تسبب فى جلب العار أو التخلف لشعبه وأمته، فإنه قلما تجد أى تحرك يستحق الذكر لخلعه. وقد كان لبعض الأحاديث التى وضعت خصيصا لهذه الغاية، والتى كانت أيادى الأمويين وراء اختراعها، لها أثر كبير فى تعزيز

هذه الحالة وتوريثها عبر الأجيال. ومن ذلك ما نسب قوله إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: (من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات، فميتته جاهلية) [۶۲۵] . وهذا ابن تيمية يلمح - كما بينا سابقا - إلى أن الحسين مات ميتة جاهلية والعياذ بالله، بقوله: (إن يزيد رغم ما فيه من ظلم وقتل، وفعل ما فعل يوم الحرة [استباحة المدينة المنورة] فإنه لا يجوز الخروج عليه، لأن من لم يكنمطيعا لولاة الأمور مات ميتة جاهلية) [۶۲۶] . [صفحه ۳۰۳] وكانت عقيدة الجبر من العقائد التى ساعد الأمويون أيضا على زخرفتها بما يناسبهم وبثها بين المسلمين، والتى كانت تعنى فيما يتعلق بسلوك الحكام، إنهم مهما بالغوا فى فسادهم وظلمهم، فإن ذلك كله ضمن القضاء والقدر الإلهى الذى يجب على الناس قبوله والتسليم فيه بدون أدنى تساؤل!. ويستشهد المروجون لهذه الأفكار بأحاديث موضوعة لتبرير فساد الحاكم، زعما منهم كما فى الرواية التالية أن ما ظهر من الخلفاء من مفاسد وانتهاكات كان مما تنبأ النبى صلى الله عليه وآله وسلم بحدوثه، ولم يكن فيه خروج عن العلم الإلهى المسبق الذى يعنى تخطيطا وقضاء منه جل وعلا، وبالتالى لا يستوجب ما حصل فعلا أى استنكار أو رفض لأنه كان قدرا مقدورا!، فعن حذيفة بن اليمان قال: قلت: يا رسول الله، إنا كنا بشر. فجاء الله بخير فنحن فيه، فهل وراء هذا الخير من شر؟ قال: نعم. قلت: وهل وراء ذلك الشر قال: (يكون بعدى أئمة لا- يعتدون بهداى، ولا- يستنون بسنتى، وسيقوم فيهم رجال، قلوبهم قلوب الشياطين فى جثمان أنس [مثال: يزيد بن معاوية؟]. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع للأميروإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فاسمع وأطع [۶۲۷] . ويؤكد الشيخ محمد أبو زهرة تورط الأمويين فى مسألة الجبر بقوله: (إننا نجزم بأن القول فى الجبر شاع فى أول العصر الأموى وكثر حتى صار مذهبا فى آخره.. وقد قالوا إن من فعل ذلك بعض اليهود، فقد علموه لبعض المسلمين وهؤلاء أخذوا ينشرونه... وهكذا تشابكت فروع الشجرة الأموية مع فروع شجرة أهل الكتاب بعد أن التقطوا منهم فكرة الجبر فى ثوبها الجديد،لأنها تتلاءم ومبدأهم السياسى) [۶۲۸] . [صفحه ۳۰۴] ومن الشواهد على هذه الحقيقة أيضا أن معاوية قال فى إحدى خطبه: (إن الله يقول: (وما من شئ إلا وعندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم)فلم نلام نحن؟) [۶۲۹] وأما الحجاج فقد قال بعد أن قتل رجلا أظهر حب الإمام على عليه السلام: (اللهم أنت قتلته، ولو شئت لمنعتنى منه!) [۶۳۰] وكما يذكر المؤرخون أن معبد الجهمى قتل بيد الحجاج سنة ۸۰ ه، وغيلان الدمشقى بأمر من الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك سنة ۱۰۶ ه لقولهمابحرية الإرادة [۶۳۱] . ويصف السيد محمد حسين فضل الله الحالة الانهزامية المتوارثة أمام الحكام بقوله: (... أما الآخرون، فقد توزعوا بين الذين يعيشون الاستسلام للواقع، لأنهم آمنوا أن عليهم طاعة أولى الأمر كيفما كانوا، وأن مسألة التمرد عليهم ليست واردة فى الحساب، بل لا بد من إضفاء صفة القداسة عليهم فى الطاعة والخضوع والالتزام، لأن هذا هو (أمر الله!)، وبذلك عاش الجمهور الكبير فى أجواء عجيبة من الحيرة والقلق والضياع، بين طبيعة القيم التى يؤمن بها، وبين الإطار الذى فرضه عليه الخطأ فى الفهم أوالاجتهاد) [۶۳۲] . ويقول الدكتور حسن الترابى ما يوافق هذا الرأى: (فإن صورة النظام السياسى الذى ورثناه هى صورة شائهة، لأنها مركبة من عناصر السكون لا الحركة، عناصر الركون إلى الواقع والقعود عن التبديل الاجتماعى نحو التيهى خير، وعناصر الاستسلام إلى تقليد الإمام أو الحاكم أو السلطان) [۶۳۳] . [صفحه ۳۰۵]

شيوع الجهل والتخلف

اشاره

بما أن الدين الإسلامى بشريعته السماوية الحقة، وأحكامه الشاملة لجميع نواحى الحياة، هو بإجماع الأمة دين محكم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وصالح لكل زمان ومكان، وقادر على الوصول بالإنسانية إلى أسمى ما يمكن أن يطمح له البشر من درجات الحضارة والسمو، فإن هذا يعنى أن درجة تقدم أو تخلفهم فى كل عصر ستعتمد بصورة أولية على درجة التوثيق والأمانة فى نقل

تعاليم هذا الدين السماوى. وسلامة تفسير ما صح من نقله، علاوة على التفسير الموضوعى لأحداث التاريخ الإسلامى بعد النظر فى سلامة نقلها أيضا. فالتاريخ كما يقال هو عبارة عن (حقائق تكونت من ضلال الحركة والانتقال فى آنات الماضى، لتصبح ركيزة للحاضر، الذى يحتضن المستقبل ويؤثر به ويرسم معالمه). والأداة التى تحول أنات الماضى إلى ركيزة الحاضر هى الاجتهاد، ولكى يؤدى دوره الحيوى والفعال لا بد وأن يكون محددا ضمن إطار الشرع الإسلامى الصحيح، ومعتمدا على التراث التاريخى السليم، ومتفاعلا مع حقائق العصر الحاضر. وبالنظر فى تعاطى المسلمين لتاريخهم، فإننا سنجده كما يصفه الشيخ المرحوم محمد الغزالى: (إنه لا غرابة فى وجود أخطاء فى تاريخنا الثقافى والسياسى، وإنما الغرابة فى التستر على هذه الأخطاء أو الاستحماق فى معالجتها والتعفية على آثارها... فالقتال الداخلى بين المسلمين أنفسهم [يقصدفى الجمل وصفين] كانت له آثار بعيدة المدى على حاضرهم ومستقبلهم) [۶۳۴] . ذلك أنه كان فعلا للخلفاء وما جرى بينهم من حروب ومنازعات على الحكم الدور الكبير فى تجهيل المسلمين، وإعطائهم تلك الصورة المشوهة [صفحه ۳۰۶] والمحرفة عن عقائد الإسلام ونظمه وأحكامه، الأمر الذى حدث غالبا عبر ما وضع من أحاديث، وأدخل من إسرائيليات، وتلوعب بتفسير الكتاب والسنة وتأويلها، وزور من حقائق التاريخ، فضلا عن سيادة العادات والتقاليد البالية أكثرها وانتشار الأساطير والخرافات. فلا غرابة إذا بوجود مثل هذه الحالة من التخلف والجهل فى أمة الإسلام هذه الأيام، وهى كما يصفها الدكتور الترابى: (وإذا كان الشأن فى الإسلام أن يعمر الحياة بمعانيه ويغمرها بصوره وألا ـ ينفك كذلك مواكبا لتطورها الموصول، فقد أصبح نصيبنا من الإسلام تدينا تقليديا متأخرا عن تقدم حركة الحياة فى الاعتقاد والفكر والعمل. فقد نضبت فى مواقفنا العقدية معانى التوكل والإقدام التى تدعو لاقتحام كل تحد جديد وتسخيره واتخاذه مادة لعبادة الله الواحد، وأصبح غاية أمرنا أن نحفظ بقية الدين لا نزيده ولا نجدده... والجنوح إلى السكون وإلى القعود عن التفاعل مع الكون والحياةبواعث الدين هو علة تخلفنا الاقتصادى أيضا) [۶۳۵] . ويذكر الدكتور الشيخ القرضاوى إحدى علل انحطاط المسلمين بقوله: (أهملوا إلى حد كبير فروض الكفاية المتعلقة بمجموع الأمة كالتفوق العلمى، والصناعى والحربى...) [۶۳۶] . وأما السيد فضل الله فيقدم شرحا وتشخيصا أوفى للعلل والأمراض بقوله: (إذا درسنا وضع العالم الإسلامى فسنواجه وضعا ثقافيا متخلفا على صعيد المعرفة الإسلامية فيما يتعلق بتفاصيل العقيدة، وخطوط الشريعة، ومناهج العمل، وأساليب التحرك، ووعى التحديات المضادة، مما يجعل [صفحه ۳۰۷] الإنسان المسلم يفقد وضوح الرؤية للأشياء، ويبتعد عن إمكانيات التميز الدقيق بين ما هو واقع الساحة فيما يمارسه من حياة، وبين ما هو واقع الانتماء فيما يحمله من عقيدة وفكر، وبذلك فقد أصبح فريسة سهلة لكل الدعوات الكافرة والضالة والمنحرفة التى استغلت هذا الجهل بالإسلام، فعملت على تضليله، وإرباك تصوره لمبادئه والإيحاء له بأن الكفر لا يبتعد عن الإسلام وأن الضلال قد يأخذ دور الهدى. وقد ساهم هذا الجهل فى تعقيد عملية الإصلاح، لأن الصورة المشوهة التى يحملها الناس عن الإسلام فيما يفهمونه من عقائده وأحكامه، أصبحت تحمل فى داخلها، معنى من القداسة، التى تتحول فيها الأخطاء إلى مقدسات، والأوهام إلى مبادئ، مما يجعل من قضية المناقشة فيها، فضلا عن رفضها، أمرا يبلغ حد الكفر، ويحمل معنى الانحراف، وبذلك أصبح للذهنية الأمية التى يحملها العوام، ضغط كبير على مسار الفكر الناقد لدى العلماء والمفكرين تحت ضغط الخوف من خسارة ثقة العامة. وهكذا بقيت الأوهام والأضاليل التى أفرزها واقع التخلف فى حركة الذهنية العامة للإنسانواقعا ثقافيا، إسلاميا، مقدسا، معترفا به) [۶۳۷] . وبما أنه لا بد وأن يكون لكل تشريع حكمة وغاية، فإن تعطيل أى من تلك الأحكام المشرعة، أو فهمها على غير صورتها الحقيقية، أو تطبيقها على تلك الأحكام المشرعة، أو فهمها على غير صورتها الحقيقية، أو تطبيقها على غير الطريقة التى أرادها الشارع المقدس، فإن ذلك لا بد وأن يولد آثارا سلبية تخل فى النظام الإسلامى العام، أو تجعل فيه فراغا يتهيأ من خلاله فرص الإفساد والانحراف. ونقدم فيما يلى أمثلة متنوعة وشواهد حية على هذا التخلف والجهل فى فهم العديد من قضايانا الإسلامية المعاصرة وتطبيقها: [صفحه ۳۰۸]

الجهل والتخلف فى فهم العقائد

ونعود بمثالنا فی هذه الناحیة إلی مفهوم القضاء والقدر، حیث بینا فی موقع سابق المنشأ السیاسی الواضح فی تشویش الفهم حول هذه المسألة، وخصوصا فیما یتعلق بالجبر والاختیار، ولکن غالبیة المسلمین قد انطلی علیهم هذا التشویه لعقائد الإسلام ومعانی الکتاب، واستندوا إلی ظاهر بعض الآیات القرآنیة والمؤولة أمویا بالجبر أو تسییر الإنسان علی غیر إرادته واختیاره. ومن هذه الآیات (وما تشاؤون إلاـ أن یشاء الله) [الإنسان / ۳۰]، وقوله تعالی: (قل لن یصیبنا إلا ما کتب الله لنا) [التوبة / ۵۱]، وقوله تعالی: (ما أصاب من مصیبة فی الأرض ولا فی أنفسکم إلا فی کتاب من قبل أن نبرأها) [الحدید / ۲۲]. ویقول الشیخ محمد الغزالی فی تفنیده لهذا التأویل الباطل: (والغریب أن جمهورا کبیرا من المسلمین یجنح إلی هذه الفریة، بل إن عامة المسلمین یطوون أنفسهم علی ما یشبه عقیدة الجبر باختیار خافت موهوم... وقد أسهمت بعض المرویات فی تکوین هذه الشبهة وتمکینها، وکانت سببا فیإفساد الفکر الإسلامی، وانهیار الحضارة والمجتمع) [۶۳۸] وفی تعلیق آخر یقول: (کل میل بعقیدة القدر إلی الجبر فهو تخریب متعمد لدین الله ودنیا الناس، وقد رأیت بعض النقلة والکاتبین یهونون من الإرادة البشریة، ومن أثرها فی حاضر المرء ومستقبله، وکأنهم یقولون للناس: أنتم محکومون بعلم سابق لاـ فکاک منه، ومسوقون إلی مصیر لا دخل لکم فیه، فأجهدوا أنفسکم فلن تخرجوا عن الخط المرسوم لکم مهما بذلتم... إن هذا الکلام الردئ لیس نضح قراءة واعیة لکتاب ربنا، ولا اقتداء دقیق بسنة نبینا، إنه تخلیط قدجنینا منه المر...!!) [۶۳۹] . [صفحه ۳۰۹] وفی تحذیره من الأخذ بالأحادیث الکثیرة المشبوهة التی وضعت علی ما یبدو لإسناد هذا التأویل الفاسد لمسألة القضاء والقدر، یضیف الغزالی: (جاءت فی القدر أحادیث کثیرة نری أنها بحاجة إلی دراسة جادة، حتی یبرأالمسلمون من الهزائم النفسیة والاجتماعیة التی أصابتهم قدیما وحدیثا) [۶۴۰] . وأما الأحادیث التی یحذر الغزالی من أخذها علی علاتها، فلا بد وأن تکون الأحادیث التالیة من ضمنها، والتی أخرجها جمیعا مسلم فی صحیحه: فعن أبی هریرة قال: (قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: احتج آدم وموسی علیه السلام عند ربهما، فحج آدم موسی، قال موسی: أنت آدم الذی خلقک الله بیده، ونفخ فیک من روحه، وأسجد لک ملائکته، وأسکنک فی جنته، ثم أهبطت الناس بخطیئتک إلی الأرض!!! فقال آدم: أنت موسی الذی اصطفاک برسالته وبکلامه، وأعطاک الألواح فیها تبیان کل شئ وقربک نجیا، فبکم وجدت الله کتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسی: بأربعین عاما. قال آدم: فهل وجدت فیها (وعصی آدم ربه فغوی)؟ قال: نعم، قال: أفتلومنی علی أن عملت عملا کتبه الله علی أن أعملهقبل أن یخلقنی بأربعین سنة؟ قال رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم: فحج آدم موسی) [۶۴۱] . وأما عمرو بن العاص فإنه یختلف مع روایة أبی هریرة بعدد السنین بقوله: (سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: کتب الله مقادیر الخلائق قبل أنیخلق السماوات والأرض بخمسین ألف سنة، وقال: وعرشه علی الماء) [۶۴۲] . ویروی عمرو بن العاص أیضا: (سمعت رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم یقول: إن قلوب بنی آدم کلها بین إصبعین من أصابع الرحمن کقلب واحد یصرفه حیث یشاء. ثم قال النبیصلی الله علیه وآله وسلم: اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا علی طاعتک) [۶۴۳] . [صفحه ۳۱۰] ویروی أبو هریرة أیضا: (إن الله کتب علی ابن آدم حظه من الزنی أدرک ذلک لا محالة، فزنی العین النظر، وزنی اللسان النطق، والنفس تمنیوتشتهی، والفرج یصدق ذلک أو یکذبه) [۶۴۴] . وأما عائشة فتختصر کل هذه الروایات جمیعها بالمعنی التالی کما تروی قائلة: (دعی رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم إلی جنازة صبی من الأنصار. فقلت: یا رسول الله، طوبی لهذا عصفور من عصافیر الجنة لم یعمل السوء ولم یدرکه. قال النبی صلی الله علیه وآله وسلم: أو غیر ذلک یا عائشة؟! إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهمفی أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فی أصلاب آبائهم) [۶۴۵] . فإذا صحت هذه الروایات لا قدر الله، فلماذا الحساب والعقاب إذا؟؟

الجهل والتخلف فی أداء الفرائض

ونکتفی فی هذا الجانب بتقدیم مثال متعلق بصلاتنا الیومیة، نأخذ مسألة الجمع فیها. فالجمع یکون عاد تقدیما أو تأخیرا بین صلاتی الظهر والعصر، وبین صلاتی المغرب والعشاء. وقد أشارت أدلة قطعیة من السنة النبویة إلی ثبوت جواز مثل هذا الجمع فی جمیع

الأحوال، وليس مخصوصا بحالات الضرورة القصوى كالسفر أو المطر أو الحرب. فمن صحيح البخارى، قال ابن عباس: (صلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم سبعا جمعا -يعنى المغرب والعشاء - وثمانيا جمعا - يعنى الظهر والعصر -) [۶۴۶] وفى رواية صحيح مسلم بإضافة: (من فى غير خوف ولا سفر) [۶۴۷] . [صفحه ۳۱۱] وفى رواية ثالثة، كان قول ابن عباس: (صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة من غير خوف ولا سفر. قال أبو الزبير: فسألت سعيدا: لم فعل ذلك، فقال:سألت ابن عباس كما سألتنى، فقال: أراد ألا يحرج أحدا من أمته) [۶۴۸] وقال رجل لابن عباس: الصلاة! فسكت ابن عباس، ثم قال: الصلاة! فسكت، ثم قال: الصلاة! ثم قال [له ابن عباس]: لا أم لك! أتعلمنا بالصلاة وكنا نجمعبالصلاتين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) [۶۴۹] . وينقل السيد سابق فى كتاب (فقه السنة) [۶۵۰] تحت عنوان الجمع للحاجة عن النووى فى شرحه لصحيح مسلم: (ذهب جماعة من الأئمة إلى جواز الجمع فى الحضر لمن يتخذه عادة. وهو قول ابن سيرين وأشهب من أصحاب مالك. وحكاه الخطابى عن القفال والشاشى الكبير من أصحاب الشافعى وعن أبى إسحاق المروزى، وعن جماعة من أصحاب الحديث، واختاره ابن المنذر،ويؤيده قول ابن عباس: (أراد ألا يحرج أمته). فلم يعلله بمرض ولا غيره) [۶۵۱] . وبالرغم من وضوح أدلة السنة النبوية على جواز الجمع بين الصلاتين فى جميع الأحوال، وتأييد غالبية فقهاء المسلمين لذلك، إلا أن السائد عند أتباع المذاهب الأربعة هو عدم الجمع باستثناء حالات الضرورة القصوى، الأمر الذى يشير بأصابع الاتهام مرة أخرى إلى تيار التشدد والتعسير الذى تسرب بقوة إلى عبادات المسلمين ومعاملاتهم. ولا يخفى مدى أهمية وجود مثل هذه الرخصة، ودورها فى المحافظة على الصلوات، لا سيما لدى أولئك المتثقلين من أدائها (وما أكثرهم!) مفرقة فى أوقاتها الخمسة. [صفحه ۳۱۲]

الجهل والتخلف فى فهم القضايا التاريخية

كم هى القضايا المتعلقة بأحداث هامة فى تاريخنا الإسلامى فهمت على غير حقيقتها، وزورت تفاصيلها، وشوهت صورتها حتى صارت كما نقلت إلينا وكأنها قضية مختلفة تماما عن واقعها الأصلى. ونأخذ ثورة كربلاء كمثال: فبالرغم من الأهداف النبيلة لهذه الثورة الحسينية، ودورها فى إنقاذ الإسلام من ابتذال بنى أمية وسطوتهم، بكشف الغطاء عن وجههم الحقيقى المعادى للإسلام، فإنها تعرضت للكثير من التحريفات والتشويهات من قبل كثير من أبناء الأمة على مر العصور. ففى جانب، يرى بعضهم فى الإمام الحسين الرجل المتسرع الذى يرمى نفسه إلى التهلكة، ويرفض الاستماع إلى بعض النصائح فى عدم الخروج عن طاعة ولى الأمر (!) يزيد بن معاوية. ويلاحظ فى هذا الجانب أيضا اعتبار كثير من المسلمين يوم ذكرى استشهاد الحسين مناسبة سارة، لا لمقتله عليه السلام، وإنما بحجة أن يوم العاشر من محرم هو اليوم الذى أنقذ الله سبحانه وتعالى فيه النبى موسى عليه السلام من بطش فرعون. ولذلك فإن الأمويين تفننوا فى وضع المرويات التى فيها أخبار إنقاذ العديد من الأنبياء فى هذا اليوم نفسه، وثواب كبير لصائميه. وتجد بعض المسلمين فى الهند وبنغلادش يحتفلون فى العاشر من محرم بابتهاج وسرور كبير، وكأنه عيد كبير من الأعياد! وفى جانب آخر، تحولت عاشوراء لمسلمين آخرين إلى ذكرى يجتمع فيها الناس لمجرد البكاء وضرب الصدور، ظنا منهم أن هذه هى الطريقة المثالية لمواساة الحسين وأهل البيت عليهم السلام فى مصابهم. وبالرغم من والعلماء المسلمون - باستثناء الوهابيين - لا يحرمون البكاء على الإمام الحسين عليه السلام وغيره من شهداء الإسلام فضلا عن أموات عموم الناس، بل إن ذلك أمر يثاب فاعله عليه إذا كان البكاء بدافع الحب والحزن، لا سيما عند تذكر الطريقة الوحشية التى ذبح بها الإمام الحسين وأهل بيته وأصحابه. ولكنه [صفحه ۳۱۳] فى الوقت نفسه، ليس من المقبول أن يختار الناس قارئ العزاء فى هذه الذكرى على أساس قدرته فقط على إبكاء الحضور على حساب الخطيب القادر على إبراز الدروس والعبر النافعة من هذه الحادثة. ففضلا عن أن الإحياء بهذه الصورة هو حصر للقضية الحسينية فى بعدها الشخصى العاطفى، فإنه أيضا يعطى صورة سلبية عن الدين لأنه يعبر عن مظهر من مظاهر الجهل والتخلف. وأما الدروس والعبر التى يؤكد العلماء على ضرورة الاستفادة منها من هذه القضية، فهى التضحية فى سبيل الرسالة والمبدأ، والعمل فى سبيل الله دون النظر

إلى الأخطار الدافعة إلى الخوف كمبرر للتقاعس والتوقف عن خدمة الدين، فعاشوراء ليست للدموع والبكاء، وإنما هى للإسلام والرسالة.

الجهل والتخلف فى فهم القضايا الأخلاقية

هناك العديد من المفاهيم الأخلاقية التى أخذها المسلمون على غير حقيقتها كمفاهيم الزهد، والصبر، والتوبة، والتوكل، وغيرها، ونأخذ الزهد كمثال: فالإسلام فى الحقيقة قد حث على الزهد ورغب فيه، والزهد يطلق على ترك الإنسان لشئ يرغب فيه رغبة طبيعية، أى أن هذه الصفة لا تطلق على المريض الراغب عن تناول الطعام بسبب فقدانه شهية الأكل. وهذا المفهوم السامى كغيره من المفاهيم العديدة التى تشوهت صورتها فى أذهان المسلمين، حتى أصبح الزهد مما ينفر منه، لأنه يعنى عندهم ترك الإنسان الدنيا ولذاتها من أجل التفرغ للعبادة. وهذا الفهم المنحرف قد تسرب إلى فكر المسلمين من المسيحية التى تفرق بين العمل الدنيوى والأخروى، حيث تطلق هذه الديانة على كل ممارسة عملية للإنسان مع الطبيعة والحياة عملا- دنيويا، بينما أطلقت على الطقوس المعزولة عن كل ممارسة حياتية اسم العمل الأخروى. فى حين أن الإسلام يعطى أى عمل أو نشاط للإنسان صفة الأخروية ويعده عبادة إذا كان مؤدى بنية التوجه والقرب من الله. [صفحه ۳۱۴] وقد أوجز الإمام على عليه السلام الزهد فى حكمتين من القرآن: (لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) [الحديد / ۲۳]. وفى الحديث الشريف: (الزهد ليس أن لا تملك شيئا، وإنما أن لا يملكك شئ). ويرى الشهيد مطهرى أن سبب حث الإسلام على الزهد لأن فيه تجسيدا للإيثار، ومواساة للفئة المحرومة، والتحرر والانعتاق من قيود الشهوة والنهم وشح النفس وحب الادخار والجاه ونظائرها، بالإضافة إلى أن الزهد يساعد على تذوق اللذات المعنوية لأن الانغماس التام فى تلبية حاجات الجسدالمادية يغلظ الحس ويضخمه [۶۵۲] . وهو يستنكر الزهد الذى يعنى الانفصال عن حياة الناس، أو الامتناع عن اللذات الدنيوية، فهو زهد لا روح فيه، بل إن الإسلام ينفر من مثل هذا الزهدوأولئك الزهاد [۶۵۳] .

الجهل والتخلف فى القضايا السياسية

من أكبر مظاهر جهل المسلمين وتخلفهم فى هذا الجانب هو طاعتهم العمياء على مر العصور التى حكمت فيها دولة الخلافة، وحتى فى بعض البلدان بأيامنا هذه لحكام الجور، بحجة عدم جواز الخروج عن طاعة أولياء الأمور حتى لو كانوا من الفجار والمجرمين. وقد بينا هذه الحالة فى بند سابق. وسنتناول فى هذه الزاوية حالة أناس موازية لأولئك المسلمين المؤمنين بالطاعة العمياء. ولكن باختلاف فى التفاصيل. فقد وجد هناك بعض المسلمين ممن لا يؤمنون بطاعة حكام الجور، ولكنهم مخدرون أيضا لأنهم لا يؤمنون بوجوب إقامة الحكم الإسلامى فى عصر غيبة الإمام المهدى المنتظر، بل إن منهم من حرم السعى والتحرك لذلك. ومن الواضح [صفحه ۳۱۵] ومن الواضح أن الحالة الأولى قد سادت فى عالم الإسلام السنى، والثانية قد لوحظ لها وجود فى عالم الإسلام الشيعى. ويقول الإمام الخمينى مستنكرا هذا الجهل بقوله حول ضرورة قيام الحكومة الإسلامية فى هذا الزمان بأنها: (فكرة علمية واضحة، قد لا تحتاج إلى برهان، بمعنى أن من عرف الإسلام أحكاما وعقائد يرى بداهتها، ولكن وضع المجتمع الإسلامى، ووضع مجاميعنا العلمية على وجه الخصوص، يضع هذا الموضوع بعيدا عن الأذهان، حتى لقد عاد اليوم بحاجة إليالبرهان) [۶۵۴] وكان كلام الإمام هذا رحمه الله قبل انتصار الثورة الإسلامية فى إيران بسنوات عديدة. وأما جذور ذلك الفهم المتخلف، فهو راجع إلى التفسير الخاطئ لحقيقة غيبة الإمام المنتظر، والجهل بالظروف الموضوعية التى تستلزم ظهوره، علاوة على الاستناد على بعض المرويات المشكوك فى صحتها والتى توحى أن كل راية ترفع فى زمن غيبة الإمام هى راية ضلال، بمعنى أن إقامة الحكومة الإسلامية هو حق مخصوص بالأئمة الاثنى عشر، وليس لأحد غيرهم تجب الولاية والطاعة. وقد وصف السيد فضل الله فهم هؤلاء بالجمود، وأنه يدفع أصحابه إلى السلبية

أمام مشكلات الواقع، لأنهم بموقفهم هذا أصبحوا القوة التى تحمل الآخرين إلى الحكم دون الاعتقاد بشرعيتهم، وبذلك استطاع كل المنحرفين والطامعين أن يصلوا إلى المركز الكبير فى قيادة المسلمين لينحرفوا بهم إلى واقع مظلم لا يحمل لهم إلا المزيد من الجهل والتخلف، والبعد عن قيمالإسلام الحضارية الباحثة عن الحرية والعدالة والمساواة [۶۵۵] . [صفحه ۳۱۶]

الجهل والتخلف فى القضايا الاقتصادية

فى الوقت الذى لا يزال فيه العلماء والمفكرون المسلمون يواجهون تحديا كبيرا فى استخلاص نظام اقتصادى إسلامى وبلورته ليكون قابلاـ للتطبيق فى هذا العصر فإنه ولتعقيدات مذهبية يجهل كثير من هؤلاء الأعلام فضلا عن العوام أبسط بديهيات هذا النظام كما سترى فى المثال التالى المتعلق بدفع ضريبتى الزكاة أو الخمس: فبالنسبة لمصطلح الخمس فإنه وحسب دليل القرآن الكريم (وما غنمتم من شئ فإن لله خمسه وللرسول ولذى القربى...) [الأنفال / ۴۱]، وكما فهمه العلماء السائرون على منهج أهل البيت عليه السلام، فإنه يعنى وجوب دفع خمس صافى الأرباح السنوية للإمام أو الدولة الإسلامية. وأما تلك التعقيدات المذهبية التى أحدثت إشكالا كهذا، فتعود جذورها إلى الوقت الذى منع فيه الخليفة أبو بكر حق فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم منالخمس [۶۵۶] (وهو سهم ذوى القربى)، حيث ذهب المؤيدون لأبى بكر وخلافته منذ ذلك الحين إلى اعتبار الخمس المقصود فى الآية السابقة خاصا بغنائم الحروب التى يتصرف بها حاكم المسلمين كائنا من كان. فبالإضافة إلى أن الآية القرآنية هذه ليس فيها ما يدل على أى تخصيص بغنائم الحروب، فإن الحديث الشريف التالى يؤكد أيضا هذه الحقيقة. فعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: (العجماء جبار، والبئر جبار، والمعدن جبار،وفى الركاز الخمس) [۶۵۷] فالذهب والفضة (المستخرجان من الأرض وليس ما يبتاعه الناس) فى هذا الحديث ليسا من غنائم الحروب ولكنهما مشمولان بحكم الخمس. [صفحه ۳۱۷] وعلى كل حال، فإن أل ۵ و ۲ بالمئة التى يدفعها أهل السنة زكاة لأموالهم لا تفى بشئ من حاجة الدولة الإسلامية حال وجودها، وتجد هذه النسبة (الضريبة) فى الدول الغربية تصل إلى ۳۵ ٪ أحيانا، حتى تكون الدولة قادرة على الإيفاء بحاجتها مما تدفعه إلى مواطنيها المحتاجين من صندوق الضمان الاجتماعى. وأما الشيعة، فإن من استحق عليه منهم دفع ضريبة الخمس، فإنهم يدفعونها إلى العلماء المراجع الذين ينوبون عن الإمام محمد بن الحسن المهدى فى غيبته، أو يصرفونها مباشرة فى المشاريع الخيرية بإذن منهم. وفى نسبة الخمس ما يكفى العلماء لتحقيق استقلالهم عن السلطات الحاكمة على مر الأزمنة، وهم يستثمرونها فى الصرف على المشاريع الخيرية ورعاية الفقراء والأيتام وبناء المساجد والحوزات العلمية (المدارس والجامعات الدينية). والحق يقال إن هذه الاستقلالية لم تتوفر عند علماء أهل السنة، أو المدارس والهيئات الدينية التى يديرونها، مما يبقيهم تحت رحمة السلطان ويد الدولة، وما يعنى ذلك من تأثير فى الخط والمنهج بل والفتوى كما لا يخفى!

الجهل والتخلف فى القضايا الاجتماعية

ما أكثر القضايا التى تستحق النظر والاهتمام فى هذا الجانب، حيث تجد بقاء ترسبات كثيرة من العادات والتقاليد التى عفى عليها الزمان فى معظم بقاع العالم الإسلامى، لا بل الجاهلية منها، حتى أن الدين أصبح يحور ويشكل ليكون موافقا لها ومنسجما معها، وإلا تراه غائبا عن واقع الحياة الاجتماعية أو بعيدا عن التأثير فيها. وتعتبر المسائل المتعلقة بالزواج من أكثر القضايا حيوية فى أى مجتمع كان، وقد رأينا فى هذه الناحية أخذ الزواج المؤقت كمثال: فقد أجمع المسلمون فى فهمهم حول الحكم التى جعلت الشارع المقدس يبيح رخصة تعدد الزوجات، فهم يرون فيها حلا إلهيا لمشاكل كثيرة [صفحه ۳۱۸] لا تخفى على أحد، وذلك بالرغم مما قد يرافق ممارسة هذه الرخصة من إشكالات ناجمة عادة من سوء التطبيق لا من حكمة التشريع. ولكن مما لا يزال المسلمون مختلفين حوله هو

دوام إباحـة الزواجـالمؤقت والمعروف بزواج المتعـة [۶۵۸] ، والـذى يراه المنطق والعقـل السـليم المتحرر مـن أغلالـ بعض العقد الاجتماعيـة المتوارثـة حلا لمشاكل عديـدة يخفق فى حلها الزواج الدائم أو تعدده، فضـلا عن تسيب العلاقات غير المشـروعة وذلك بـالرغم أيضـا ممـا قـد ينجم من إشـكالات سوء التطبيق. وحتى أن الخليفـة عمر بن الخطـاب، المحرم الحقيقى لهـذا النوع من الزواج، يعترف أن تشـريعه كان لضـرورة وحاجـة، حيث يروى الطبرى أن الخليفة عمر رد على انتقاد عمر بن سوادة له بهذه المسألة قائلا: (إن رسول الله صـلى الله عليه وآله وسـلم أحلها فى زمان ضـرورة ثم رجع الناس إلى سعة، ثم لم أعلم أحدا من المسلمين عمل بها ولا عاد إليها، فالآن من شاء نكـح بقبضـة وفارق عن ثلاثبطلاق، وقـد أصبت...) [۶۵۹] . ويفنـد أحـد المحققين المعاصـرين رأى الخليفة هذا بالقول: (أما ما ذكره الخليفة فى مقام العلاج من تبديل نكاح المتعة بالنكاح الدائم على أن يفارق [بالثلاث طلقات]، فالأمر ينحصر فيه بين أمرين لاـ ثـالث لهمـا: إمـا أن يقع ذلـك بعلم من الزوجين وتراض بينهمـا، فهو الزواج المؤقت أو نكاح المتعـة بعينه، وإما أن يقع بتبييت نيـة من الزوج مع إخفائه عن الزوجـة، فهو غدر بالمرأة واسـتهانة بها بعد أن اتفقا على النكاح الدائم، وأخفى المرء فى نفسـهنية الطلاق) [۶۶۰] . [صفحه ۳۱۹] وقـد أخذ الشـيخ عبد العزيز بن باز (مفتى الديار المقدسة) بقول عمر هذا ولكن على احتمال التفسير الثانى الـذى يعنى إخفاء نيـة الطلاق عن الزوجـة، فأفتى ابن باز على ضوء ذلك بجواز (الزواج بنية الطلاق) كبديل عن المتعة والزواج الـدائم، لمن أراد ألاـ يقع فى الفاحشـة من المسـافرين الطلبـة ورجـال الأعمـال والسواح! وعلى كل حال، فإن الضـرورة المجمع عليها، والـتى من أجلهـا شـرع زواج المتعـة، لاـ يمكن أن تكون محصورة بتلـك الحقبـة الوجيزة فى حيـاة النبى صـلى الله عليه وآله وسـلم، فالمشـكلة الجنسـية ليست خاصـة بعصـر دون آخر، ولا بأماكن أو أقوام دون غيرها، لا بل أن هـذه المشـكلة فى تفاقم مسـتمر فى كل مكـان، إن لم تكن المشـكلة الاجتماعيـة الأـولى هـذه الأيـام لأسباب كثيرة لاـ تحتاج إلى توضيح. وإن كان رفض فكرة التوقيت فى الزواج نابعا من أسـباب نفسـية، وعادات وتقاليـد راسـخة لا محيص عنها، فليكن ذلك، ولكن هـذا لا ينبغى بأى حال من الأحوال، أن يكون دليلا على حرمـة هذا الزواج، فيوجد هناك أحيانا من المسـلمين ممن يأنفون الحكم والقانون (الإلهى!) فى تعدد الزوجات، ولو أبقى التشـريع على عادات العرب وعاداتهم الـذين أول من نزل فيهم الإسـلام، لما زلنا نرى ممارسـة وأد البنات لغايـة هذه الأيام!، وإن كتبت لهن الحياة، فإنهن غالبا يعشن مهانات ومحتقرات إلى أبعـد الـدرجات. وقـد أقسم لى أحـد الأصـدقاء أن فى بلـدته النائية بأحد الأـغوار رجلاـ لم يسـمح لبنـاته الثلاـث من الزواج، حتى شـارفن الأـربعين دون أى أمل يلوح فى الأفق. والسـبب؟ حتى لا يتمكن من ملامسـتهن أى رجـل كائنـا من كان! وهـذه الجريمـة بنظرى أعظم من جريمـة وأد البنات!. ولا يزال سائـدا فى بعض البلـدان الإفريقية (ومنها إسـلامية) ممارسـة جريمة ختان البنات. لماذا؟ [صـفحه ۳۲۰] للأسـباب نفسـها التى كان (يخصـى) من أجلها العبيد فى قصور الملوك أو حتى للأسـباب التى تخصـى من أجلها ذكور بعض البهائم للتدجين وقتل الشـهوة الجنسية. أو لا يزال سائدا أيضا فى بعض المنـاطق فى بلاد العرب والمسـلمين عادة قتل المرأة غير المحصـنة لأقل شـبهة أو إشاعـة باقترافها الزنى، ودون أى تأن للتحقق والنظر، وبقـاء الرجـل المحصن المشـهور باقترافه الفواحش كلها رافعا رأسه ومحترما بين الناس؟! فهـذه العقليـة هى نفسـها التى أيـدت اجتهاد المتشـددين بتحريم زواج المتعـة، وأبقت على هـذا المنع حتى صـار دينـا بعينه! أضف لكـل ذلـك أنه مـا لا يناسب عادات مجتمع ما وتقاليده، لا يعنى بالضـرورة عدم ملاءمته لعادات المجتمعات الأخرى وتقاليدها، والإسـلام لم يأت لقوم دون آخرين، وإنما هو صالح لكل زمان ومكان بكل ما تعنى هذه الكلمات والتى حولها غالبية المسـلمين إلى شـعارات من دون معان. فالمشـكلة الجنسـية أصبحت هذه الأيام، وأكثر من أى وقت مضى، أكبر من أن يكبتها أى حض خلقى، أو وعظ إرشادى، أو حتى مرض الايدز الذى أصبح مرض العصـر من دون منافس! وما دامت الشـهوة الجنسـية هى مما فطر الخلق عليها، فيستحيل كبتها، ولا يجوز التباطؤ فى التعامل معها، وإنما يجب الإسـراع بالاسـتجابة لمتطلباتها ضـمن إطار نظام اجتماعى شامل. وقـد اشـتهر الفيلسوف الإنجليزى المعروف برتراند رسل بتبنيه لحـل مطابق لزواج المتعـة، بعـد أن رأى الانحطاط الـذى وصـلت إليه المجتمعات الغربيـة من جراء الإباحيـة المطلقـة التى عولجت بها القضايـا الجنسـية وعلاقـة الرجـل مع المرأة هناك. فهو يرى (أن سن الزواج قـد تأخرت بغير اختيار وتـدبير، فإن الطالب كان يسـتوفى

علومه قبل مئهٔ سنهٔ أو مئتین فی نحو الثامنهٔ عشرهٔ أو [صفحه ۳۲۱] العشرین، فیتأهب للزواج فی سن الرجولهٔ الناضجهٔ، ولا یطول به عهد الانتظار إلاـ إذا آثر الانقطاع للعلم مدی الحیاهٔ، وقل من یؤثر ذلک بین المئات والألوف من الشبان. أما فی العصر الحاضر، فالطلاب یتخصصون لعلومهم بعد الثامنهٔ عشرهٔ أو العشرین، ویحتاجون بعد التخرج من الجامعات إلی زمن یستعدون فیه لکسب الرزق من طریق التجارهٔ أو الأعمال الصناعیهٔ والاقتصادیهٔ، ولا یتسنی لهم الزواج وتأسیس البیوت قبل الثلاثین، فهناک حقبهٔ زمنیهٔ طویلهٔ یقضیها الشاب بین سن البلوغ وبین سن الزواج لم یحسب لها حسابها فی التربیهٔ القدیمهٔ، وهذه الحقبهٔ هی زمن النمو الجنسی والرغبهٔ الجامحهٔ، وصعوبهٔ المقاومهٔ للمغریات، فهل من المستطاع أن نسقط حساب هذه الفترهٔ من نظامالمجتمع الإنسانی کما أسقطها الأقدمون وأبناء القرون الوسطی!) [۶۶۱] . ویجیب مستنکرا ذلک لأنه یری (أننا إذا أسقطناها من الحساب، فنتیجهٔذلک شیوع الفساد والعبث بالنسل والصحهٔ بین الشبان والشابات) [۶۶۲] . والحل الذی رآه: (وإنما الرأی أن تسمح القوانین فی هذه السن بضرب من الزواج بین الشبان والشابات لا یؤودهم بتکالیف الأسرهٔ، ولا یترکهملعبث الشهوات والموبقات، وما یعقبه من العلل والمحرجات) [۶۶۳] ، وقد سمی هذا النوع من الزواج (بالزواج العقیم أو الزواج بغیر أطفال، وأراد به أن یکون عاصما من الابتذال، ومدربا علی المعیشهٔ المزدوجهٔ قبل السن التی تسمحبتأسیس البیوت) [۶۶۴] . [صفحه ۳۲۲] وما أروع ما روی عن عبد الله بن عباس فی هذا المجال حیث قال: (رحم الله عمر، ما کانت المتعهٔ إلا رحمهٔ من الله تعالی رحم بها أمهٔ محمد،ولولا نهیه لما احتاج إلی الزنی إلا شقا) [۶۶۵] والشقا یعنی القلیل. ویعلق السید محمد تقی الحکیم علی هذه الحقیقهٔ بقوله: (وأرجو أن نتأمل کلمهٔ (رحمهٔ) و (احتاج) فهی من أروع الدلائل علی عمق هذا الرجل وفهمه للمشکلهٔ، وحسبه أن یری أن الزنی مما یحتاج إلیه أحیانا، ولیس ینطوی دائما علی التحدی للتشریع، فصاحبه مریض والمریض یحتاج إلی العلاج، وقد جعل الله فی المتعهٔ علاجه، فهی رحمهٔ له، والحقیقهٔ أن تشریع الحد فی الزنی، والشذوذ الجنسی لا تتضح عدالته إذا لم نفهم مختلف الحلول التی وفرها الشارع لمشکلته، فمع تخطیها جمیعا، وتحدی الشارع بالعمل علی إشاعهٔ الفوضی الجنسیهٔ ینکشف أن هذا النوع من المرض النفسیلا یمکن علاجه والحد من انتشار وبائه إلا بأمثال هذه الجرعات) [۶۶۶] . [صفحه ۳۲۳]

الخلاصهٔ والخاتمهٔ

اشاره

إن أهم ما یمکن استنتاجه من هذا البحث أن ما جعل من الخلاف الذی حصل فی صدر الإسلام حول خلافهٔ النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وإمامهٔ الأمهٔ بعده أزمهٔ علی مر العصور هو أن هذا الخلاف لم یکن مجرد خلاف سیاسی بین أشخاص تنافسوا علی الوصول للسلطهٔ والحکم، ولم یکن مجرد فتنهٔ وقتیهٔ حدثت بین الصحابهٔ وانتهت برحیلهم، وإنما کان فوق کل ذلک خلافا حول المسار الذی ینبغی علی المسلمین اتباعه فی تحصیل معارف الدین من عقائد وسنن وأحکام. وهذا یؤکد ما بیناه فی بدایهٔ البحث أن المفهوم القرآنی للخلافهٔ والإمامهٔ یتلخص فی اعتبارها الخلافهٔ الإلهیهٔ فی الأرض، والأمانهٔ أو العهد الذین یربطان العباد بمعبودهم، وما یعنی أن أی خلل فی فهم هذا المبدأ أو تطبیقه، سیؤدی حتما إلی حدوث خلل فی فهم عقائد الإسلام، وانحراف فی تطبیق أحکام الشرع. ونجمل ذلک فی نقاط:

صراع الخطط والإرادات

لقد کان واضحا أن التخطیط الإلهی ببعثهٔ سیدنا محمد صلی الله علیه وآله وسلم کان یهدف إلی تبلیغ الرسالهٔ لیس إلا (وما أرسلناک إلا شاهدا ومبشرا ونذیرا)، فقال جل وعلا بعد نجاح هذه المهمهٔ: (الیوم أکملت لکم دینکم وأتممت علیکم نعمتی ورضیت لکم

الإسلام دينا). وأما التخطيط الإلهى بحصر خلافة النبى صلى الله عليه وآله وسلم،، فقد كان يهدف إلى إتمام نور الرسالة على يد هؤلاء الأئمة، والذين خصتهم العناية الإلهية بالعناية والتسديد (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب / ۳۳]. [صفحه ۳۲۴] فلم يكن دور الأئمة حسب هذا التخطيط حفظ الرسالة وصيانتها من التحريف والتشويه فحسب (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) بل أيضا تعليمها وإرشاد الناس إليها على مر العصور (لكل قوم هاد)، على أن يكون ذلك بخطوات تدريجية تمهيدا لإتمام النور الإلهى فى جميع أركان الأرض فى عهد الإمام الثانى عشر، والذى ستكون خلافته تتويجا لجميع رسالات السماء، وتحقيقا لأهداف الأنبياء والرسل (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون - هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون). ولا يمكننا فهم إبعاد هذا التخطيط عن جريانه الطبيعى، كما حصل فعلا بتهمش دور الأئمة عليه السلام، إلا بفهم القوانين والسنن التى جعلها الله سبحانه وتعالى المبدأ الأساس الذى يحكم العلاقة بين الهداية الربانية وحرية إرادة الإنسان واختياره (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) [الرعد / ۱۱]. فالتخطيط الإلهى من إرسال الأنبياء إلى بنى إسرائيل على سبيل المثال، لم يكن يهدف إلى قتل هؤلاء الأنبياء وإنما لاهتداء الناس بهم. فأما قتلهم فكان ناتجا عن تخطيط بشرى أدى إلى انتصار إرادة الباطل، فكان جواب الأنبياء والدعاة إلى الحق للمعاندين والكارهين للهداية على مر العصور (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها وأنتم لها كارهون). وهذه القوانين والسنن هى التى تفسر سياسة الأئمة الاثنى عشر منذ لحظة وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم تجاه الأوضاع التى كانت تمر بهم وتحكم علاقتهم بالسلطة وجمهور الأمة. فالأسباب التى أدت إلى إبعاد التخطيط الإلهى القاضى باستخلاف أهل البيت عليه السلام لم تكن محصورة فى الأشخاص الذين اجتهدوا بالتصدى لولاية أمر المسلمين على طريقتهم الخاصة، وإنما تعود إلى عدة عوامل مجتمعة، [صفحه ۳۲۵] أبرزها العقلية القبلية والتى اتضح من صراع السقيفة وما بعدها. إنها كانت لا تزال سائدة فى مجاميع المهاجرين والأنصار، وبكل ما فى هذا النهج القبلى من حب السلطة والجاه، والتمكن والانتصار للشخص والعشيرة وغير ذلك من الاعتبارات الجاهلية، ومما كان دليلا أكيدا على عدم تشرب نفوس المسلمين لغاية ذلك الحين بروحية الإسلام وفكرته ورسالته. وقد عبر الإمام على عليه السلام عن رفضه لما جرى فى السقيفة بتخلفه عن بيعة أبى بكر ستة شهور، ولكنه آثر أخيرا البيعة لما استسلم له الناس، واختار أن يبقى على مقربة من النظام القائم، لتحققه من أن المصلحة الرسالية العليا تتطلب منه ذلك، لا سيما لبقاء وجود قدرته على التأثير فى الحفاظ على تعاليم الإسلام من التحريف والتشويه، وباعتبار أن الخلفاء الثلاثة الأوائل قد بايعهم الناس على أن يعملوا بكتاب الله وسنة نبيه. وهذا المبدأ هو نفسه الذى يفسر رفض الإمام على عليه السلام الأولى للخلافة بعد مقتل عثمان، ولم يقبلها إلا بعد إصرار الناس عليه، وإظهار رغبتهم الأكيدة لخلافته، فأصبحت الفرصة بمبايعة المسلمين له مهيأة لتوحيد الخط والفكر والمنهج، لأن خلافته عليه السلام هى الوحيدة التى أجمع المسلمون على صحتها على مر العصور باختلاف فرقهم ومذاهبهم، وهى المعياد التى يجب أن تقاس به أى خلافة كانت، سواء كانت بنص من الله ورسوله، أو كانت بشورى حقيقية من الناس. فخلافة على عليه السلام هى الغاية والمثال الأعلى فيما ذهب إليه أهل السنة والشيعة بقولهما فى الخلافة، وهو الوحيد الذى استحق عند أهل السنة من بين جميع الخلفاء على مر العصور لقب (الإمام)، وعند الشيعة من بين جميع الأئمة الاثنى عشر لقب (أمير المؤمنين). ولكن هيهات، فقد أبى الشيطان إلا أن يخرج بقرنه، فماجت الأرض، وهدرت دماء المسلمين بسيوف المسلمين، حتى تحول عهد على عليه السلام إلى [صفحه ۳۲۶] عصر دام بأبشع صور التمرد والعصيان عن طاعة أمير المؤمنين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإمام الزمان! وبسبب انتصار تلك الإرادة التمردية، وخصوصا مع خذلان شيعة الإمام على عليه السلام وتقاعسهم عن نصرة حقهم، وما تبع ذلك من تنازل الإمام الحسن عليه السلام لمعاوية بن أبى سفيان المتلهف للوصول للخلافة والملك مهما كلف الثمن، فكان الصلح الاضطرارى حقنا للدماء وحفاظا للوجود الإسلامى من الزوال التام، فبذلك تكون الأمة قد اختارت مرة أخرى لنفسها منهجا مغايرا لما أراده الله، والذى جلت قدرته وحكمته لم يكن ليلزمها على الناس وهم لها كارهون! ولأن هذه التحولات قد صاحبها كل أنواع الفوضى والاضطراب، وقد أحدثت

التباسا فی الفهم لدی کثیر من المسلمین فی تلک الأثناء، لا سیما بعد مقتل عثمان، حتی قورن علی بمعاویة (!)، بل أنه وبفضل أجهزة الدعایة الأمویة، فإن غالبیة مسلمی الولایات والأمصار خارج مکة والمدینة أخذوا یصدقون أن علیا علیه السلام قد حرف فعلا سنة النبی صلی الله علیه وآله وسلم، وساعد علی قتل عثمان، ولم یعد مستغربا إذا أن یسب الإمام ویلعن علی منابر جمع المسلمین، وأعیادهم، ثم تحدی معاویة لکل مشاعر المسلمین، ولکل قانون إلهی، ولکل سنة نبویة (أو حتی عمریة!) بتوریثه الخلافة لابنه الفاجر المراهق یزید، وخلافا لما تعاهد علیه مع الحسن علیه السلام، فإنه وبسبب کل هذه المستجدات، فقد أصبح بتقدیر الإمام الحسین علیه السلام أنه لم یعد هناک إسلام یخاف خسارته، بل أنه رأی علیه السلام أن مسخ الدین أو القضاء التام علیه سیکون بالسکوت والرضا بالأمر الواقع، فکان قراره بعدم مبایعة مثل هذا اللون من أولیاء الأمور، والثورة ضد هذا اللون من الأنظمة الإسلامیة، لا لیجلس علی کرسی الخلافة، وإنما لإزاحة اللثام عن قبح الوجه الأموی المتظاهر بالإسلام، فانفضح أمر هذا النظام، وانکشف فی أقبح صوره [صفحه ۳۲۷] الجاهلیة، فیکون الناس جمیعا (لا سیما من غفل وضلل، ولیس أناس ذلک الزمان فحسب بل کل من کان سیغفل ویضلل بعدهم وعلی مر العصور) قد تمیزت أمامهم معاییر الحق من الباطل إلی الأبد، فیحیی من حیی علی بینة، ویهلک من هلک علی بینة. فثورة الحسین کانت لإنقاذ الإسلام، ولم تکن محصورة الغایة بذلک الزمان. فثورة کهذه إذا نظرنا إلیها بهذا البعد، فإن ذکراها تستحق أن یغلب فیها الابتهاج والسرور أکثر من البکاء والعویل! وهکذا کانت سیرة من تلا الحسین من الأئمة علیه السلام مرهونة بالظروف والمستجدات، فتختلف استراتیجیتهم فی العمل والتحرک علی ضوئها، فالأدوار تتنوع والهدف واحد. ولأن غالبیة هؤلاء الأئمة قد لاقوا التعذیب والقتل علی أیدی الأنظمة القائمة، فإنه وبمجیء آخرهم کان یعنی استمرار هذا المسلسل الإجرامی بحقهم، فکانت غیبة الإمام الثانی عشر تجسیدا لانتصار الإرادة البشریة الرافضة للهدایة الإلهیة من جهة، ومؤشرا علی تأجیل تنفیذ الخطة الإلهیة إلی الوقت الذی یغیر فیه الناس من نظراتهم ومواقفهم تجاه إمام زمانهم، فیبحثوا عنه بصدق، ویوالونه بمعرفة وإخلاص، عندئذ یظهره الله سبحانه وتعالی تأییدا لهم. وبهذا المعنی، یکون الإمام المهدی هو الذی ینتظر الناس ولیس العکس!.

صراع الفرق والروایات

من الخطأ الفاحش جعل الانتماء للفرقة أو المذهب المعیار الأساس فی بحث مسائل الخلافة والإمامة، لأن غالبیة الفرق والمذاهب کانت إما من صنع الأنظمة القائمة، أو ممن تأثر بها، فهی بمبادئها وتعالیمها التی تعرف بها هذه الأیام لم تکن موجودة أصلا عند تولد أزمة الخلافة والإمامة بعد وفاة النبی صلی الله علیه وآله وسلم، ولغایة تطورها واستفحالها فی خلافة علی وبدایة ملک معاویة. [صفحه ۳۲۸] وهذا یعنی لزوم التحرر التام عند بحث مسائل کهذه من کل تلک الأهواء المذهبیة، والتی تجد أغلبها قد صدر بدوافع المصالح الذاتیة أو المؤقتة وبأجواء مشحونة بالتعصب والأحقاد من غیر المنطق والعدل إقحام مسلمی هذا الزمان فیها! والمعیار نفسه ینبغی استخدامه عند الأخذ بأی حدیث أو روایة من کتب الصحاح عند أهل السنة کصحیحی البخاری ومسلم، أو الکتب الأربعة الرئیسیة عند الشیعة کالکافی. فلیس کل ما فی هذه الکتب صحیحا، بل إن الضعیف والموضوع فیها أکثر من الصحیح والموثق، فلا یصح إذا الاعتماد علی ما فی هذه الکتب من مرویات للبت والحکم فی قضایا مصیریة کقضیة الخلافة والإمامة، لا لشیء إلا لأن الصحابی الفلانی رواها، أو الشیخ الفلانی وثقها، ما لم تکن مؤیدة بقرائن أخری تجعلها فوق أی شبهة وشک. وأما سبب توثیق غالبیة رجال الحدیث لکثیر من تلک الروایات الموضوعة التی ذکرنا منها أمثلة عدیدة، والمرویة عن طریق الصحابة کأبی هریرة، فهو راجع إلی الصورة الوهمیة التی رسمتها أجهزة الدعایة والإعلام الأمویة عنهم، حیث جعلتهم بمرتبة قریبة جدا من التقدیس والعصمة. وإلا فما معنی اعتبار استحالة الکذب علیهم مع أنهم رفعوا السیوف فی وجه بعضهم بعضا. لا بل أعطیت لبعضهم مرتبة من الالهام والتسدید فوق ذلک لدرجة أصبحوا فیها یصححون النبی صلی الله علیه وآله وسلم فی مواقف زعم أنه صلی الله علیه وآله وسلم کان قد أخطأ فیها، وهو الذی (لا ینطق عن الهوی إن هو إلا وحی یوحی). فالصحابة أصبحوا حسب هذه الحالة القدسیة الجیل الفرید الذی لم ولن

يأتى جيل أفضل منه، حتى أصبح الشرع عند أهل السنة بعد كتاب الله وسنة نبيه هو ما عمله الصحابة ورضوا به، بما فى ذلك كل ما يتعلق بأمر خلافة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وإمامة الأمة بعده. [صفحه ۳۲۹] ولأنه كان مما عمل به الصحابة ورضوا به استخلاف ومبايعة أئمة أقل ما يقال فيهم بأنهم كانوا جاهلين ويعملون على تجهيل الشريعة وتحريفها، فإن غالبية علماء أهل السنة على مر العصور لم يشترطوا فى حكام المسلمين توافرهم على مؤهلات تنسجم مع سمو الشريعة وخطورة حفظها والقيمومة على أحكامها، فاعترفوا وأقروا تبعا لذلك بشرعية الخلفاء حتى (غير الراشدين) منهم. فيتضح من ذلك كله نتائج إبعاد أئمة الهدى من أهل البيت عليه السلام عن المواقع التى اختارهم الله سبحانه وتعالى لها وآثار ذلك الإبعاد. فتهميش دورهم يعنى تهميش رسالة الإسلام، وقتلهم يعنى قتل رسالة الإسلام، فهذه الأهمية اختصرت فى قوله تعالى عندما أمر نبيه بإعلان ولاية على على الملأ بعد حجة الوداع: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس)، [المائدة / ۶۷]، وفى قوله صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبة حجة الوداع: (أيها الناس: إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتى أهل بيتى). فاستحق الإمام على بصدق قول النبى صلى الله عليه وآله وسلم له: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق)، وقوله صلى الله عليه وآله وسلم: (أنا مدينة العلم [الحكمة حسب رواية أخرى] وعلى بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها). وأهل البيت عليه السلام على كل حال لا ينبغى وضعهم فى قوالب الفرق والمذاهب، فهم فخر الإسلام، وشرف كل مسلم أن ينتمى إليهم، لا بل لا يمكن للمسلم أن يكون مسلما دون حبهم واتباعهم، ولا يجوز كذلك لأى فرقة ادعاء احتكار حبهم واتباعهم دون غيرها. وأما بنو أمية، فمن العار ربط شرعية خلافتهم بشرع الإسلام! واعتراف أهل السنة بخلافة وإمامة أهل البيت عليه السلام لا يعنى بالضرورة أنهم أصبحوا من الشيعة بالمفهوم الشائع لهذه الكلمة، فهذه التسمية فقط هى [صفحه ۳۳۰] التى تحجب الكثيرين عن رؤية هذه الحقيقة، وتمنعهم من التفاعل معها. فما الذى يمنع أن يسمى المؤمنون بخلافة أهل البيت عليه السلام وإمامتهم أهل السنة إذا كانت هذه التسمية تعنى اتباع السنة النبوية المطهرة، فليس المهم الأسماء، ولكن ما تحمله هذه المسميات والمصطلحات من معان! وفى الوقت نفسه، فإنه ليس كل من قال بخلافة أهل البيت وإمامتهم عليه السلام أو انتسب إليهم، يعنى إعطاء شهادة التوثيق له بسلامة الخط والمنهج. فالشيعة فى هذا الزمان، وبعد ما يزيد على أحد عشر قرنا من غيبة الإمام المعصوم، هم كأهل السنة مطالبون فى البحث عن المنهج الأصيل الذى يجسد بحق مسار أهل البيت عليه السلام. فكما أن أهل السنة مطالبون بعدم قبول أى اجتهاد لصحابى كان أو غيره خالف القرآن والسنة، واستنكار كل ما وضعه أبو هريرة وغيره من الصحابة من أحاديث يستحيل على العقل السليم قبولها، أو تلك الخرافات والخزعبلات، وما نقل من إسرائيليات ملأت الكتب المسماة ظلما وزورا بالصحاح، فإن الشيعة أيضا مطالبون برفض كل ما نسب كذبا لأهل البيت عليه السلام، واستنكار كل تجاوز أو غلو باسم التشيع لآل البيت عليهم السلام.

خاتمة المطاف

لقد أشارت روايات عديدة أن خلقا كثيرا من أهل السنة والشيعة على السواء سيقفون فى وجه خليفة رسول الله الثانى عشر الإمام المهدى عند ظهوره. فضعف الفكر المتوارث، وهشاشة معظم المفاهيم والتباسها على غالبية أبناء الأمة فى هذا العصر، وحالة التشتت والضياع التى يعيشونها، ووجود تلك الهوة الكبيرة بين ما هو إسلام اسمى وظاهرى جاف من كل معنى يدينون به، وإسلام واقعى أصيل يقولون به، ما هى إلا أسباب أولية تجعل من [صفحه ۳۳۱] المسلم عدوا لإمام زمانه عند ظهوره، بل إنه قد يكون يعيش حالة العداء هذه قبل ذلك دون أن يدرى بحاله! ولأنه ليس كل ما ورثه المسلمون بسنتهم وشيعتهم من أسلافهم يمثل واقعا إسلاميا ينبغى تقديسه، فإنه لا سبيل للخروج من هذه الحالة الجاهلية إلا بأن يبدأ أبناء الأمة بنهضة توعية شاملة فى الفكر والثقافة الإسلامية الأصيلة، وعلى مستوى الفرد والمجتمع، وعلى أساس من العقيدة الباعثة على الحركة، والمنهج الواعى والمتحرر من غبار وترسباته، بما فى ذلك التعصبات الطائفية والمذهبية التى ينبغى أن لا ينظر إليها إلا كواقع سلبى فرض على المسلمين طوال تاريخهم، وأن ينظر إليها

أيضا من زاوية آثارها السلبية والمدمرة على الثقافة الإسلامية ووحدة المسلمين. وهذا يلزم دراسة الإسلام بعقائده وشرائعه وتاريخه مجددا، والتحقق منها لا سيما على ضوء كثير من الحوادث التى حصلت فى صدر الإسلام. فما وافق منطق القرآن والأحاديث المجمع على صحتها والعقل السليم يجب الأخذ به دون أدنى تردد، حتى لو كان مخالفا للمذهب أو المعتقد الذى أورثنا التعصب له، أو كان موافقا لأفكار ومعتقدات أورثنا جهلها، فضلا عن رفضها وتكفير أصحابها! وهذا الأمر يلزمنا بدوره محاولة التحرر قدر الامكان من أسر الفرقة أو المذهب أو الحزب أو الحركة أو الخط أو غير ذلك من الأطر، والتى غالبا ما تجعل من المنتمين المتعصبين إليها مقدسين لها وعابدين، وقد استغرقوا فى الانغلاق داخلها دون أن يشعروا، فيصبحوا من المغفلين بل المقبورين. كل ذلك على حساب الانفتاح والمرونة فى السعى لتحصيل الحقائق، أو البحث عن الصراط المستقيم الذى يفترض أن لا يتوقف الإنسان فى البحث عنه لحظة واحدة فى حياته، مهما بلغ عنده من العلم والمذهب! [صفحه ۳۳۲] (اللهم أحى بوليك القرآن، وأرنا نوره سرمدا لا ـ ليل فيه، وأحى به القلوب الميتة، وأشف به الصدور الوغرة، واجمع به الأهواء المختلفة على الحق، وأقم به الحدود المعطلة، والأحكام المهملة، حتى لا يبقى حق إلا ـ ظهر، ولا ـ عدل إلا ـ زهر، واجعلنا يا رب من أعوانه وناصرى سلطانه والمؤتمرين لأمره، والراضين بفعله، والمسلمين لأحكامه، وممن لا حاجة به إلى التقية من خلقك، وأنت يا رب الذى تكشف الضر، وتجيب المضطر إذا دعاك، وتنجى من الكرب العظيم، فاكشف الضر عن وليك واجعله خليفة فى أرضك كما ضمنت له. اللهم لا تجعلنى من خصماء آل محمد عليهم السلام، ولا تجعلنى من أعداء آل محمد عليهم السلام، ولا تجعلنى من أهل الحنق والغيظ على آل محمد عليهم السلام، فإنى أعوذ بك من ذلك فأعذنى، وأستجير بك فأجرنى، اللهم صل على محمد وآل محمد واجعلنى بهم فائزا عندك فى الدنيا والآخرة، ومن المقربين، آمين رب العالمين).

پاورقی

[۱] محمد سليم العوا: فى النظام السياسى للدولة الإسلامية، ص ۱۲۶ – ۱۲۷.

[۲] الماوردى: الأحكام السلطانية، ص ۱۵ – ۱۶.

[۳] ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص ۱۶۵.

[۴] الماوردى: أدب الدين والدنيا، ص ۱۱۱.

[۵] أبو حامد الغزالى: الإقتصاد فى الاعتقاد، ص ۲۳۴.

[۶] الآمدى: غاية المرام فى علم الكلام، ص ۲۳۴.

[۷] ستجد مصادر هذا الحديث وتفاصيل بشرحه فى الفصل الأول من القسم الثانى.

[۸] محمد سليم العوا، فى النظام السياسى للدولة الإسلامية، ص ۷۱.

[۹] عبد الملك الجوينى، غياث الأمم، ص ۷۵.]

[۱۰] صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبى بكر، ج ۵ ص ۲۴۷.

[۱۱] المصدر السابق، ص ۲۴۸.

[۱۲] ابن حجر الصواعق المحرقة، ص ۲۰.

[۱۳] المصدر نفسه، ص ۲۰.

[۱۴] المصدر نفسه، ص ۲۰.

[۱۵] ابن الجوزى: صفوة الصفوة.

[۱۶] عبد الملك الجوينى، الإرشاد، ص ۴۲۴.

[۱۷] تفسیر القرطبی، ج ۱ ص ۲۶۰.

[۱۸] الأیجی، المواقف، ص ۴۰۰.

[۱۹] الماوردی، الأحکام السلطانیهٔ، ص ۷.

[۲۰] التفتازانی، شرح المقاصد، ص ۲۷۲.

[۲۱] المصدر نفسه.

[۲۲] الشربینی، مغنی المحتاج، ج ۴ ص ۱۳۱ - ۱۳۲.

[۲۳] صحیح الترمذی، ج ۲ ص ۳۰۸.

[۲۴] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب فضائل علی، ج ۵ ص ۲۷۲، ط دار الثعب.

[۲۵] المستدرک للحاکم، ج ۱ ص ۹۳.

[۲۶] لقد ضعف هذه الروایهٔ کل من البخاری، والنسائی، والذهبی، وغیرهم، وذکر الدکتور أحمد بن حمدان (السنی) فی تحقیقه لکتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنهٔ والجماعهٔ) ص ۸۰ بشأن توثیق هذا الحدیث: سنده ضعیف، وقال یحیی: لیس بشئ ولا یکتب حدیثه، وقال البخاری: منکرالحدیث، وقال النسائی: متروک).

[۲۷] المستدرک علی الصحیحین للحاکم، ج ۲ ص ۳۴۳، ح ۴۷۱۵.

[۲۸] المصدر نفسه، ج ۳ ص ۱۴۹.

[۲۹] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب فضائل الحسن والحسین، ج ۵ ص ۲۸۷.

[۳۰] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب فضائل علی، ص ۲۶۸.

[۳۱] صحیح الترمذی، ج ۲ ص ۲۰۹.

[۳۲] مسند أحمد، ج ۶ ص ۳۰۶.

[۳۳] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب فضائل علی، ج ۵ ص ۲۷۴.

[۳۴] صحیح البخاری، کتاب البیوع، باب ما قیل فی الصواغ، ج ۳ ص ۱۷۱.

[۳۵] المصدر نفسه، کتاب التهجد، ج ۲ ص ۱۲۶.

[۳۶] صحیح البخاری، کتاب المناقب، باب صفهٔ النبی صلی الله علیه وآله وسلم، ج ۴ ص ۴۸۶.

[۳۷] المصدر نفسه، کتاب الدعوات، باب الصلاهٔ علی النبی، ج ۸ ص ۴۵.

[۳۸] هذه الخطبهٔ بالنص الذی أوردناه هی مجمل ما أخرجه العشرات من رجال الحدیث بألفاظ متعددهٔ، فراجع صحیح الترمذی، ج ۶ ص ۲۹۸، وسنن ابن ماجهٔ، ج ۱ ص ۴۳، ومسند أحمد ج ۴ص ۲۸۱، وصواعق ابن حجر ص ۲۵، وخصائص أمیر المؤمنین النسائی ص ۹۳.

[۳۹] السیوطی: الدر المنثور، الخطیب البغدادی تاریخ بغداد.

[۴۰] صحیح الترمذی، ج ۲ ص ۲۹۷.

[۴۱] تفسیر الطبری، أسباب النزول للواحدی، شواهد التنزیل للحسکانی.

[۴۲] الحسکانی شواهد التنزیل ج ۱ ص ۱۴۸.

[۴۳] المصدر نفسه، ج ۱ ص ۱۵۰.

[۴۴] صحیح البخاری، کتاب المغازی، ج ۵ ص ۴۹۲.

[۴۵] سنن الترمذی، کتاب المناقب، باب ۲۰، ح ۳۷۲۰.

[۴۶] صحیح البخاری، کتاب فضائل أصحاب النبی، باب ۹.

[۴۷] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب ۴، ح ۳۲ - (۲۴۰۴).

[۴۸] مسند أحمد ج ۱ ص ۱۱۱، تاریخ الطبری ج ۲ ص ۶۲ - ۶۳.

[۴۹] الریاض النضرة، ج ۲، ص ۱۶۳.

[۵۰] (وإسماعیل والیسع ویونس ولوطا وکلا فضلنا علی العالمین) الأنعام: ۸۶، (واذکر إسماعیلوالیسع وذا الکفل وکل من الأخیار) ص: ۴۸.

[۵۱] مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ج ۱ ص ۲۹۲، ط ۵.

[۵۲] المستدرک علی الصحیحین، ج ۳ ص ۱۲۶.

[۵۳] صحیح الترمذی ج ۲ ص ۲۹۹.

[۵۴] المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۱۲۲.

[۵۵] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، ج ۶ ص ۱۰.

[۵۶] سنن أبی داود، باب المجنون یسرق أو یصیب أحدا.

[۵۷] صحیح البخاری، کتاب المحاربین، باب لا یرجم المجنون والمجنونة.

[۵۸] ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ۱۰۷.

[۵۹] فتح الباری فی شرح صحیح البخاری، ج ۱۷ ص ۱۰۵.

[۶۰] نهج البلاغة، الخطبة رقم ۱۹۰، ج ۲ ص ۱۸۲ - ۱۸۴.

[۶۱] المصدر نفسه، الخطبة رقم ۲۰۸.

[۶۲] کنز العمال، ج ۶ ص ۳۹۲.

[۶۳] البلاذری: أنساب الأشراف ج ۱ ص ۹۸.

[۶۴] ابن سعد: الطبقات الکبری ج ۲ ص ۱۰۱.

[۶۵] ترجمة الإمام علی من تاریخ مدینة دمشق ج ۲ ص ۲۴، رقم ۱۰۴۵.

[۶۶] صحیح مسلم، کتاب الإیمان، باب حب علی کرم الله وجهه، ج ۱ ص ۲۶۲.

[۶۷] صحیح الترمذی، ج ۲ ص ۲۹۹.

[۶۸] المصدر نفسه.

[۶۹] الحاکم: المستدرک علی الصحیحین ج ۳ ص ۱۲۹، وقال (الحاکم): هذا الحدیث صحیح علیشرط مسلم.

[۷۰] المصدر نفسه ج ۳ ص ۱۲۸، وقال (الحاکم): هذا الحدیث صحیح الإسناد.

[۷۱] المصدر نفسه ج ۳ ص ۱۳۵، حدیث صحیح الإسناد.

[۷۲] المصدر نفسه، ج ۳ ص ۱۴۲.

[۷۳] المصدر نفسه، ج ۳ ص ۱۲۱.

[۷۴] المصدر نفسه ج ۳ ص ۱۲۴.

[۷۵] الهیثمی: مجمع الزوائد ج ۷ ص ۲۳۴.

[۷۶] مسند أحمد ج ۳ ص ۳۴.

[۷۷] البغدادی، أصول الدین، ص ۲۷۷.

[۷۸] الباقلانی، التمهید، ص ۱۸۴.

[۷۹] ابن حجر، الصواعق المحرقهٔ، ص ۹.

[۸۰] الباقلانی، التمهید، ص ۱۸۴.

[۸۱] الفخر الرازی، مفاتیح الغیب، ج ۱۰ ص ۱۴۴.

[۸۲] جعفر السبحانی، مع الشیعهٔ الإمامیهٔ، ص ۶۲.

[۸۳] الطباطبائی، المیزان فی تفسیر القرآن ج ۵ ص ۴۰۳.

[۸۴] الباقلانی، التمهید، ص ۱۸۱.

[۸۵] الطحاوی: شرح العقیدهٔ الطحاویهٔ، ص ۳۹۷.

[۸۶] المصدر نفسه، ص ۳۸۷.

[۸۷] سعد الدین التفتازائی، الشرح، ص ۱۸۵ - ۱۸۶.

[۸۸] محمد رضا المظفر، عقائد الإمامیهٔ، ص ۶۸ - ۶۹.

[۸۹] المصدر نفسه.

[۹۰] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابهٔ، ج ۵ ص ۱۳.

[۹۱] المصدر نفسه.

[۹۲] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۲۲ (تحقیق علی شیری).

[۹۳] صحیح البخاری، کتاب المحاربین من أهل الکفر، ج ۴ ص ۵۴۱.

[۹۴] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۲۳.

[۹۵] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابهٔ، ج ۵ ص ۱۴.

[۹۶] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۲۳ - ۲۴.

[۹۷] صحیح البخاری، کتاب المحاربین من أهل الکفر، ج ۸ ص ۵۴۲.

[۹۸] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۲۵.

[۹۹] المصدر نفسه.]

[۱۰۰] المصدر نفسه.

[۱۰۱] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابهٔ، ج ۵ ص ۱۵.

[۱۰۲] المصدر نفسه، ج ۵ ص ۱۴، ج ۸ ص ۵۴۲، ابن قتیبهٔ، ج ۱ ص ۲۷.

[۱۰۳] محمد رضا المظفر، السقیفهٔ، ص ۱۳۴.

[۱۰۴] عباس محمود العقاد، عبقریهٔ عمر، ص ۱۶۵.

[۱۰۵] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۲۹.

[۱۰۶] المصدر نفسه.

[۱۰۷] صحیح البخاری، کتاب المحاربین، ج ۸ ص ۵۴۰.

[۱۰۸] العقاد، عبقریهٔ عمر، ص ۱۶۷.

[۱۰۹] صحیح البخاری، کتاب المغازی، ج ۵ ص ۳۸۲.

[۱۱۰] المظفر، السقیفهٔ، ص ۱۵۱.

[۱۱۱] عبد الحسین شرف الدین الموسوی، المراجعات، ص ۳۸۵ – ۳۸۷.

[۱۱۲] خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، ص ۴۱۸.

[۱۱۳] المظفر، السقیفة، ص ۱۵۶.

[۱۱۴] صحیح البخاری، کتاب المحاربین، ج ۸ ص ۵۴۰.

[۱۱۵] المصدر نفسه، کتاب الخمس، ج ۴ ص ۲۰۸.

[۱۱۶] المصدر السابق، کتاب المغازی، ج ۵ ص ۳۸۲ حدیث رقم ۴۲۴۰ / ۴۲۴۱.

[۱۱۷] ابن الأثیر، منال الطالب، ص ۵۰۱، ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغةج ۱۶ ص ۲۱۱ – ۲۱۳.

[۱۱۸] ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص ۳۷.

[۱۱۹] الریاض النضرة ج ۱ ص ۱۰۰.

[۱۲۰] صحیح البخاری، کتاب الجهاد، باب لا یعذب بعذاب الله.

[۱۲۱] منصور الحرابی، الدولة العربیة الإسلامیة: نشأتها ونظامها السیاسی، ص ۹۴.

[۱۲۲] حسن إبراهیم حسن، تاریخ الإسلام، دار إحیاء التراث العربی، ج ۱ ص ۳۴۴.

[۱۲۳] صحیح مسلم، کتاب الإیمان.

[۱۲۴] تاریخ الخلفاء للسیوطی، دار الکتب العلمیة، بیروت، ص ۵۶ – ۵۷، تاریخ الإسلام، حسنإبراهیم حسن، ج ۱ ص ۳۵۰.

[۱۲۵] ابن حجر، الإصابة فی تمییز الصحابة، ج ۳ ص ۳۳۶.

[۱۲۶] تاریخ الطبری، ج ۳ ص ۲۷۶ – ۲۸۰.

[۱۲۷] المصدر نفسه، وأیضا: العقاد: عبقریة خالد.

[۱۲۸] تاریخ أبی الفداء ج ۱ ص ۱۵۸، وفیات الأعیان ج ۶ ص ۱۴.

[۱۲۹] المصدر نفسه.

[۱۳۰] أنظر: العقاد: عبقریة عمر ص ۱۸۰.

[۱۳۱] تاریخ الطبری، تاریخ دمشق لابن عساکر.

[۱۳۲] المصدر نفسه.

[۱۳۳] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۳۸.

[۱۳۴] المصدر السابق، ص ۳۷.

[۱۳۵] الطبقات الکبری لابن سعد ج ۳ ص ۲۰۶، کنز العمال ص ۲۳۹ حدیث رقم ۴۸۶۰.

[۱۳۶] الطبقات الکبری لابن سعد، ج ۵ ص ۱۸۸.

[۱۳۷] سنن ابن ماجة، ج ۱ ص ۱۶، سنن الدارمی، ج ۱ ص ۸۵.

[۱۳۸] تاریخ ابن کثیر، ج ۸ ص ۱۰۶، کنز العمال، ج ۵ ص ۲۳۹.

[۱۳۹] جامع بیان العلم، ج ۲ ص ۱۲۱.

[۱۴۰] المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری، ج ۱ ص ۱۱۰.

[۱۴۱] کنز العمال، ج ۱ ص ۲۸۵.

[۱۴۲] الأمینی، الغدیر فی الکتاب والسنة والأدب، ج ۶ ص ۲۹۶.

[۱۴۳] عبد الحسین شرف الدین، النص والاجتهاد، ص ۱۴۳.

[۱۴۴] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، ج ۶ ص ۱۱۰، صحیح مسلم، کتاب النکاح باب نکاح المتعهج ۳ ص ۵۵۲.

[۱۴۵] صحیح مسلم، کتاب النکاح، باب نکاح المتعهٔ، ج ۳ ص ۵۵.

[۱۴۶] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، ج ۶ ص ۳۴.

[۱۴۷] فتح الباری بشرح صحیح البخاری، ج ۴ ص ۱۷۷.

[۱۴۸] المصدر السابق، ص ۵۵۵.

[۱۴۹] المصدر نفسه، ص ۵۵۶.

[۱۵۰] المصدر نفسه، ج ۱۱ ص ۷۶.

[۱۵۱] صحیح مسلم، کتاب الحج، باب مذاهب العلماء فی تحلل المعتمر المتمتع، ج ۳ ص ۳۳۲.

[۱۵۲] جامع البیان، الطبری، ج ۵ ص ۹، ط بولاق مصر.

[۱۵۳] التفسیر الکبیر للرازی، ج ۵ ص ۱۵۳.

[۱۵۴] صحیح مسلم، کتاب النکاح، باب نکاح المتعهٔ، ج ۳ ص ۵۵.

[۱۵۵] صحیح البخاری، کتاب الحج، ج ۲ ص ۳۷۱ و ۳۷۴.

[۱۵۶] الجامع الصحیح – سنن الترمذی، ج ۳ ص ۱۸۵ – ۱۸۶، ح ۸۲۴، ط دار الکتب العلمیهٔ – بیروت (غیر مؤرخ).

[۱۵۷] صحیح مسلم بشرح النووی، ج ۲ ص ۴۱۰.

[۱۵۸] صحیح البخاری، کتاب صلاهٔ التراویح، ج ۳ ص ۱۲۶.

[۱۵۹] الموطأ لإمام مالک بن أنس ص ۵۸ حدیث رقم ۱۵۱.

[۱۶۰] سنن البیهقی، ج ۱ ص ۵۲۴ – ۲۵، السیرهٔ الحلبیهٔ ج ۲ ص ۱۰۵.

[۱۶۱] دراسات وبحوث فی التاریخ والإسلام ج ۱ ص ۲۳۸، والنص والاجتهاد ص ۲۳۹.

[۱۶۲] صحیح مسلم، کتاب الطلاق، باب الطلقات الثلاث، ج ۳ ص ۶۶۸.

[۱۶۳] المصدر السابق، ص ۶۷۰.

[۱۶۴] صحیح البخاری، کتاب الجنائز، باب البکاء عند المریض، ج ۲ ص ۲۲۰.

[۱۶۵] صحیح مسلم، کتاب الجنائز، ج ۲ ص ۵۹۰.

[۱۶۶] المصدر السابق.

[۱۶۷] صحیح البخاری، کتاب الجنائز، باب البکاء عند المریض، ج ۲ ص ۲۲۰ – ۲۱.

[۱۶۸] صحیح مسلم، کتاب الجنائز، ج ۲ ص ۵۹۳ – ۵۹۴.

[۱۶۹] سنن البیهقی، ج ۸ ص ۳۱۲. العقد الفرید لابن عبد ربه، ج ۳ ص ۴۷۰.

[۱۷۰] راجع مصادر هاتین الحادثتین فی موضع سابق من هذا الکتاب.

[۱۷۱] الجوهرهٔ النیرهٔ علی مختصر القدوری فی الفقه الحنفی، ج ۱ ص ۱۶۴.

[۱۷۲] طبقات ابن سعد، ج ۳ ص ۲۴۸.

[۱۷۳] تاریخ الطبری (وفاهٔ عمر بن الخطاب).

[۱۷۴] ابن قتیبهٔ الدینوری، الإمامهٔ والسیاسهٔ، ج ۱ ص ۴۲ – ۴۳.

[۱۷۵] طبقات ابن سعد ج ۳ ص ۶۱، تاریخ الطبری، تاریخ ابن الأثیر.

[۱۷۶] خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، ص ۲۷۲.

[۱۷۷] صحیح البخاری، کتاب الأحکام، باب کیف یبایع الإمام الناس.

[۱۷۸] المسعودی، مروج الذهب: ۲ / ۲۳۰.

[۱۷۹] المودودی، الخلافة والملک (تعریب أحمد إدریس)، ص ۶۵.

[۱۸۰] المصدر السابق، ص ۶۵ – ۶۶.

[۱۸۱] المودودی: الخلافة والملک، (تقریب أحمد إدریس)، ص ۶۶ – ۶۷.

[۱۸۲] تاریخ الطبری ج ۳ ص ۲۹۶، البدایة والنهایة ج ۷ ص ۱۷۲.

[۱۸۳] أسیر، هل قوت أبا ذر ۴، ص ۹۰.

[۱۸۴] صحیح البخاری، کتاب الزکاة، ج ۲ ص ۲۷۸.

[۱۸۵] خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، ص ۷۹.

[۱۸۶] تاریخ الطبری ج ۵ ص ۱۳۴.

[۱۸۷] صحیح مسلم، کتاب الحدود، باب حد الخمر. الخلافة والملک للمودودی ص ۶۷ – ۶۸.

[۱۸۸] تاریخ الیعقوبی، شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید.

[۱۸۹] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة ج ۱ ص ۵۰ – ۵۱.

[۱۹۰] تاریخ الطبری ج ۵ ص ۱۷۲، تاریخ ابن الأثیر، ابن سعد: الطبقات الکبری ۳ / ۶۶.

[۱۹۱] ابن سعد، الطبقات الکبری، ج ۳ ص ۶۶.

[۱۹۲] أبو الأعلی المودودی، الخلافة والملک، ص ۷۵.

[۱۹۳] الأدیب، دور أئمة البیت فی الحیاة السیاسة، ص ۸۶.

[۱۹۴] نهج البلاغة، ج ۱، ص ۵۹.

[۱۹۵] نهج البلاغة، ج ۱ ص ۲۱۷.

[۱۹۶] المصدر السابق، ص ۴۳۸.

[۱۹۷] المصدر السابق، ص ۵۹.

[۱۹۸] الأدیب، دور أئمة أهل البیت فی الحیاة السیاسة، ص ۸۹ – ۹۰.

[۱۹۹] شرح نهج البلاغة لمحمد عبده، ج ۱ ص ۲۶۹.

[۲۰۰] نهج البلاغة ج ۱ ص ۵۹.

[۲۰۱] تقدیم کتاب (تاریخ الإمامیة وأسلافهم من الشیعة) للدکتور عبد الله فیاض.

[۲۰۲] المودودی: الخلافة والملک، م. س.

[۲۰۳] تاریخ الطبری، دار المعارف، ط ۵، القاهرة، ج ۴ ص ۴۵۹.

[۲۰۴] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۷۰ – ۷۲.

[۲۰۵] المصدر السابق، ص ۸۷ – ۸۸.

[۲۰۶] المصدر السابق، ص ۸۸ – ۸۹.

[۲۰۷] مروج الذهب، ج ۲ ص ۴۰۰ – ۴۰۲.

[۲۰۸] ابن قتیبة الدینوری، الإسلامیة والسیاسة، ج ۲ ص ۹۵.

[۲۰۹] ابن الصباغ المالکی، الفصول المهمة، ص ۹۳.

[۲۱۰] ابن قتیبة الدینوری، الإمامیة والسیاسة، ج ۱ ص ۱۳۵.

[۲۱۱] ابن الجوزی، تذکره الخواص، ص ۷۹.

[۲۱۲] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۱۵۷.

[۲۱۳] المودودی، الخلافة والملک، ص ۸۲.

[۲۱۴] الحسنی، سیرة الرسول وخلفائه، ج ۷ ص ۱۹۶.

[۲۱۵] المصدر السابق، ص ۲۰۲ – ۲۰۳.

[۲۱۶] المصدر السابق، ص ۲۲۲.

[۲۱۷] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة ج ۱ ص ۱۷۰ (بتوصیف).

[۲۱۸] المسعودی، مروج الذهب، ج ۲ ص ۴۲۰.

[۲۱۹] المصدر نفسه.

[۲۲۰] علی فضل الله الحسنی، سیرة الرسول وخلفائه، ج ۷ ص ۲۹۱.

[۲۲۱] المصدر السابق، ص ۳۰۲.

[۲۲۲] مروج الذهب للمسعودی ج ۳ ص ۳۰، وانظر کذلک الإستیعاب.

[۲۲۳] محمد دشتی: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ۲۱ خطبة رقم (۲۷).

[۲۲۴] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۱۷۹ – ۸۰.

[۲۲۵] المصدر السابق، ص ۱۸۲.

[۲۲۶] المسعودی مروج الذهب ج ۲ ص ۴۶۴.

[۲۲۷] تاریخ ابن کثیر ج ۸ ص ۱۳۱، مقاتل الطالبیین للأصفهانی ص ۷۰.

[۲۲۸] راضی آل یاسین، صلح الحسن، ص ۲۸۷.

[۲۲۹] مروج الذهب للمسعودی، ج ۲ ص ۲۹۰.

[۲۳۰] المصدر السابق، ص ۵۰.

[۲۳۱] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة، السیاسة، ج ۱ ص ۱۹۶.

[۲۳۲] تاریخ ابن کثیر، ج ۸ ص ۱۳۱.

[۲۳۳] مقاتل الطالبیین للأصفهانی.

[۲۳۴] الأمینی، الغدیر فی الکتاب والسنة والأدیب، ج ۲ ص ۱۰۲.

[۲۳۵] المصدر السابق.

[۲۳۶] المصدر السابق، ج ۱۰ ص ۲۶۰.

[۲۳۷] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب فضائل علی، ج ۵ ص ۲۶۸.

[۲۳۸] المصدر السابق، ص ۲۷۴.

[۲۳۹] صحیح البخاری، کتاب العیدین، باب الخطبة بعد العید، ج ۲ ص ۴۲.

[۲۴۰] المصدر السابق، کتاب العیدین، باب الخروج إلی المصلی بغیر منبر، ج ۲ ص ۴۰.

[۲۴۱] تاریخ الطبری، ج ۶ ص ۹۶.

[۲۴۲] المصدر السابق، ج ۶ ص ۱۵۵ – ۶۰.

[۲۴۳] مسند أحمد ج ۵ ص ۳۴۷، تاریخ ابن عساکر ج ۷ ص ۲۱۱.

[۲۴۴] العقد الفرید فی تاریخ الخلفاء، ج ۳ ص ۱۳۰ – ۳۱.

[۲۴۵] أبو الفرج الأصفهانی، مقاتل الطالبین، ص ۴۳.

[۲۴۶] الإستیعاب ج ۲ ص ۳۹۶، أسد الغابة ج ۳ ص ۲۸۹.

[۲۴۷] ابن الأثیر ج ۳ ص ۲۱۶ – ۱۸، العقد الفرید ج ۳ ص ۱۳۰ – ۳۱.

[۲۴۸] تاریخ الطبری، ج ۶ ص ۱۸۸.

[۲۴۹] ابن الأعثم، ج ۵ ص ۱۷.

[۲۵۰] البدایة والنهایة لابن کثیر ج ۸ ص ۱۴۸.

[۲۵۱] ابن الأعثم، ج ۵ ص ۱۵۰.

[۲۵۲] تاریخ الطبری ج ۶ ص ۲۰۰.

[۲۵۳] عبد الرزاق الموسوی، مقتل الحسین، ص ۱۵۰، نقلا عن الإرشاد للشیخ المفید.

[۲۵۴] جعفریان، الحیاة الفکریة والسیاسة لأئمة أهل البیت، ص ۱۲۸.

[۲۵۵] ابن قتیبة الدینوری، الأخبار الطوال، ص ۲۵۴.

[۲۵۶] تاریخ الطبری ج ۴ ص ۳۲۶.

[۲۵۷] المصدر السابق، ج ۶ ص ۲۴۹.

[۲۵۸] البدایة والنهایة لابن کثیر ج ۸ ص ۱۸۲.

[۲۵۹] روح المعانی للآلوسی ج ۲۶ ص ۷۳.

[۲۶۰] من الجدیر ذکره أن الإمام علی بن الحسین قام باسترجاع الرؤوس وألحقها بالأبدان ودفنها.

[۲۶۱] البدایة والنهایة لابن کثیر، ج ۸ ص ۲۶۵.

[۲۶۲] المصدر نفسه ص ۲۳۹.

[۲۶۳] المصدر نفسه ص ۲۳۹.

[۲۶۴] تاریخ الطبری ج ۷ ص ۱۳.

[۲۶۵] المصدر السابق ج ۵ ص ۴۹۸.

[۲۶۶] مروج الذهب للمسعودی ج ۳ ص ۸۹.

[۲۶۷] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۲ ص ۲۳.

[۲۶۸] المصدر السابق، ص ۳۲.

[۲۶۹] تاریخ الطبری، ج ۷ ص ۱۰۲.

[۲۷۰] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۲ ص ۳۹.

[۲۷۱] صحیح مسلم، کتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمین، ج ۴ ص ۵۱۷.

[۲۷۲] مسند أحمد، ج ۳ ص ۴۴۶.

[۲۷۳] صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب غزوة خیبر، ج ۵ ص ۳۸۲.

[۲۷۴] المصدر السابق، کتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة، ج ۵ ص ۷۵.

[۲۷۵] المصدر السابق، کتاب الاستئذان، باب من ناجی بین یدی رسول الله، ج ۸ ص ۲۰۲.

[۲۷۶] المصدر السابق، کتاب فضائل الصحابة، باب مناقب فاطمة، ج ۵ ص ۷۵.

[۲۷۷] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۸۲.

[۲۷۸] تاریخ ابن کثیر، ج ۶ ص ۲۲۱.

[۲۷۹] العقد الفرید لابن عبد ربه، ج ۳ ص ۱۰۸.

[۲۸۰] تاریخ ابن کثیر، ج ۶ ص ۲۲۱.

[۲۸۱] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۸۲.

[۲۸۲] صحیح البخاری، کتاب الخمس، باب ما جاء فی بیوت أزواج النبی، ج ۴ ص ۲۱۷.

[۲۸۳] المصدر السابق، کتاب الفتن، باب الفتنة التی تموج کموج البحر، ج ۹ ص ۱۷۱.

[۲۸۴] المصدر السابق، کتاب التفسیر، باب لولا إذ سمعتموه، ج ۶ ص ۲۵۲.

[۲۸۵] المصدر السابق، کتاب الوضوء، باب حب النبی صلی الله علیه وآله وسلم وضوءهعلی المغمی علیه، ج ۱ ص ۱۳۳.

[۲۸۶] مستدرک الحاکم، ج ۲ ص ۱۴۸.

[۲۸۷] صحیح البخاری، کتاب الجهاد، باب مسح الغبار عن الرأس، ج ۴ ص ۵۲.

[۲۸۸] صحیح مسلم، کتاب الإمارة، ج ۴ ص ۵۱۹.

[۲۸۹] المصدر السابق، ص ۵۱۱ – ۱۲.

[۲۹۰] المصدر السابق، ص ۵۱۲.

[۲۹۱] المصدر السابق، کتاب البر والصدقة والآداب، باب من لعنة النبی، ج ۵ ص ۴۶۲.

[۲۹۲] المصدر السابق، کتاب الطلاق، باب المطلقة البائن، ج ۳ ص ۶۹۳.

[۲۹۳] تاریخ الطبری، ج ۱۱ ص ۳۵۷.

[۲۹۴] مسند أحمد، ج ۴ ص ۴۲۱.

[۲۹۵] صحیح مسلم، کتاب الإمارة، ج ۴ ص ۵۱۷.

[۲۹۶] المصدر السابق، ج ۴ ص ۲۸۲.

[۲۹۷] صحیح البخاری، کتاب الإمارة، باب الناس تبع لقریش، حدیث ۱۸۲۱.

[۲۹۸] مسند أحمد، ج ۱ ص ۳۸۹.

[۲۹۹] محمد حسین الطباطبائی، المیزان فی تفسیر القرآن، ۵ / ۲۴۴، وانظر أیضا: تفسیر شبر ص ۱۰۹.

[۳۰۰] التوراة (نقلا عن نسخة بالإنجلیزیة)، سفر التکوین (۱۷: ۲۰).

[۳۰۱] مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ج ۱ ص ۵۴۷، نقلا عن فرائد السمطین للجوینی.

[۳۰۲] المصدر السابق، ج ۱ ص ۵۴۸.

[۳۰۳] المصدر السابق، ج ۱ ص ۵۸۴.

[۳۰۴] المصدر السابق، ج ۱ ص ۵۴۷.

[۳۰۵] السیوطی، تاریخ الخلفاء، ص ۱۲.

[۳۰۶] ابن حجر، فتح الباری بشرح صحیح البخاری، ج ۳ ص ۱۸۲.

[۳۰۷] المصدر السابق.

[۳۰۸] شرح النووی علی صحیح مسلم، ج ۴ ص ۳۸۲ – ۸۳.

[۳۰۹] شرح ابن العربی علی سنن الترمذی، ج ۹ ص ۶۸ - ۶۹.

[۳۱۰] عبد الله شبر، تفسیر القرآن الکریم، ص ۲۶۰.

[۳۱۱] تجد تفاصیل ذلک مع المصادر فی الفصل الثانی.

[۳۱۲] مناقب أمیر المؤمنین لابن المغازلی ص ۱۹۷.

[۳۱۳] کنوز الحقائق ص ۱۲۹.

[۳۱۴] مستدرک الحاکم ج ۳ ص ۱۰۷.

[۳۱۵] الفصول المهمة لابن المالکی ص ۱۵۱.

[۳۱۶] تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۲۶.

[۳۱۷] تجد تفاصیل أو فی حول هذه المأساة فی الفضل الرابع.

[۳۱۸] مقتل الخوارزمی ج ۲ ص ۴۳.

[۳۱۹] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۶ ص ۴۴۱.

[۳۲۰] تجد تفاصیل عن نشأة هذه الحرکة فی الفصل الخامس من هذا الکتاب.

[۳۲۱] تذکرة الحفاظ ج ۱ ص ۱۵۷.

[۳۲۲] الإرشاد للمفید ص ۳۸۹.

[۳۲۳] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۶ ص ۴۵۵.

[۳۲۴] الحومانی، أشعة من حیاة الإمام جعفر الصادق علیه السلام، ص ۴۱.

[۳۲۵] المصدر السابق.

[۳۲۶] علی محمد دخیل، أئمتنا، ج ۲ ص ۱۴۰.

[۳۲۷] رسول جعفریان، الحیاة الفکریة والسیاسة لأئمة أهل البیت، ج ۲ ص ۱۰۳.

[۳۲۸] الشیخ المفید، الفصول المختارة من العیون والمحاسن، ص ۲۵۶.

[۳۲۹] رسول جعفریان، الحیاة الفکریة والسیاسیة لأئمة أهل البیت، ج ۲ ص ۱۰۵.

[۳۳۰] جعفر السبحانی، مشهد من حیاة أئمة الإسلام، ص ۶۹.

[۳۳۱] ابن أشوب مناقب آل أبی طالب، ج ۴ ص ۴۰۱.

[۳۳۲] مرت تفاصیل عن هذه الفرق والمذاهب فی الفصل الخامس.

[۳۳۳] مروج المذهب للمسعودی، ج ۴ ص ۱۱.

[۳۳۴] وفیات الأعیان لابن خلکان، ج ۲ ص ۹۴.

[۳۳۵] صحیح الترمذی ج ۹ ص ۷۴، مسند أحمد ج ۱ ص ۳۷۶.

[۳۳۶] المستدرک للحاکم ج ۴ ص ۵۵۷، مسند أحمد ج ۳ ص ۳۶.

[۳۳۷] صحیح ابن ماجة، باب الجهاد.

[۳۳۸] صحیح مسلم، باب نزول عیسی ج ۱ ص ۳۷۳.

[۳۳۹] فتح الباری بشرح صحیح البخاری، ج ۵ ص ۳۶۲.

[۳۴۰] صحیح البخاری، کتاب الفتن، ج ۹ ص ۱۴۴.

[۳۴۱] سیری تفاصیل هذه الحادثة فی الصفحات اللاحقة من هذا الکتاب.

[۳۴۲] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابة، باب مناقب زید، ج ۵ ص ۵۷.

[۳۴۳] عبد الفتاح أبو غدة، لمحات من تاریخ السنة وعلوم الحدیث، ص ۲۰.

[۳۴۴] محمد باقر الصدر، أهل البیت: تعدد أدوار ووحدة، ص ۸۸.

[۳۴۵] صحیح البخاری.

[۳۴۶] صحیح البخاری، کتاب الفتن، باب واتقوا فتنة لا تصیبن الذین ظلموا منکم، ج ۹ ص ۱۴۴.

[۳۴۷] المصدر السابق.

[۳۴۸] صحیح البخاری.

[۳۴۹] صحیح مسلم، کتاب القدر، ج ۵ ص ۵۰۴.

[۳۵۰] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، باب قوله (والرسول یدعوکم فی أخراکم)، ج ۶ ص ۶۷.

[۳۵۱] المصدر نفسه، کتاب الجهاد، باب قوله - من المؤمنین رجال صدقوا -، ج ۴ ص ۴۷.

[۳۵۲] صحیح البخاری، کتاب الإیمان، ج ۶ ص ۲۸.

[۳۵۳] المصدر نفسه.

[۳۵۴] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، ج ۶ ص ۳۹۱.

[۳۵۵] المصدر نفسه، باب قوله - سواء علیهم استغفرت لهم، ج ۶ ص ۳۹۷.

[۳۵۶] المصدر نفسه، کتاب الشهادات، ج ۳ ص ۵۰۸.

[۳۵۷] ابن حجر، الإصابة فی تمییز الصحابة، ج ۱ ص ۴۸۴.

[۳۵۸] صحیح البخاری، کتاب الشروط.

[۳۵۹] صحیح مسلم، کتاب الجهاد والسیر، ج ۴.

[۳۶۰] صحیح البخاری، کتاب المغازی، ج ۵ ص ۴۴۰.

[۳۶۱] المصدر نفسه، کتاب الجهاد، ج ۴ ص ۱۲۲.

[۳۶۲] صحیح مسلم، کتاب البر والصدقة، باب من لعنة النبی، ج ۵ ص ۴۶۲.

[۳۶۳] المصدر نفسه، کتاب الطلاق، باب المطلقة البائن، ج ۳ ص ۶۹۳.

[۳۶۴] مسند أحمد، ج ۴ ص ۴۲۱، ط دار إحیاء التراث.

[۳۶۵] صحیح البخاری کتاب الحج، باب الخطبة أیام منی، ج ۲ ص ۴۶۲.

[۳۶۶] راجع تفاصیل ذلک فی القسم، الفصل الأول من هذا الکتاب.

[۳۶۷] أیضا.

[۳۶۸] خالد محمد خالد، خلفاء الرسول، ص ۴۱۸.

[۳۶۹] راجع قسم ۲ فصل من هذا الکتاب.

[۳۷۰] مسند أحمد، ج ۱ ص ۶.

[۳۷۱] أبو الأعلی المودودی،، الخلافة والملک، ص ۷۱.

[۳۷۲] المصدر السابق، ص ۷۷.

[۳۷۳] المصدر نفسه، ص ۷۸.

[۳۷۴] محمد الغزالی، مئة سؤال وجواب، ج ۲، ص ۳۵۳.

[۳۷۵] راجع قسم ۲ فصل ۴ من هذا الکتاب.

[۳۷۶] راجع قسم ۲ فصل ۸ من هذا الکتاب.

[۳۷۷] سعید أیوب، معالم الفتن ج ۲ ص ۴۵۸ - ۴۵۹، نقلا عن سید قطب، کتب وشخصیات.

[۳۷۸] عبد الفتاح أبو غدة، لمحات من تاریخ السنة وعلوم الحدیث، ص ۴۶ - ۴۷.

[۳۷۹] صحیح مسلم، کتاب الإمارة ج ۴ ص ۴۸۱.

[۳۸۰] المصدر نفسه.

[۳۸۱] المصدر نفسه.

[۳۸۲] صحیح البخاری، کتاب الفضائل، باب حب الأنصار من الإیمان ج ۵ ص ۸۴.

[۳۸۳] هاشم معروف الحسنی، الموضوعات فی الأخبار والآثار، ص ۱۲۴.

[۳۸۴] المصدر نفسه، ص ۱۱۵.

[۳۸۵] شرح نهج البلاغة لابن أبی الحدید، ج ۳ ص ۱۳.

[۳۸۶] هاشم معرون الحسنی، الموضوعات فی الآثار والأخبار، ص ۱۱۷.

[۳۸۷] أحمد أمین، ضحی الإسلام، ج ۲ ص ۱۲۳.

[۳۸۸] عبد المتعال الجبری، حوار مع الشیعة حول الخلفاء الراشدین وبنی أمیة، ص ۲۲۲ نقلا عن کتابالمناقب للترمذی.

[۳۸۹] المصدر نفسه.

[۳۹۰] المصدر نفسه.

[۳۹۱] المصدر نفسه، نقلا عن کتاب البدایة والنهایة ج ۸ ص ۱۲۳.

[۳۹۲] المصدر نفسه.

[۳۹۳] المصدر نفسه، ص ۱۲۳، نقلا عن البدایة والنهایة ص ۲۱۹.

[۳۹۴] راجع قسم ۳ فصل ۱ من هذا الکتاب.

[۳۹۵] أنظر المصادر فی موقع سابق.

[۳۹۶] صحیح مسلم، کتاب البر والصدقة والأب، باب من لعنة النبی صلی الله علیه وآله وسلم ج ۵ ص ۴۵۸.

[۳۹۷] المصدر نفسه.

[۳۹۸] صحیح البخاری، کتاب العلم، باب حفظ العلم، ج ۱ ص ۸۹.

[۳۹۹] المصدر نفسه، ص ۸۸.

[۴۰۰] البدایة والنهایة، ج ۸ ص ۱۰۶.

[۴۰۱] المصدر نفسه، ص ۱۰۹.

[۴۰۲] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبی طالب، ج ۵ ص ۴۷.

[۴۰۳] أخرجه الترمذی ج ۱۳ ص ۱۸۹. والحاکم بإسناد صحیح.

[۴۰۴] صحیح البخاری، کتاب الإعتصام بالکتاب والسنة، باب ما ذکر علی اتفاق أهل العلم، ج ۹ ص۳۱۷.

[۴۰۵] أخرجه ابن عساکر وابن عدی والخطیب البغدادی.

[۴۰۶] أحمد أمین، ضحی الإسلام، ج ۲ ص ۱۳۹.

[۴۰۷] الذهبی، سیرة أعلام النبلاء، ج ۲ ص ۳۲.

[۴۰۸] صحیح البخاری، کتاب الجنائز، ج ۲ ص ۲۳۶، صحیح مسلم، کتاب الفضائل باب من فضائلموسی ج ۵ ص ۲۲۲.

[۴۰۹] محمد الغزالی، السنة النبویة بین أهل الفقه وأهل الحدیث، ص ۲۸.

[۴۱۰] شرح النووی علی صحیح مسلم، ج ۵ ص ۲۲۳، کتاب الفضائل، باب من فضائل موسی.

[۴۱۱] صحیح مسلم، کتاب الإیمان باب الاستثناء فی الیمین وغیرها، ج ۴ ص ۱۹۹ - ۲۰۱.

[۴۱۲] المصدر نفسه.

[۴۱۳] صحیح البخاری، کتاب التفسیر، باب قوله - وهل من مزید - ج ۶ ص ۳۵۳.

[۴۱۴] المصدر نفسه، کتاب بدء الخلق، ج ۴ ص ۳۲۴.

[۴۱۵] المصدر السابق، کتاب الاستئذان، ج ۸ ص ۱۶۰.

[۴۱۶] المصدر السابق، کتاب التفسیر، ج ۶ ص ۳۱۱.

[۴۱۷] المصدر السابق، کتاب التهجد، ج ۲ ص ۱۳۶.

[۴۱۸] المصدر السابق، کتاب الغسل، باب من اغتسل عریانا وحدة فی خلوة، ج ۱ ص ۱۶۹.

[۴۱۹] المصدر السابق، کتاب الأذان، باب فضل التأذین، ج ۱ ص ۳۳۶.

[۴۲۰] المصدر السابق، کتاب المزارعة، باب استعمال البقر للحراثة، ج ۳ ص ۲۹۷.

[۴۲۱] المصدر السابق، کتاب بدء الخلق، باب ما جاء فی وصف الجنة، ج ۴ ص ۳۰۶.

[۴۲۲] المصدر السابق، کتاب الدیات، باب من أخذ حقه أو اقتص دون السلطان، ج ۹ ص ۱۸.

[۴۲۳] المصدر السابق، کتاب اللباس، باب لا یمشی فی نعل واحدة، ج ۷ ص ۴۹۶.

[۴۲۴] صحیح مسلم، کتاب الرضاع، حکم رضاعة الکبیر، ج ۳ ص ۶۳۳.

[۴۲۵] المصدر نفسه، ص ۶۳۵.

[۴۲۶] المصدر نفسه، ص ۶۳۳.

[۴۲۷] المصدر نفسه، ص ۶۳۴.

[۴۲۸] المصدر نفسه، بشرح النووی، ص ۶۳۴.

[۴۲۹] صحیح البخاری، کتاب التوحید، باب وجوه یومئذ ناضرة، ج ۹ ص ۳۹۶.

[۴۳۰] المصدر نفسه، کتاب التفسیر، باب قوله - فسبح بحمد ربک -، ج ۶ ص ۳۵۵.

[۴۳۱] المصدر نفسه، باب سورة النجم، ص ۳۵۹.

[۴۳۲] صحیح البخاری، کتاب بدء الخلق، باب صفة إبلیس وجنوده، ج ۴ ص ۳۱۹.

[۴۳۳] صحیح البخاری، کتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر بحسبان، ج ۴ ص ۳۸۲.

[۴۳۴] المصدر نفسه، کتاب التهجد، ج ۲ ص ۱۳۵.

[۴۳۵] ابن حجر فی مقدمة شرحه علی صحیح البخاری ج ۱، ص ۵، ط دار إحیاء التراث العربی،بیروت.

[۴۳۶] المصدر نفسه.

[۴۳۷] النووی فی مقدمة شرحه علی صحیح مسلم، ج ۱ ص ۱۰، ط دار الشعب، القاهرة.

[۴۳۸] المصدر نفسه، ص ۱۱.

[۴۳۹] ابن أبی الحدید، شرح نهج البلاغة، أنظر ص ۱۳، ۱۵، ۱۶.

[۴۴۰] النووی فی مقدمة شرحه علی صحیح مسلم، ج ۱ ص ۲۸.

[۴۴۱] المصدر نفسه.

[۴۴۲] التدریب للسیوطی ص ۲۱۳ نقلا عن شرح التلقیح للقرافی.

[۴۴۳] النووی فی شرحه علی صحیح مسلم، ج ۵ ص ۲۴۲.

[۴۴۴] المصدر السابق.

[۴۴۵] المصدر نفسه، ج ۵ ص ۲۴۲ - ۲۴۳.

[۴۴۶] د. رویعی الرحیلی، فقه عمر بن الخطاب، ج ۱ ص ۵۹.

[۴۴۷] الحافظ ابن کثیر، الباعث الحثیث، ص ۱۸۱.

[۴۴۸] ابن حجر الملکی، الصواعق المحرقة، ص ۵ نقلا عن الترمذی.

[۴۴۹] المصدر نفسه.

[۴۵۰] المصدر نفسه.

[۴۵۱] المصدر نفسه.

[۴۵۲] المصدر نفسه.

[۴۵۳] المصدر نفسه.

[۴۵۴] الرحیلی، فقه عمر) ج ۱ ص ۶۰، نقلا عن الموافقات ج ۴ ص ۲۶۹.

[۴۵۵] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبی بکر، ج ۵ ص ۲۴۷.

[۴۵۶] هو من أکثر ما اشتهر عند أهل السنة بشأن فضائل أبی بکر، ولکننا لم نهتد إلی مصدره.

[۴۵۷] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أبی بکر، ج ۵ ص ۲۴۵.

[۴۵۸] النووی فی شرحه علی صحیح مسلم، ج ۵ ص ۲۴۴.

[۴۵۹] المصدر السابق.

[۴۶۰] الرحیلی، فقه عمر، ج ۱ ص ۵۷.

[۴۶۱] المصدر السابق.

[۴۶۲] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، ج ۵ ص ۲۵۸.

[۴۶۳] المصدر نفسه.

[۴۶۴] المصدر نفسه، ص ۲۵۹.

[۴۶۵] المصدر نفسه.

[۴۶۶] المصدر نفسه.

[۴۶۷] الرحیلی، فقه عمر، ج ۱ ص ۵۶.

[۴۶۸] المصدر نفسه، ص ۳۳ نقلا عن سنن الترمذی.

[۴۶۹] المصدر نفسه، ص ۳۴.

[۴۷۰] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عمر، ج ۵ ص ۲۵۹.

[۴۷۱] الرحیلی، فقه عمر، ج ۱ ص ۲۴، نقلا عن الموافقات ج ۲ ص ۲۵۱.

[۴۷۲] الرحیلی، فقه عمر، ج ۱ ص ۲۴، نقلا عن فتح الباری، ج ۸ ص ۵۲۶.

[۴۷۳] الرحیلی، فقه عمر، ج ۱ ص ۲۵، نقلا عن صحیح مسلم.

[۴۷۴] النووی، شرح صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل الصحابهٔ، بابفضائل عمر، ج ۵ ص ۴۶۰ - ۴۶۱.

[۴۷۵] الرحیلی، فقه عمر بن الخطاب، ج ۱ ص ۲۸.

[۴۷۶] صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب مرض النبی ووفاته، ج ۵ ص ۵۱۱.

[۴۷۷] صحیح مسلم، کتاب الوصیهٔ، باب ترک الوصیهٔ، ج ۴ ص ۱۷۱.

[۴۷۸] صحیح البخاری، کتاب المرضی، باب قول النبی - قوموا عنی -، ج ۷ ص ۳۸۹، وصحیح مسلم،کتاب الوصیهٔ، باب ترک الوصیهٔ، ج ۴ ص ۱۷۶.

[۴۷۹] المصدر نفسه، ص ۱۷۵.

[۴۸۰] السقیفهٔ لأبی بکر الجوهری.

[۴۸۱] أبو بکر الرازی، مختار الصحاح، ص ۶۹۰، وأنظر صحیح مسلم بشرح النووی ج ۴ ص ۱۷۴.

[۴۸۲] صحیح مسلم بشرح النووی، ج ۴ ص ۱۷۲.

[۴۸۳] المصدر نفسه.

[۴۸۴] المصدر نفسه.

[۴۸۵] المصدر نفسه.

[۴۸۶] المصدر نفسه، ص ۱۷۳.

[۴۸۷] صحیح البخاری، کتاب التعبیر، باب أول ما بدی به رسول الله صلی الله علیه وآله وسلم، ج ۹ ص ۹۳.

[۴۸۸] المصدر نفسه، کتاب الدعوات، باب قوله تعالی - وصل علیهم -، ج ۸ ص ۲۳۴.

[۴۸۹] صحیح مسلم، کتاب صلاهٔ المسافرین وقصرها، باب فضائل القرآن، ج ۲ ص ۴۴۳.

[۴۹۰] المصدر نفسه، ص ۴۴۴.

[۴۹۱] المصدر نفسه.

[۴۹۲] صحیح مسلم، کتاب صلاهٔ المسافرین وقصرها، باب قضاء الصلاهٔ الفائتهٔ، ج ۲ ص ۳۲۵.

[۴۹۳] صحیح البخاری، کتاب الأذان، باب قول الرجل للنبی - ما صلینا - ج ۱ ص ۳۴۹.

[۴۹۴] المصدر نفسه، کتاب الغسل، باب إذا ذکر فی المسجد أنه جنب، ج ۱ ص ۱۶۸.

[۴۹۵] المصدر نفسه، کتاب الأدب، ما یجوز من ذکر الناس، ج ۸ ص ۴۸ ۸.

[۴۹۶] صحیح مسلم، کتاب صلاهٔ المسافرین وقصرها، باب جواز صلاهٔ النافلهٔ علی الدابهٔ حیثتوجهت، ج ۲ ص ۳۵۳.

[۴۹۷] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل عائشهٔ، ج ۵ ص ۷۷.

[۴۹۸] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل عائشهٔ، ج ۵ ص ۲۹۹.

[۴۹۹] صحیح البخاری، کتاب الهبهٔ، باب هبهٔ المرأهٔ لغیر زوجها، ج ۳ ص ۴۶۲.

[۵۰۰] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل عائشهٔ، ج ۵ ص ۲۹۶.

[۵۰۱] صحیح البخاری، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل عائشهٔ، ج ۵ ص ۷۸.

[۵۰۲] صحیح مسلم، کتاب فضائل الصحابهٔ، باب فضائل عائشهٔ، ج ۵ ص ۲۹۶ - ۲۹۸.

[۵۰۳] صحیح البخاری، کتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد ومن دار علی نسائه فی غسل واحد، ج ۱ص ۱۶۵.

[۵۰۴] المصدر نفسه، کتاب الطب، باب السحر، ج ۷ ص ۴۴۴.

[۵۰۵] المصدر السابق، کتاب الأدب، باب إن الله یأمر بالعدل والإحسان، ج ۸ ص ۵۷.

[۵۰۶] صحیح مسلم، کتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا النبی علی سبیل الرأی، ج ۵ص ۲۱۲ - ۲۱۳.

[۵۰۷] المصدر نفسه.

[۵۰۸] المصدر نفسه.

[۵۰۹] المصدر نفسه.

[۵۱۰] أسباب النزول للواحدی، ص ۲۵۲.

[۵۱۱] فخر الدین الرازی، عصمة الأنبیاء، ۹۵.

[۵۱۲] محمد حسین الطباطبائی: المیزان فی تفسیر القرآن، ج ۲ ص ۲۲۳.

[۵۱۳] صحیح البخاری، کتاب اللباس القمیص، ج ۷ ص ۴۶۲.

[۵۱۴] المصدر نفسه، کتاب الجنائز، ج ۲ ص ۲۵۲.

[۵۱۵] صحیح مسلم، کتاب الجهاد والسیر، ج ۴ ص ۳۷۷.

[۵۱۶] السیرة النبویة للدحلانی، ج ۱ ص ۵۱۲.

[۵۱۷] بتصرف عن النص والاجتهاد ص ۳۲۲ - ۳۲۳، والفصول المهمة ص ۱۱۲. لشرف الدینالموسوی.

[۵۱۸] کنز العمال ج ۵ ص ۲۷۲.

[۵۱۹] السیرة النبویة للدحلانی، ج ۱ ص ۵۰۴.

[۵۲۰] ابن حجر العیثمی المکی، تطهیر الجنان واللسان، ص ۲۹ - ۳۰.

[۵۲۱] الطباطبائی، تفسیر المیزان، ج ۱۸ ص ۲۵۸ - ۲۵۹.

[۵۲۲] السبحانی: عصمة الأنبیاء، ص ۲۰۴.

[۵۲۳] أسد حیدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ۱ ص ۱۹۰.

[۵۲۴] المصدر نفسه.

[۵۲۵] صحیح البخاری، کتاب الحج، باب الخطبة أیام منی، ج ۲ ص ۴۶۲.

[۵۲۶] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۱ ص ۳۴۳، ۲۷۰.

[۵۲۷] المصدر نفسه، ص ۳۱۰.

[۵۲۸] تدریب الراوی للسیوطی، ج ۱ ص ۳۲۸.

[۵۲۹] أحمد بن یحیی الیمانی، المنیة والأمل فی شرح الملل والنحل، ص ۱۰۶.

[۵۳۰] أحمد بن تیمیة، منهاج السنة، ج ۲ ص ۲۲۱.

[۵۳۱] صحیح البخاری، کتاب المغازی، باب غزوة خیبر، ج ۵ ص ۳۸۲.

[۵۳۲] شریف الأمین، معجم الفرق الإسلامیة، ص ۲۱۹.

[۵۳۳] المصدر نفسه، ص ۲۲۱.

[۵۳۴] باقر شریف القرشی، موسوعة الإمام الصادق، ج ۷ ص ۲۱۲.

[۵۳۵] المصدر نفسه.

[۵۳۶] أحمد الیمانی، المنیة والأمل فی شرح الملل والنحل، ص ۱۰۵.

[۵۳۷] المصدر نفسه.

[۵۳۸] المصدر نفسه، ص ۸۷.

[۵۳۹] مفید الفقیه، العقل فی أصول الدین، ص ۲۷.

[۵۴۰] شریف الأمین، معجم الفرق الإسلامیة، ص ۸۱.

[۵۴۱] أحمد حنبل، السنة، ص ۴۴ - ۵۰ (بتصرف).

[۵۴۲] فهرست ابن الندیم ص ۲۷۱.

[۵۴۳] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۱ ص ۱۷۰ - ۷۱.

[۵۴۴] المصدر نفسه.

[۵۴۵] الألکانی، شرح أصول السنة، ص ۱۰۸.

[۵۴۶] مفید الفقیه، العقل فی أصول الدین، ص ۳۲.

[۵۴۷] ابن خلکان، وفیات الأعیان، ج ۳، ص ۳۹۸.

[۵۴۸] العقیدة الحمویة الکبری لابن تیمیة.

[۵۴۹] صائب عبد الحمید، ابن تیمیة: حیاته: وعقائده، ص ۳۲۲، نقلا عن منهاج السنة.

[۵۵۰] ابن تیمیة، منهاج السنة، ج ۶ ص ۲۲۲، ۲۳۵.

[۵۵۱] محمد إبراهیم، أئمة المذاهب الأربعة، ص ۳۰.

[۵۵۲] أسد حیدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ۱ ص ۱۶۰.

[۵۵۳] المصدر نفسه.

[۵۵۴] مفید الفقیه، الفعل فی أصول الدین، ص ۳۲.

[۵۵۵] شریف الأمین، معجم الفرق الإسلامیة، ص ۱۰۴.

[۵۵۶] المصدر السابق، ص ۲۰۹.

[۵۵۷] محمد إبراهیم، أئمة المذاهب الأربعة، ص ۴۰.

[۵۵۸] أسد حیدر، الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج ۱ ص ۱۶۸.

[۵۵۹] المصدر نفسه، ص ۱۶۹.

[۵۶۰] المصدر السابق.

[۵۶۱] السیوطی، الدر المنثور فی التفسیر المأثور، ج ۶ ص ۳۷۹.

[۵۶۲] ابن حجر المکی، الصواعق المحرقة، ص ۱۵۲.

[۵۶۳] تاریخ الیعقوبی ج ۲ ص ۱۲۴.

[۵۶۴] هاشم الموسوی، التشیع: نشأته... معالمه، ص ۲۶.

[۵۶۵] تاریخ الیعقوبی، ج ۲ ص ۱۲۴.

[۵۶۶] أحمد أمین، فجر الإسلام، ص ۲۲۶.

[۵۶۷] تاریخ الطبری، ج ۳ ص ۳۷۸.

[۵۶۸] أحمد الوائلی، هویة التشیع، ص ۵۱.

[۵۶۹] هاشم الموسوی، التشیع: نشأته ومعالمه، ص ۴۳.

[۵۷۰] م. س: ص ۴۳ - ۴۴.

[۵۷۱] رسالة الإسلام، العدد الثالث من السنة الحادیة عشرة، ص ۲۲۷ عام ۱۹۵۹ م.

[۵۷۲] مرتضی مطهری، الاجتهاد فی الإسلام، ص ۱۳.

[۵۷۳] محیی الدین الغریفی، الاجتهاد والفتوی، ص ۹۷.

[۵۷۴] مرتضی مطهری، الاجتهاد فی الإسلام، ص ۱۳.

[۵۷۵] راجع صحیح البخاری، کتاب التوحید، ج ۹ ص ۴۸۹.

[۵۷۶] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۵ ص ۲۱۳ - ۲۴۰ (بتصرف).

[۵۷۷] شریف الأمین، معجم الفرق الإسلامیة، ص ۳۵.

[۵۷۸] محمد إبراهیم، أئمة المذاهب الأربعة، ص ۳۵.

[۵۷۹] جعفر السبحانی، بحوث فی الملل والنحل، ج ۳ ص ۲۹۱ - ۴۱۶ (بتصرف).

[۵۸۰] شریف الأمین، معجم الفرق الإسلامیة، ص ۳۵.

[۵۸۱] أحمد أمین، ضحی الإسلام، ص ۷۰.

[۵۸۲] المصدر نفسه، ص ۶۸.

[۵۸۳] رسالة الإسلام التی تصدرها (دار التقریب بین المذاهب الإسلامیة). بالقاهرة: العدد الثالث منالسنة الثالثة.

[۵۸۴] أحمد بن تیمیة، منهاج السنة، ج ۶ ص ۲۴۶، ۳۵۶، ۳۵۷.

[۵۸۵] ابن قتیبة الدینوری، الإمامة والسیاسة، ج ۱ ص ۵۰.

[۵۸۶] أحمد بن تیمیة، منهاج السنة، ج ۶ ص ۳۵۶، ۳۵۷.

[۵۸۷] المصدر السابق.

[۵۸۸] القاضی أبو بکر بن العربی، العواصم من القواصم فی تحقیق مواقف الصحابة بعد وفاةالنبی صلی الله علیه وآله وسلم، ص ۷۵ - ۷۶.

[۵۸۹] المصدر السابق، ص ۸۸ - ۸۹.

[۵۹۰] المصدر السابق، ص ۹۰.

[۵۹۱] المصدر السابق.

[۵۹۲] أبو الأعلی المودودی، الخلافة والملک، ص ۷۱.

[۵۹۳] مرتضی العسکری، عبد الله بن سبأ (بتصرف).

[۵۹۴] ابن العربی، العواصم من القواصم، ص ۲۰۷ - ۲۱۰.

[۵۹۵] محب الدین الخطیب فی تحقیقه لکتاب ابن العربی، ص ۲۰۷.

[۵۹۶] عبد المتعال الجبری، حوار مع الشیعة حول الخلفاء الراشدین وبنی أمیة، ص ۲۲۳.

[۵۹۷] ابن العربی، العواصم من القواصم، ص ۲۱۳.

[۵۹۸] المصدر السابق.

[۵۹۹] المصدر السابق.

[۶۰۰] الجبری، حوار مع الشیعة، ص ۲۱۹.

[۶۰۱] تاریخ الطبری.

[۶۰۲] الجبری، حوار مع الشیعة، ص ۲۰۳.

[۶۰۳] المصدر السابق، ص ۲۲۲.

[۶۰۴] ابن العربی، العواصم من القواصم، ص ۲۳۲.

[۶۰۵] المصدر السابق (فی الحواشی) ص ۲۲۷.

[۶۰۶] ابن حجر المکی، الصواعق المحرقة، ص ۲۲۰.

[۶۰۷] المصدر السابق، ص ۲۲۳.

[۶۰۸] الجبری، حوار مع الشیعة، ص ۲۴۸.

[۶۰۹] محسن آجینتی، الالتقاط الفکری والتحجر العقائدی فی نظرة العلامة المطهری، ص ۱۱۲.

[۶۱۰] من البیان الذی وجهه سماحة المرحوم السید الإمام الخمینی إلی المراجع والحوزات العلمیة فی۲۲ / ۲ / ۸۹ م.

[۶۱۱] المصدر السابق.

[۶۱۲] محسن آجینتی، الالتقاط الفکری والتحجر العقائدی فی نظرة العلامة المطهری، ص ۱۱۸.

[۶۱۳] المصدر السابق، ص ۱۲۲ – ۲۳.

[۶۱۴] مرتضی مطهری، الجدب والدفع فی شخصیة علی، ص ۱۶۵ – ۶۶.

[۶۱۵] المصدر السابق، ص ۱۶۷.

[۶۱۶] یوسف القرضاوی (صحوة الشباب المسلم ظاهرة صحیحة یجب ترشیدها لا مقاومتها)، الصحوة الإسلامیة: رؤیة نقدیة من الدخل ص ۳۰ – ۳۴، نقلا عن مجلة الأمة، العددان التاسع والعاشر۱۹۸۱.

[۶۱۷] محسن آجینتی، الالتقاط الفکری والتحجر العقائدی فی نظرة العلامة المطهری، ص۱۳۷ – ۱۴۷.

[۶۱۸] حسن الترابی، تجدید الفکر الإسلامی، ص ۱۰ – ۱۷.

[۶۱۹] فهمی هو یدی (مقابلة): مجلة التوحید العدد ۱۶، رمضان – شوال ۱۴۰۵ ه.

[۶۲۰] محمد الغزالی، (بین الاعتدال والتطرف)، الصحوة الإسلامیة، رؤیة نقدیة من الدخل، ص۶۶ – ۶۷، نقلا عن کتاب الأمة رقم (۱) الصادر عن المحاکم الشرعیة فی قطر.

[۶۲۱] المصدر السابق، ص ۷۲ – ۷۴.

[۶۲۲] المصدر السابق، ص ۷۴.

[۶۲۳] مر ذکر مصادرها هذا الحدیث فی الفضل الأول من هذا القسم.

[۶۲۴] محمد الغزالی، مائة سؤال عن الإسلام، ج ۲ ص ۳۵۱، ۳۵۸.

[۶۲۵] المصدر السابق، ۳۵۷.

[۶۲۶] سعید أبوب، معالم الفتن، ج ۲ ص ۳۷۳، نقلا عن التطور والتجدید فی الشعر الأموی ص ۵۰.

[۶۲۷] غازی القصیبی، حتی لا تکون فتنة، ص ۱۳.

[۶۲۸] صحیح مسلم، کتاب الإمارة، ج ۴ ص ۵۱۷.

[۶۲۹] ابن تیمیة، منهاج السنة، ج ۱ ص ۳۷.

[۶۳۰] صحیح مسلم، کتاب الإمارة، ج ۴ ص ۵۱۵.

[۶۳۱] سعید أیوب، معالم الفتن، ج ۲ ص ۳۶۷، نقلا عن کتاب تاریخ الفرق الإسلامیة، ص ۹.

[۶۳۲] أحمد الیمانی، المنیة والأمل فی شرح الملل والنحل، ص ۱۰۵.

[۶۳۳] المصدر السابق، ص ۸۷.

[۶۳۴] مفید الفقیه، العقل فی أصول الدین، ص ۲۷.

[۶۳۵] محمد حسین فضل الله، تأملات فی الفکر السیاسی الإسلامی، ص ۱۲۸.

[۶۳۶] حسن الترابی، تجدید الفکر الإسلامی، ص ۱۹۴.

[۶۳۷] محمد الغزالی، مائة سؤال عن الإسلام، ج ۲ ص ۳۵۳.

[۶۳۸] حسن الترابی، تجدید الفکر الإسلامی، ص ۱۹۱ - ۱۹۲، ۱۹۵.

[۶۳۹] یوسف القرضاوی (صحوة الشباب الإسلامی ظاهرة صحیة یجب ترشیدها لا مقاومتها، الصحوةالإسلامیة: رؤیة نقدیة من الداخل، ص ۴۹، نقلا عن مجلة الأمة، ع ۱۰۵۹، ۱۹۸۱ م.

[۶۴۰] محمد حسین فضل الله، تأملات فی الفکر السیاسی الإسلامی، ص ۱۲۵ - ۱۲۶.

[۶۴۱] محمد الغزالی، السنة النبویة بین أهل الفقه وأهل الحدیث، ص ۱۴۴.

[۶۴۲] المصدر السابق، ص ۱۴۸.

[۶۴۳] المصدر السابق، ص ۱۵۶.

[۶۴۴] صحیح مسلم، کتاب القدر، ج ۵ ص ۵۰۷.

[۶۴۵] المصدر السابق، ص ۵۰۹.

[۶۴۶] المصدر السابق، ص ۵۰۹ - ۵۱۰.

[۶۴۷] المصدر السابق، ص ۵۱۱.

[۶۴۸] المصدر السابق، ص ۵۱۷.

[۶۴۹] صحیح البخاری.

[۶۵۰] صحیح مسلم، کتاب صلاة المسافرین وقصرها، باب جواز الجمع بین الصلاتین فی السفر، ج ۲ ص ۳۵۶.

[۶۵۱] المصدر السابق، ص ۳۵۷.

[۶۵۲] المصدر السابق، ص ۳۵۹.

[۶۵۳] السید سابق، فقه السنة، ج ۱ ص ۲۹۱ - ۲۹۲.

[۶۵۴] النووی فی شرحه علی صحیح مسلم، ج ۲ ص ۳۵۹.

[۶۵۵] مرتضی مطهری، إحیاء الفکر فی الإسلام، ص ۴۳ - ۴۶.

[۶۵۶] مرتضی مطهری، الحق والباطل، ص ۱۷۳.

[۶۵۷] الإمام الخمینی، الحکومة الإسلامیة، ص ۷.

[۶۵۸] محمد حسین فضل الله، تأملات فی الفکر السیاسی الإسلامی، ص ۱۲۸ - ۲۹.

[۶۵۹] راجع تفاصیل الحادثة فی الفصل الأول من القسم الثانی.

[۶۶۰] صحیح البخاری، کتاب الزکاة، باب فی الرکاز الخمس، ج ۱ ص ۱۶۶.

[۶۶۱] راجع هذا الموضوع فی الفصل الثانی من القسم الثانی.

[۶۶۲] تاریخ الطبری، ج ۵ ص ۳۲.

[۶۶۳] مرتضی العسکری، معالم المدرستین، ج ۲ ص ۳۲۵.

[۶۶۴] الفلسفة القرآنیة للعقاد ص ۷۳، نقلا عن الدکتور رسل.

[۶۶۵] المصدر السابق.

[۶۶۶] المصدر السابق.

[۶۶۷] المصدر السابق.

[۶۶۸] الثعلبى والطبرانى فى تفسيرهما.

[۶۶۹] محمد تقى الحكيم، الزواج المؤقت، ص ۱۱.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ أُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ أُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فی الجلسة

ی) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّی (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسیّ: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/ "بناية "القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّی بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فی حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فی هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ وليّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹